أدباء من جبل النار

حسني أدهم جرار



دار المأمون للنشر والتوزيع


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أدباء من جبل النار

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية ٢٠٠٧/٥/١٢٥٤

٩٢٨,١١

جرار ، حسني أدهم

أدباء من جبل النار / حسني أدهم جرار.

عمان: دار المأمون.

(٣٨٤) ص

ر.إ : (٢٠٠٧/٥/١٢٥٤)

الواصفات : الأدباء العرب / / التراجم / / فلسطين // جبل النار /

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل ١٣٧٢ /٢٠٠٧/٥

دار المأمون للنشر والتوزيع

العبدلي - عمارة جوهرة القدس

تلفاكس : ٠٠٩٦٢-٦-٤٦٤٥٧٥٧

ص.ب : ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن

أدباء من جبل النار

" نابلس – جنين – طولكرم "

* إبراهيم طوقان
* برهان الدين العبّوشي
* خالد السعيد
* سعيد بلال
* صالح الجيتاوي
* صالح جرّار
* عبد الرحيم محمود
* عبد الكريم الكرمي
* د. كمال رشيد
* د. مأمون جرّار
* ناجي صبحة

تأليف

حسني أدهم جرار



دار المأمون للنشر والتوزيع

ISBN (٩٧٨ ـ ٩٩٥٧ ـ ٤٦٢ ـ ٣٣ ـ ٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة الكتاب

الحمد لله ربّ العالمين ، والصّلاة والسّلام على إمام المجاهدين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فإن أرض فلسطين أرض رباط وجهاد .. رابط فيها المسلمون منذ فجر الإسلام .. وهم في رباط إن شاء الله إلى يوم القيامة .. فكان منهم المرابط والمجاهد والدّاعية والأديب .. وقد قام كلٌّ منهم بواجبه ودوره ..

و هذا الكتاب يتناول مجموعة من الأدباء من منطقة الدّيار النابلسية "نابلس– جنين – طولكرم " ، التي تقع في القلب من فلسطين .. والتي يُطلق عليها اسم " جبل النار " ..

وتمتد هذه المنطقة من البحر المتوسط غرباً إلى نهر الأردن شرقاً .. ومن قضاء طبريا والناصرة شمالاً إلى قضاء يافا ورام الله جنوباً[(١)] .

ولهذه المنطقة تاريخ عريق بالجهاد ، وقد وقعت فيها معارك حربية كان لها أثرها في تاريخ فلسطين .. ومن أشهرها :

۞ موقعة عين جالوت ، التي حدثت في عام ١١٨٧م بالقرب من مدينة جنين وانتصر فيها المسلمون بقيادة المظفر قطز والظاهر بيبرس على التتار ..

۞ معارك جبل النار ، التي حدثت عام ١٧٩٩م خلال حملة نابليون على بلاد الشام ، عندما تقدّم نابليون من مصر إلى فلسطين ، وقتل جميع الأسرى في

---

(١) مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٢ – ق٢ ، ، ص٢٣٤ .

حامية يافا ، وتوجّه إلى قلعة عكا ليحاصر الجزّار ، الذي استنجد بشيخ جبل نابلس في ذلك الوقت – " الشيخ يوسف الجرّار " ، فهبّ أبناء الجبل جميعهم لنجدته – بكل قوة متاحة لهم – وجمعوا القبائل من حولهم ، ووقفوا في وجه نابليون الذي هزم أوروبا ، واحتل مصر ، وارتدّ عن أسوار عكا .. وخاضوا معه معركة " عزّون " وأحرقوا فيها الأحراش على جيشه ، ومعركة " قاقون ، ومعركة " مرج ابن عامر".. فكانوا العامل الحقيقي الذي أنهك جيش نابليون ، وحطّم آماله وأفقده أعصابه .. فانسلّ من أسوار عكا يحمل الذلّ والخزي والعار .. وقضوا بذلك على وعده لليهود بإنشاء دولة لهم في فلسطين .. وقد نظم الشاعر إبراهيم طوقان قصيدة في هذه المعارك قال فيها[1] :

سائل بها "عزّون" كيف تخضّبت ... بدم الفرنجة عند جوف الوادي
دعت الرّجال ولم تكد حتى مشت ... هِمَمٌ إلى الهيجاء كالأطوادِ
ثمّ التقوا تحت السّيوف وبينهم ... كأس الحتوف تقول هل من صادِ
كسروا من النَّسْر الكبير جناحه ... ذي التّاج والأعلام والأجناد
تركوه يجمع في الشّعاب فلوله ... ويصبُّ لعنته على القوّاد

وبعد هذه المعارك أُطلق على جبل نابلس اسم " جبل النار "[2] .

❁ معركة يعبد ، التي حدثت عام ١٩٣٥م ، والتي أعلن فيها الشيخ عز الدين القسّام أول ثورة مسلّحة ضدّ الانجليز .. وأطلق شعاره الخالد : " هذا جهاد .. نصرٌ أو استشهاد " .. ونال الشهادة فيها يرحمه الله .

---

(١) ديوان إبراهيم طوقان ، ص١٣١ .

(٢) إحسان النمر : تاريخ جبل نابلس ، ج١ ص٢١٨ ، وج٢ ص٨٣ .

۞ معركة نـور شمـس ، في عـام ١٩٣٦م ، الـتي فجـرّ فيهـا الـشيخ فرحـان السّعدي ثورة فلسطين الكبرى ، وأطلق الرصاصة الأولى في الثورة .. ووجّه المجاهدون ضربات موجعة لجيش الاحتلال البريطـاني ، الـذي أطلـق علـى منطقـة " نـابلس – جنين – طولكرم " (مثلث الرُّعب) .. ومن المعارك الشهيرة التي خاضها المجاهدون ضد قوات الاحتلال البريطاني خلال هذه الثورة من ١٩٣٦ – ١٩٣٩م :

معركة الفندقومية ، ومعركتا صـانور الأولى والثانيـة ، ومعركتـا بلعـا الأولى والثانية ، ومعركة جبع ، ومعركة بيت امرين ، ومعركة اليامون الكبرى .

۞ معركة جنين ، وكانت من المعارك التاريخية الكبرى ، وقد حـدثت في ٣ حزيران ١٩٤٨م ، بين المجاهدين العرب ، والقوات الصّهيونية .. وانتهـت المعركـة بنصر مبين ، وأُرغم اليهود على مغادرتـهـا .. وكانـت جـنين المدينـة الوحيـدة الـتي احتلها اليهود وأُخرجوا منها بالقوّة .

۞ الملحمـة والأسـطورة في مخـيم جـنين .. وقـد حـدثت المعركـة في نيـسان ٢٠٠٢م ، وقامت قوات الاحتلال بتدمير كل مظاهر الحياة في مخيم جـنين ، وقامـت الطائرات والدبابات بقصف البيوت وتدميرها . وقدّم المقاومون المجاهـدون في معركـة الدفاع عن مخيم جنين تضحيات وبطولات أذهلت العالم وتصدّرت الأحداث على مدى أسبوعين .

۞ معركة عصيرة الشمالية ، التي خاضها الشهيد محمود أبو هنّود بمفـرده ضد النخبة من قوات الاحـتلال الـصهيوني في ليلـة الـسابع والعـشرين مـن شـهر آب ٢٠٠٠م .

وأمام هذا الجهـاد المبـارك ، وبخاصـة الجهـاد المعاصـر منـه ، كـان للكلمـة المجاهدة دور .. فقد ظهـر في " جبـل النـار " مجموعـة مـن الأدبـاء .. كانـت ثمـرة طبيعية للظروف والأحوال التي عاشتها القـضية الفلـسطينية ، والواقـع المحـيط مـن حولها .. وكانت تجربة أدبية وفنيّة جديدة عبّـرت عـن قـضايا الإنـسان الفلـسطيني وواقعه وهمومه بشكل خاص ، وقضايا الأمة العربية والإسلامية بشكل عام .. وأصـبح هذا الأدب – وبخاصة الشعر منه – صوت الجماهير والناس .. فهو لم يخدم الحيـاة التي عاش فيهـا فحـسب ، بـل ارتفـع بـذوق الإنـسان وهمومـه ، مـن حيـاة التـشرّد والضياع ، إلى الأمل العذب من خـلال بـث الحمـاس والعزيمـة والرّجولـة .. وأصـبح وسيلة إعلامية صادقة تعالج قضايا الناس اليومية ..

واستطاع هذا الأدب أن يوضح العلاقة بينه وبين الأوضاع الـسياسية والهـزائم العسكرية التي عاشتها القضية .. فكان سلاحاً ماضياً في تبيـان الواقـع المهـزوم لهـذه الأمة ، والتخاذل والاستسلام ..

وقد كانت ظروف الاحـتلال البريطـاني ، ثـم الاحـتلال الإسـرائيلي لـلأرض العربية في فلسطين مادة خصبة حرّكت ما كان كامناً في نفوس الشعراء بـشعر ثـائر ، جاء ليخدم القيم الاجتماعية النبيلة ، ويحارب أنواع الفساد والانحراف ، ويدعو إلى التكاتف والأخوّة والمحبّة ..

لقد عاش هؤلاء الأدباء قضيتهم ، وعاشـوا مـع أرضـهم ووطـنهم ، وتوّجعـوا وتألّموا لكنهم لم ييأسوا ، ولم يعيشوا في دائرة الحزن تأكلـهم الآلام بـل جعلـوا مـن

أدبهم وشعرهم أرجوزة لحن الأمل المرجو عبر التأسّي بماض لم يمت ، ومستقبل زاهر لأمة عظيمة لا ترضخ ولا تستكين ..

وأظهروا من خلال الكلمة الأدبية مفهوم الارتباط بالأرض ، وقدسية تحرير أرض الإسراء ، وبيّنوا أن جوهر الصراع مع العدو ليس أرضاً فحسب إنما هو صراع عقيدة .. ودعوا في أدبهم وشعرهم إلى أن يكون الإسلام هو الموجّه والقائد للمجتمع في كل المجالات والميادين ..

واحتلت القدس في شعرهم مكانة خاصة ، فبثوا في شعرهم حزنهم على القدس الجريح ، فجرح القدس هو جرح كل مسلم .. ودعوا إلى رفع راية الحق والعقيدة لتحريرها ..

فجاء هذا الأدب والشعر ليثير الشّجى والحزن ، وليجعل القارئ له يتفاعل مع الأحداث ومع الذكريات ..

ولقد جمع أدباء هذا النهج بين الواقع المحسوس والنبض العاطفي والوجداني في أدبهم ، فغدا الصّدق الخُلقي عندهم مقترناً بالصّدق الفنّي .. وأوجدوا أدباً يعيش روح العصر دون أن يحاول فصل التراث الماضي عن حاضر الأمة ..

وهذا الكتاب تحدّثتُ فيه عن مجموعة من فرسان الكلمة المجاهدة في جبل النار .. " نابلس – جنين – طولكرم " .. فتناولت أحد عشر كوكباً من كواكب الأدب المعاصر ، وسجّلت شيئاً من سيرة كل واحد منهم ، ونشاطه وأدبه ..

وهؤلاء الأدباء جميعهم شعراء ، وينفرد كل واحد منهم بفنٍّ آخر من الأدب .. فمنهم الخطيب البليغ ، ومنهم كاتب المقالة ، وكاتب القصة ، والمسرحية ، وغير ذلك من فنون الأدب ..

وهم يمثّلون الاتجاه الوطني الإسلامي في أدبهم .. وقد احتلّ الوطن والجهاد ومقاومة المحتل في أدبهم وفي شعرهم مكانة خاصّة .

أرجو الله تعالى أن يسدّد الخطا ، وأن يتقبّل هذا العمل في طاعته .. إنه نعم المولى ونعم النّصير ، والحمد لله رب العالمين .

عمان – ٢٠٠٧/٥/١ المؤلف

إبراهيم طوقان

(١٣٢٣ - ١٣٦٠هـ) (١٩٠٥ - ١٩٤١م)

* تقديم
* نشأته وحياته
* إبراهيم الإذاعي والأديب
* شعره
* الوطن في شعر إبراهيم
* قصائد مختارة من شعره

تقديم

إبراهيم طوقان .. شاعر فلسطين الكبير .. ومن فحول شعراء العرب المعاصرين..

أديب عبقري ، وإذاعي بارع ، وباحث محقّق .. له اطّلاع واسع ، ومعرفة دقيقة باللغة العربية وآدابها ، وبآثار الشعراء والكتّاب القدماء والمحدثين .. تجلّت عبقريته الإذاعية والأدبية في أحاديثه الطريفة التي اتسمت بالجدّة والابتكار ..

وإبراهيم شاعر موهوب ، عميق التفكير .. نظم شعراً وطنياً راقياً ، ينبض بالرّوح الإسلامية .. سجّل فيه مختلف الأحداث التي مرّت بالوطن العربي ، وبخاصّة ما مرّ بوطنه فلسطين .. فكان بهذا الشعر أول شاعر فلسطيني طار صيته بين العرب .

نشأته و حياته

ولد إبراهيم عبد الفتاح طوقان عام ١٩٠٥م في مدينة نابلس ، في عائلة عريقة من عائلات جبل النار ، وفي أُسرة ذات يسار وغنى وعلم .. فكان جدّه لأبيه (داود آغا) حافظاً للتاريخ ، محبّاً للأدب ، فأتاح لأبنائه أن ينهلوا من العلم والمعرفة في كتاتيب نابلس ومدارسها فعرفوا قيمة العلم وقدّروه حق قدره .

في هذا الجو الميسور ، ولد شاعرنا مهزول البنية عليلاً منذ اليوم الأول لولادته ، ورافقه المرض منذ طفولته وصباه .. وما أن نما حتى نمت معه ثلاث علل صاحبته حياته كلها حتى قضت عليه .. صممٌ في أذنه ، وقرحة شديدة في معدته ، واستعداد في أمعائه لأنواع شتى من الالتهاب ، فاضطر إلى أن يجري عمليتين جراحيتين ، نجا منهما بلطف قدّره الله سبحانه وتعالى . وكان يكثر من التردد على

الأطباء ، ومن تناول الأدوية والمسكّنات ، وقد حمله كل ذلك على أن ينقطع عن دراسته حيناً ، وعلى أن يضطرب في حياته العملية بعد ذلك[1] .

لقد تأثر إبراهيم ، وهو ما زال طفلاً بشخصيتين تركت كل منهما فيه بصماتها واضحة في صباه وشبابه : أولهما جده لأبيه وكان ذوّاقة في الشعر والزجل الشعبي . وثانيهما : أبوه الذي نهج في إعداد أولاده وتربيتهم خطة مبنية على الحكمة والمسايرة والملاطفة ، فعاش الأبناء في كنف بيت تغمره السعادة ، أضف إلى ذلك ما كان يقوم به الأب من حث أبنائه على تلاوة القرآن وحفظه ، فأولع إبراهيم بالكتاب الكريم منذ نعومة أظافره ، يديم النظر فيه ، ويعاود القراءة والتفهم لآياته. ولم تكن عناية إبراهيم بالقرآن الكريم موقوته أو عابرة ، فقد ترك إعجازه في نفس إبراهيم هزة وسحرا ، وأفاد من بلاغته وبيانه منذ خطت قدمه الخطوة الأولى في المدرسة وبقي على هذه العادة في صباه يتلذّذ بسماع الآي الكريم ويستمتع بتلاوته[2] .

ولما أتم إبراهيم التاسعة من عمره التحق بالمدرسة الرشادية الغربية في مدينة نابلس ، وأمضى فيها سنيّ الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) ، حيث تلقّى دروسه الأولى . وكانت هذه المدرسة تنهج في تعليم اللغة العربية نهجاً حديثاً ، لم يكن مألوفاً في مدارس نابلس ، وذلك بفضل بعض المدرسين النابلسيين الذين تخرّجوا في الأزهر الشريف ، وتأثروا في مصر بالحركة الشعرية والأدبية التي كان يرفع لواءها شوقي وحافظ وغيرهما من شعراء مصر وأدبائها ، فأشاع هؤلاء المدرسون روح الشعر والآداب الحديثة ، وأسمعوا الطلاب للمرة الأولى في حياتهم الدراسية ، قصائد شوقي وحافظ إبراهيم ، وفتحوا أذهانهم على أسلوب إنشائي حديث فيه رونق وله حياة ، يختلف عن الأسلوب القديم الذي كان ينتهج في مدارس نابلس الأخرى .. ومن هؤلاء المدرسين المجدّدين الشيخ إبراهيم أبو الهدى الخماش ، والشيخ فهمي

---

(١) شاعران معاصران ص١٩ . وشاعران من جبل النار ص٨٣ .

(٢) إبراهيم طوقان شاعر الوطن المغصوب ص١١ . وأخي إبراهيم ، الديوان ص٨ .

هاشم .. وقد استطاع معلمو المدرسة الرشادية بنابلس أن يغرسوا في إبراهيم مغارس حياته الأدبية ، بعد أن هيأ البيت هذه التربية المثمرة وهذا التوجيه النافع .. فكان الفتى إبراهيم ثمرة من ثمارهم التي بثوا فيها روح الوطنية[1] .

ولما أتم إبراهيم دراسته الابتدائية توجه إلى القدس ، والتحق بمدرسة (المطران) وعمره لم يتجاوز أربعة عشر ربيعاً ، وأمضى فيها أربعة أعوام من سنة ١٩١٩ – ١٩٢٣م . وفي القدس اتصل عن طريق أخيه أحمد – الذي كان قد سبقه إلى الكلية الانجليزية – بنخلة زريق ، فكان له أثر كبير في تحبيب اللغة العربية والشعر القديم إلى إبراهيم .. وأخذ يتردّد عليه مع شقيقه ، ويرهف السمع إلى الأحاديث والروايات التي كانت تدور في مجالسه وندواته ، حتى ازدادت ثروة إبراهيم الأدبية ، ووقف على أوابد اللغة ، فصقل لفظه ورقّ نثره ، واستطاع أن يميز بين صحيح الشعر وزائفه ، فغدا إبراهيم على حداثة سنه مرجعاً لغوياً لأبناء مدرسته .

ولما انتهى إبراهيم من تحصيله الثانوي في مدرسة المطران سنة ١٩٢٣/١٩٢٢م، انتقل إلى الجامعة الأمريكية في بيروت وهنا تبدا أخصب مراحل حياته الدراسية ، ففي بيروت أحاط به أفق أدبي واسع لا عهد له بمثله في فلسطين .

أمضى إبراهيم في الجامعة الأمريكية ست سنوات من ١٩٢٣ – ١٩٢٩ مجتهداً في دروسه ، محبوباً من أساتذته وزملائه .. وفي الجامعة لقي التقدير من الأديب البحّاثة (أنيس خوري المقدسي) ، وتواصلت المودة بينه وبين إخوانه الشباب وبعض الخريجين ، ومنهم الأدباء : عمر فروخ ، ووجيه البارودي ، وسعيد تقي الدين ، فكان الأدب أقوى روابط الود بينهم .

---

(١) شاعران من جبل النار ص٨٥ ، والوطن في شعر إبراهيم ص٢٠ .

وكانت خارج الجامعة مجالس الأدب العالي والشعر الرفيع ، وكلها تفتح صدرها لإبراهيم وتوليه من عنايتها واهتمامها ، ومن أصحاب تلك المجالس الأدبية الرفيعة : الشيخ أمين تقي الدين ، والشاعر بشارة الخوري ..

وأصبح إبراهيم شاعر الجامعة كما لقبته بيروت .. وكانت أغاريده الوطنية الفيّاضة بالعواطف الصادقة تسير جنباً إلى جنب مع أغاريده الغزلية ..

وفي سنة ١٩٢٩ نال شهادته من الجامعة .. ومن المنصّة التي منح عليها (البكالوريا) مشى إبراهيم إلى سرير المستشفى .. فقد كان يشكو ألماً في معدته منذ كان تلميذاً في مدرسة المطران في القدس ، وكثيراً ما أقعده ذلك عن مواصلة التحصيل ، وكثيراً ما حمله بعد ذلك إلى الاستقالة من وظائفه التي تقلب فيها .

ومع أن إبراهيم تيسّر له أن يعمل في الصحافة في مصر .. إلاّ أن والده أقنعه بألا يسافر إلى مصر بسبب مرضه ، وأن يعمل معلماً للغة العربية في مدرسة النجاح الوطنية بنابلس ، فهي خدمة وطنية مشكورة ، فزاول إبراهيم مهنة التعليم سنة واحدة ..

وفي عام ١٩٣٠م عُرض على إبراهيم التدريس في قسم الأدب العربي بالجامعة الأمريكية في بيروت .. فانتقل إلى بيروت ودرّس فيها عامين ، نظم خلالهما أروع قصائده . وفي نهاية العام الثاني لتدريسه في الجامعة ، قدّم استقالته وعاد إلى فلسطين ، وزاول مهنة التعليم في المدرسة الرشيدية في القدس .. وفي هذا الوقت ، ضاق بعمله أشدّ الضيق ، فنفّس عن الكرب الذي لحقه من هذه المهنة بقصيدة (الشاعر المعلم) وقد صاغها في قالب فكاهي عذب ، صوّر فيه ما كان يكابده من مشقّة التعليم، والجهد الذي كان يبذله ، والعناء الذي كان يلاقيه من جراء ذلك كله[1] .

---

(١) فدوى طوقان : مقدمة الديوان ، ص١٥ – ١٧ .

وفي أواخر سنة ١٩٣٢ ، ألحّ عليه السقم ، ولازمته العلّة ، فانقطع عن التدريس ، وأشار الأطباء بضرورة إجراء عملية جراحية في معدته . وكان من خطورة هذه العملية ، أن نفض الجرّاح يديه من نجاة مريضه من الموت بعدها .. ولكن شاءت حكمة الله سبحانه أن ينجو إبراهيم من الموت المحقق بعد إجراء العملية . وتماثل للشفاء ، وخرج إبراهيم من المستشفى ، وفي جيبه ورقة عليها هذه الأبيات :

إليكَ توجّهت يا خالقي ... بشكرٍ على نعمة العافيهْ
إذا هي ولّت فمن قادرٌ ... سواكَ على ردّها ثانيه
وما للطبيب يدٌ بالشّفاء ... ولكنها يدك الشّافية
تباركت ، أنت معيد الحياة ... متى شئت في الأعظم الباليهْ
وأنت المفرّج كرب الضعيف ... وأنت المجيرُ من العاديهْ

بعد أن غادر إبراهيم المستشفى ، أمضى عامين في نابلس ، خدم خلالهما مدة في دائرة البلدية ، وفي هذين العامين ، نظم مقطوعاته الوطنية التي كان يوالي نشرها في جريدة (الدفاع) والتي كان يقبل عليها القراء بشغف عظيم ، لما فيها من تصوير صادق لوضع فلسطين الخطير ، وتفكك الأمة المريع ، في تلك الفترة من الزمن .

وفي سنة ١٩٣٦ تسلّم إبراهيم عمله الجديد في القسم العربي في إذاعة القدس .. وفي سنة ١٩٤٠ تكاتفت قوى الشرّ على إبراهيم ، وأُقيل من عمله .. فعافت نفسه البقاء بين قوم لا خلاق لهم ، وآثر الرّحيل عن وطنه الذي تفانى في حبه ، وأذاب روحه في مناجاته ، وعزم على الرّحيل إلى العراق .

وفي بغداد وجد من أصحابه كل تكريم .. إلاّ أنه لم يكد يمضي شهران على إقامته في العراق حتى وقع فريسة العلّة والسقم ، مما حمله على العودة إلى نابلس . ونُقل إلى المستشفى الفرنسي في القدس .. وفي مساء الجمعة ، الثاني من شهر مايو

سنة ١٩٤١ م أسلم الروح إلى بارئها .. وفقدت فلسطين شاعرها وهو في ريعان الشباب[1] .

إبراهيم .. الإذاعي والأديب

في أواخر عام ١٩٣٥م أخذت السلطات البريطانية في فلسطين تعدّ العدة لإنشاء محطة إذاعية مركزها القدس تكرّسها لخدمة أهدافها الاستعمارية في بث روح الفرقة بين الشعب الفلسطيني ، وفي إضعاف انتمائهم للعربية عن طريق نشر اللغة العامية محل الفصحى والدعوة لهذه الفكرة وترويجها عن طريق الإذاعة ووسائل الإعلام الأخرى .

وبدأ المسؤولون عن الإذاعة يبحثون عن الرجل المناسب لإدارة البرامج العربية، فوقع اختيارهم على إبراهيم طوقان للقيام بهذه المهمة وتوجيهها ، وقد لقي هذا الاختيار كل الرضى من إبراهيم إذ وجد أن عمله في الإذاعة أقرب إلى ذوقه وطبعه ، وهو الشاعر الأديب ، الذي كان يحلم في مهمة الصحافي منذ كان صغيراً ، وهو بالإضافة إلى ذلك يستطيع أن يمارس الأدب والثقافة ممارسة عملية فاستجاب لعمله الجديد مؤملاً في أن يستقرّ ويضع عصى الترحال بعيداً عن التدريس وأهله .

واتجه إبراهيم بكل عنايته نحو عمله الإذاعي ، فقام به خير قيام ، ونحا فيه منحى عربياً صميماً ، وأبدى في سبيل إعداد البرامج العربية المنوعة نشاطاً عظيماً..

لكن حسّاد إبراهيم من عرب ويهود أخذوا يستعدون عليه المسؤولين عن الإذاعة ،ويحرضونهم على إبعاده عن البرامج العربية ، التي وجهّها على غير ما كانوا يتمنون فاشتدت حملة الصحف اليهودية عليه ، وسعت الوكالة اليهودية إلى المطالبة بعزله .. واتخذت تلك الحملة صوراً ثلاثاً :

---

(١) فدوى طوقان : مقدمة الديوان ، ص١٧-٢٥ .

الأولى : كانت الأوساط الصهيونية ترى أن إبراهيم قد وجّه البرامج العربية توجيهاً قومياً يفيد العرب ويلحق الأذى باليهود ويضر بتطلعاتهم ويكشف مخططاتهم .

الثانية : لاحظ البريطانيون القائمون على إدارة الإذاعة وتوجيهها أن التوجيه الذي اختطه إبراهيم للبرامج العربية لا يحقق الأهداف التي أقاموا الإذاعة من أجلها ، بل ويتنافى مع ما قصدوه من تأسيس هذه الإذاعة .

الثالثة : أبى إبراهيم على أن يُحلّ العامية محل الفصحى ، بل عمد إلى تركيز برامجه على الأحاديث المفيدة البعيدة عن العبث .. فكان يأخذ من منابع اللغة الأصيلة ، القرآن والسّنة بطريقة ذكية تلفت انتباه العرب إلى ما يحيق بهم من أخطار وما يدور حولهم من مؤامرات .

كل هذه الأسباب متضافرة جعلت الأوساط الاستعمارية تتحين الفرصة المناسبة للتخلص من إبراهيم وإقصائه عن منصبه المهم بكل الوسائل .

أما الصعوبات التي لقيها إبراهيم في عمله ، فتتمثل في الدّسّ واللؤم والشغب الذي حمل لواءه اليهود حين وقفوا وقفة المتربص لكل ما يذيعه من أحاديث .

لقد كانت أحاديث إبراهيم الإذاعية بمثابة القنابل الزمنية الموقوتة التي تنفجر بما فيها .. وكان الناشئة العرب يتلقفونها عبر المذياع بقلوب متفتحة ، فيفهمون مغازيها وهم يستمعون إلى صوت إبراهيم يتدفق بحوثاً في الأدب والتاريخ والشعر بلغة سهلة ممتعة[1] .

وقد تجلت عبقرية إبراهيم الإذاعية والأدبية في أحاديثه الطريفة التي اتسمت بالجدّة والابتكار .. ولعل من أطرف تلك الموضوعات ، حديثاً ألقاه إبراهيم طوقان في ٢٠ أيلول ١٩٣٧ عن (حقيقة وفاء السّموأل) ... وقد قام رأي الأديب على أن

---

(١) الوطن في شعر إبراهيم ص٨٩ ، وشاعران من جبل النار ص٩٦ – ٩٧ .

السّموأل أو (صموئيل) بن عاديا الشاعر الجاهلي اليهودي كان ذا نزعة صهيونية قبل أن تظهر الصهيونية بقرون ، وأن حبه للمال ، وهوعلامه مميزة لكل يهودي ، هو الذي دفعه إلى إيثار ذبح ابنه الوحيد الذي كان خارج الحصن ، ولم يكن ذلك من أجل الوفاء لامرئ القيس .. وقد أراد إبراهيم ببحثه هذا أن يهدم برأيه الجديد سيرة الوفاء السّموألي المشهور ، الذي اصطلح الناس منذ القدم على التغني بقول ينسب للسّموأل عن هذا الوفاء .. وقد ورد حديث إبراهيم طوقان في الإذاعة الفلسطينية كاملاً عن هذا الموضوع في كتاب (إبراهيم طوقان شاعر الوطن المغصوب ص٣٨-٤٣) للدكتور زكي المحاسني .

وكان لإبراهيم معرفة بتحقيق النصوص العربية القديمة ، تجلت في مساعدته للمستشرق الدكتور نيكل البوهيمي ، في تفهم النصوص المخطوطة والتلعيق عليها ، وخاصة في كتاب (الزهرة) لأبي داود الأصفهاني[1] .

شعره

إبراهيم شاعر موهوب منذ بواكير حياته .. فكان منذ صغره يقارض جدّه ضروباً من الأزجال أو مقطوعات من العتابا التي كانت تحمل إلى أذنه المرهفة معاني الحب والحنان ... ثم بدأت خواطره تتأثر بما يحفظه في المدرسة من شعر ونثر ، فأخذ يقلّد ذلك الشعر ويذهب به إلى جده يُسمعه إياه ، فيشجعه بالإطراء حيناً والهدايا أحياناً ..

وفي المدرسة أخذ معلموه يشيعون في نفسه روح الشعر .. وكانوا يعجبون عندما يقف أمامهم إبراهيم لينشر الشعر في دروس الاستظهار ويلقيه إلقاء جميلاً ينبعث له طرب كل من يسمعه ..

---

(١) شاعران من جبل النار ص٨٩-٩٩ .

وحين أدرك عمر الشباب ، بعد أن انتقل إلى القدس ، بدأ يحاول قول الشعر الصحيح فتلتوي عليه مسالكه ولا يفلح فيه ، إذ لم يكن قد درس علم العروض بعد .. وفي العطلة الصيفية كان يلتقي مع شقيقه أحمد في نابلس ، فيشرح له تفاعيل الأبحر الشعرية ، ويوقفه على أصول القوافي ، فيستوعب كل ذلك .

وبدأ إبراهيم ينشد الشعر في المناسبات الخاصة التي تعرض له ، والأحوال التي تمر عليه في مدرسة المطران .. ولعلّ في مجموعة أشعاره التي نظمها خلال عاميه الأخيرين في القدس ما يشير إلى تحسّن بالشاعرية الكامنة في نفسه ..

وتدّرج إبراهيم في قول الشعر ... وفي سنة ١٩٢٣ نشر – لأول مرة – إحدى قصائده ، وقال عنها : " لعلّها أول قصيدة نشرت في صحيفة " .. وكان من أهم الأسباب التي أعانته على أن يقول الشعر فيجيده بالقياس إلى صغر سنه ، كثرة حفظه للشعر المنتخب ، واهتمامه الكبير بالقرآن الكريم ، فقد كان كثير التلاوة له ، عميق النظر فيه .. ولم تكن تلاوته للقرآن الكريم تلاوة سطحية عابرة ، بل كان يتجه إليه بقلبه وروحه .

وفي أثناء دراسته في بيروت تعرّف إبراهيم على عدد من الأدباء والشعراء ، واستفاد من توجيهاتهم له في عالم الشعر .. وفي عامه الدراسي الثاني في الجامعة ، كانت شاعريته قد بدأت تزخر وتمتلئ .. ونظم قصيدته في المرضات بعنوان "ملائكة الرحمة " .. ففي عام ١٩٢٤م مرض إبراهيم ودخل مستشفيات لبنان أكثر من مرة للعلاج ، وكان يلقى فيها رعاية فائقة واهتماماً من قبل ممرضاتها ، فهزّه ذلك وأثار شاعريته ، فنظم قصيدته هذه ، يشيد فيها بالمرضات وبعملهن النبيل ، وبما يقدّمن من خدمات للمرضى .. فجاءت قصيدة فريدة في بابها ، وكان إبراهيم رائداً في إبداعها.. وقد تلقاها الأدباء والشعراء العرب بالاستحسان الكبير ، وأشادوا بها وبناظمها ، وتناقلتها الصحف الأدبية في العالم العربي .

يقول إبراهيم في مطلعها[1] :

بـيضُ الحمـائم حَـسْبُهُنّهْ أنّـي أُردّدُ سَـجْعَهُنّهْ
رمـزُ الـسّلامةِ والوداعـةِ منـذُ بـدْء الخَلْـق هُنّـهْ
في كُـلِّ رَوْض فـوق دانِيـة القُطـوفِ لَهـنّ أنّـهْ
ويملْـنَ والأغْـصانَ مـا خَطـر النـسيمُ بِرَوْضِـهنّهْ
فـإذا صـلاهُنّ الهجـيرُ هَبَـبْنَ نحـو غديرهنّـهْ
يَهْـبطنّ بعـد الحَـوْمِ مثـلَ الـوحْي لا تـدْري بهنّـهْ
فـإذا وقعـن علـى الغـدير ترتّبـتْ أسـرابُهنَّهْ

❀ ❀ ❀

وبعد أن ينظم أبياتاً في وصف الحمائم يقول :

المحـسناتُ إلى المـريض غـدونَ أشـباهاً لهُنّـهْ
الـرّوضُ كالمستـشفيات ، دواؤهـا إيناسُـهُنّهْ
مـا الكهربـاءُ وطبّهـا بأجَـلَّ مـن نظراتِهنّـهْ
يُـشفي العليـلَ عنـاؤهُنَّ وعطفُهـنَّ ولطفهنَّـهْ
مـرُّ الـدّواء بفيـكَ حُلـوٌ مـن عذوبـة نطقِهنّـهْ

❀ ❀ ❀

مهـلاً ، فعنـدي فـارقٌ بـين الحمـام وبَيْنَهُنَّـهْ
فَلَرُبَّمـا انقطـع الحمـائمُ في الـدُّجى عـن شـدْوهنّهْ
أمّـا جميـلُ المحـسناتِ ففـي النهـار وفي الدُّجُنّـهْ

---

(١) ديوان إبراهيم طوقان ، ص٢٩ .

ومضى إبراهيم في طريق النظم ، وكانت نشوة توفيقه في قصيدة (ملائكة الرحمة) قد ملأت عليه نفسه ، بعد سماعه كثيراً من كلمات الإعجاب .

ومضت على إبراهيم سنوات ثلاث في الجامعة ، بلغ في نهايتها الثانية والعشرين .. وقد قعد به المرض خلالها عن إتمام دراسته ، فانتقل إلى نابلس ، ثم عاد إلى الجامعة .. وكان في تلك السنوات الثلاث لا ينقطع عن قول الشعر ، وخاصة في الغزل .. وفي سنة ١٩٢٥ نشرت له جريدة (الشورى) في مصر نشيداً وطنياً لتحية المجاهد الأمير عبد الكريم الخطابي أمير الريف ، فلمّا اطلع الشاعر خير الدين الزركلي على النشيد قال : " إن صدق ظني ، فإن صاحب هذا النشيد سيكون شاعر فلسطين" .

وفي عام ١٩٢٨ م عزم أمير الشعراء أحمد شوقي على زيارة فلسطين فهبّ الأدباء وحملة الأقلام إلى إعداد العدّة لإقامة المهرجانات حفاوة بالضيف الكبير ، لكن الزيارة لم تتم ، فنظم إبراهيم قصيدة هدف من ورائها إلى إثارة مشاعر شوقي لينظم شعراً في فلسطين وفي قضيتها التي لم يرو التاريخ أظلم منها قضية ، فنظم قصيدة بعنوان (حطين) ، قال فيها [(١)] :

أهلاً بشوقي شاعر الفُصحى ومعجزة البيانِ
يا فرقد الشعراء كم من فرقدٍ لعلاك رانِ
يا باكي الفيحاءِ حين أبتْ تقيم على الهوانِ
أيام كانت وردةً بدم البواسل كالدّهانِ
أرسلت عن بردى سلامك في لظى الحرب العوانِ
وذرفت "دمعاً لا يكفكف" هيّجته الغوطتانِ

❁ ❁ ❁

---

(١) الوطن في شعر إبراهيم طوقان ص٢٩ – ٣٠ .

عَـرِّجْ علـى (حطـين) واخـشع يـشج قلبـك مـا شـجاني
أيقـظْ صـلاح الـدين ربَّ التـاج والـسيف اليمـاني
ومثيرهـا شـعواءَ أيوبيـةَ الخيـلَ الهجـان
بالعاديـات لديـه صُـبْحاً والأسـنّةُ في اللَّبـان
والخيـل طـوعُ كماتِهـا في النقـع مُرخـاةِ العنـانِ
لا تنـثني أو تحـرز القـصباتِ في يـوم الرّهـانِ

وشاعرنا إبراهيم شاعر وجداني مطبوع .. انقاد له اللفظ وانصاع ، أتاه جزلاً حين اقتضى فنّ الكلام أن يجيء جزلاً ، ورقيقاً حين استوجب الفن الترقيق ، وعلى حالي الجزالة والرّقة فالقول فصيح مبين .. ومن أمثلة هذا الشعر الفصيح الماتع ، الذي يتلذذ الإنسان بقراءته وسماعه ، قوله[1] :

قـلْ لمـن عـابَ صـمته ... خُلـق الحـزم أبكمـا
وأخـو الحـزم لم تـزل ... يـدُهُ تـسبق الفمـا

❁ ❁ ❁

وقوله :

قـد يكـون الحـزم في العـزم وقـد ... يُكتـبُ التوفيـقُ للمـستعجل
غـضبةٌ مـن رجـلٍ في أُمـةٍ ... جعلتـه أمّـةً في رجـل

❁ ❁ ❁

فسمعتُ مـن منَـعَ الرقيـق وبيعَـهُ ... نادى على الأحرار: يا من يشتري!

❁ ❁ ❁

لا تلجـأنّ إذا ظُلمـتَ لمنطـقٍ ... فهنـاك أضيعُ مـا يكـون المنطـق!

(١) الوطن في شعر إبراهيم طوقان ص١٠-١١ .

هذه مقتطفات من شعر شاعرنا المبدع إبراهيم .. ومن الحَسَن هنا أن نـورد رأي الأستاذ الأديب أكرم زعيتر في إبـراهيم وشـعره إذ يقـول : " عنـده أصـالة في الـذوق الأدبي ، وبكورة في الوعي الفني نجمت عنهما شاعرية مطبوعة على الأناقة ! .. لقد سمعت كثيرين من فحول الشعراء يرتّلون قصائدهم ، ومنهم من بلغ الغاية في جـودة الإلقاء ، ولكن إبراهيم بذّ هؤلاء جميعاً " ..

الوطن في شعر إبراهيم

إبراهيم طوقان شاعر كبير .. أحبّ وطنه ، ونظم أجمل قصائده في الدفاع عنه.. نظم قصائد وأناشيد للـوطن العربـي الكـبير ، وخـص فلـسطين " قلـب هـذا الـوطن " بالكثير منها .. فكان أدبه وشعره مـن العوامـل المؤثرة في أحـداث الـبلاد الـسياسية والثقافية والاجتماعية ..

يقول الاستاذ الأديب أكرم زعـيتر [1] : قـضية فلـسطين قـضية لا بـدّ لهـا مـن (أدب) .. وهذا (الأدب) قد يجيء شعراً يـسكب الوطنيـة في قـصائد رائعـة ، وقـد يجيء نثراً يسكبها كلمات بارعة ، وقـد يـصوغ البطـولات والأمـاني الغاليـة أناشـيد يترنم بها الحداة ، وأهازيج يـشدوها الـشّداة ، وزغاريـد تـثير النخـوات وتهـز مـن أعطاف المجاهدين الأُباة .. وقد يتجلّى الأدب أقاصيص رفيعة وروايات ، وحكايـات توقظ الضمائر وتخصب المروءات !..

وأدباء القضية فريقان : فريق تنبّه ونبّـة ،وحـذّر وأنـذر ، نـدّد بالقاعـدين ، ونعى على المقصّرين ، حضّ على الجهاد ، وأغرى بالاستشهاد ! مجّد البـذل وعظـم الفداء ، ثم خلّى مكانه قبل أن تجيء الطامّة التي ما فوقها طامّة !

---

(١) الوطن في شعر إبراهيم طوقان ص٧–٨ .

وفريق عايش النكبة ولا يزال ، توجّع وتفجّع ، وبكى واستبكى ، قصاراه أن يَبُثّ الأمل ، وجهده أن يحث على الوحدة وأن يدعو إلى العمل ، والعزيمة في شرعته تمحو الهزيمة ، والثأر في ملّته يغسل العار .. يُقسم بالله ربّ " فلسطين " ، ويشبّب بعرائسها : يافا الزهراء ، وحيفا الغرّاء ، والرّملة البيضاء ، وناصرتنا السّبيَّة .. ويكاد يشجيك في منظومه ومنثوره ..

وشاعرنا إبراهيم طوقان ، قضى قبل الجائحة بسبع سنين ، فما شاكت عينه وما أقذتها إسرائيل ، ولكنه استشف ببصيرته نُذُرها ومقدّماتها ، وشام هولها وويلاتها ، فحذّر وأنذر ، وما ونى وما قصَّر ! .. وهو لو طال عمره لكان المُرّجّى لنظم " الملحمة الفلسطينية " التي نفتقدها " .

وشاعرنا إبراهيم شاعر أمة توالت عليها النكبات في هذا الزمان .. فقد فتح عينيه على ظلامات مرّة انتابت قومه في كافة أمصارهم ، فآلمته السياط ، وأفزعته البنادق ، وأرهبته أعواد المشانق .. شاعر عاصر عهد الانجليز الذي حكموا فيه (فلسطين) حكم العبيد ، بالنار والحديد ، فروّعته المظالم ، وأفزعته المعتقلات .. وتمنى لو لم يعيش في هذا العهد الأسود الذي اتسم بالأغلال والأصفاد ، والجور والاضطهاد ، ليرى أمته دامية الجراح ، مهيضة الجناح .

التحق شاعرنا بالجامعة الأمريكية في بيروت حيث قضى فيها ستة أعوام (١٩٢٣–١٩٢٩) وخلال هذه المدة أدرك عُمْرَ الشباب ، ورأى ما يصنع المستعمرون في بلاده ، فارتسمت في أعماق نفسه تلك الأعمال والصّور المؤثّرة التي بدت بعدئذ ألحاناً وطنية في شعره ، ورنّات حماسية في أناشيده .

وفي عام ١٩٢٨ ركدت الحركة الوطنية في فلسطين وران عليها الوُجوم وسادها الصّمت .. وارتفعت أسهم السّماسرة والدّجالين ، ورجحت موازين دعاة الوطنية الزائفة .. فألقى إبراهيم في حفلة العام الدراسي التي أقامتها كلية النجاح الوطنية

في نابلس قصيدة من عيون الشعر الوطني ، وقد اشتهر منها هذا البيت وذهب مذهب المثل[1] :

(وطـــــنٌ) يُبـــــاعُ ويُـــــشترى وتـــصيح : " فَلْيحـــيَ الـــوطن "!!

أما القصيدة فقد قال فيها :

كفكـــفْ دموعَـــك ، لـــيس ينفعُـــكَ البكـــاء ولا العويـــلُ
وانهـــضْ ولا تـــشكُ الزمـــانَ ، فمـــا شـــكا إلا الكـــسول
واسْـــلك بهمتـــكَ الـــسّبيلَ ، ولا تقُـــلْ كيـــف الـــسّبيل
مـــا ضـــلَّ ذو أمـــل ســـعى يومـــاً وحكمتُـــهُ الـــدّليل
كـــلا ، ولا خـــابَ امـــرؤٌ يومـــاً ومقـــصدُه نبيـــل

❁ ❁ ❁

أفنيـــتَ يـــا مـــسكينُ عمـــرَك بالتـــأوُّهِ والحـــزَنْ
وقعـــدتَ مكتـــوفَ اليـــدين تقـــولُ : حـــاربني الـــزمنْ
مـــا لم تقـــم بالعـــبء أنـــت ، فمـــن يقـــوم بـــه إذنْ؟

❁ ❁ ❁

كـــم قلـــتَ " أمـــراضُ الـــبلاد " ، وأنـــت مـــن أمراضـــها
والـــشؤمُ علّتُهـــا : فهـــل فتـــشتَ عـــن أعراضـــها
يـــا مَـــنْ حملـــتَ الفـــأسَ تهـــدِمُها علـــى أنقاضـــها
أقعـــدْ فمـــا أنـــت الـــذي يـــسعى إلى إنهاضـــها
وانظـــرْ بعينيـــك الـــذئابَ تَعُـــبَّ في أحواضـــها

❁ ❁ ❁

(١) الوطن في شعر إبراهيم ص٣٢-٣٣ .

(وطـــنٌ) يُبـــاعُ ويُـــشترى وتـــصيح : " فَلْيحـــيَ الـوطن "!!
لـــو كنـــتَ تبغـــي خـــيرَهُ لبـــذلتَ مـــن دِمـــكَ الـــثّمنْ
ولقُمـــتَ تَـــضْمِدُ جرحَـــهُ لـــو كنـــت مـــن أهـــلِ الفطـــنْ

وانطلق شعر إبراهيم الوطني عقيب ثورة ١٩٢٩م ، فكان ينظم هذا الشعر ، ويرسله صرخات حافزة ، وناراً مشتعلة .. ومن أشهر قصائده في ذلك الحين (الثلاثاء الحمراء) ، وقصيدة (الفدائي) التي نظمها عام ١٩٣٠م .

وكان الانجليز منذ بدء انتدابهم على فلسطين يرسون قواعد الوطن القومي اليهودي فأرسلوا إلى فلسطين مندوباً سامياً يهودياً ، ثم جعلوا يسنّون القوانين حتى يفسحوا المجال أمام اليهود بالهجرة وبشراء الأراضي والاستقرار ونيل الامتيازات ، وأخذوا يضطهدون العرب ويهملون شأنهم فتبقى مدنهم وقراهم على ما كانت عليه ، فنشأ الجيل العربي في فلسطين جيلاً جاهلاً ضعيفاً فقيراً .. وبعدئذ قام الانجليز بإفساد الأخلاق ونشر المسكرات بين الشبان وبخاصة بين رجال الطبقة الاجتماعية العليا . وتولى الانجليز واليهود تسهيل سبل الفسق والانحراف للطبقات الوسطى والدّنيا ، وأغروهم بالأموال لبيع أراضيهم ، وبذلوا لهم فيها أثماناً كبيرة ، فكان الفلاح الذي لا يأتيه من أرضه إلا بضع جنيهات في العام ، يدفع معظمها ضرائب للسلطات البريطانية .. كانوا يعرضون عليه عشرات الألوف ثمناً لأرضه ..

ولما عرف المخلصون من أبناء فلسطين عدداً من سماسرة بيع الأراضي ، وأيقن إبراهيم أن هؤلاء السّماسرة هم عامل بارز في ضياع البلاد وتهويدها .. حمل عليهم حملات عنيفة في شعره الوطني .. واشتدت نقمة إبراهيم على السماسرة ، وعلى باعة الأراضي وعلى الزعماء الذين سهّلوا بيع الأراضي .. فنظم قصيدة كشفهم فيها للناس على حقيقتهم ، وقال فيها (١) :

---

(١) الوطن في شعر إبراهيم ص٦٠ – ٦٣ .

أمـا سماسـرةُ الـبلاد فعـصبةٌ   عـارٌ على أهـل الـبلاد بقاؤهـا !
يتنعمـون مُكـرّمين ، كأنّمـا   لنعـيمهم عـمّ الـبلاد شـقاؤها
هم أهل نجـدتها ، وإن أنكـرتهم   وهمـو ، وأنفـك راغـم ، زعماؤهـا
وحُماتهـا ، وبهـم يـتمُّ خرابُهـا   وعلـى يـديهمْ بيعهـا وشـراؤها
كيف الخلاص إذا النفوس تزاحمت   أطماعُهـا ، وتـدافعتْ أهواؤهـا؟!

وفي ربيع عام ١٩٣٠م اجتمع في نابلس ثلاثة شعراء هم : عبد الرحمن عبد المجيد ، والشيخ محمد البسطامي ، وإبراهيم طوقان فطرح أحدهم السؤال التالي شعراً :

رعـاك الله مـا تـصنع   لـو لاقيـت سمـساراً ؟!

فاستطاب ثلاثتهم السؤال وتداولوا بهذه الأبيات :

إذا ألفيتـه في الـدارِ   أهـدمُ فوقـه الـدارا
وأجمعـه بملقـاط   وأضـرم فوقـه النـارا
أصـوّبُ بـين عينيـه   أدقّ هنـاك مـسمارا
أعلّـقُ لوحـة فيهـا :   (ألا قبّحـت سمـسارا!)

وكان إبراهيم يشكو قلّة المخلصين من الذين يتصدّون للزعامات والمناصب وقد ردّد شكواه في مناسبات كثار من ذلك قوله :

رحـم الله مخلـصاً لـلبلاد   سـاوموه الـدّنيا بهـا فأباهـا
لـو أتـوه بـالتّبر وزنَ ثراهـا   لأبـاه وقـال :أفـدي ثراهـا !

وفي خريف سنة ١٩٣٣م سارت في فلسطين تظاهرات عنيفة صاخبة احتجاجاً على تدفق الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وتقدّم زعماء البلاد تلك التظاهرات التي سارت رغم منع السلطات البريطانية لها .. وكانت تظاهرة يافا أعنفها ، وقد أمّتْها

وفود من الشام وشرقي الأردن تضامناً مع فلسطين .. وقُتل فيها نحو ثلاثين ، وجرح نحو سبعين ، وقُبض على بعض الزعماء وحوكموا فحكم عليهم بالسجن مدداً متفاوتة ، وعُرض عليهم توقيع تعهد بحسن السلوك مقابل إطلاق سراحهم ، فوقّعوا ما عدا الشيخ عبد القادر المظفر فسُجن ستة أشهر ... وكان قبول التوقيع مثار خلاف، وهذا الموقف البطولي للشيخ المظفر أثار شاعرنا إبراهيم ، فنظم قصيدة قال فيها [1]:

أحرارنا ! قد كشفتم عن بطولتكم غطاءَها يوم توقيع الكفالات
أنتم رجال خطابات منمّقة كما عَلِمنا، وأبطال احتجاجات
أضحتْ فلسطين من غيظ تصيح بكم: خلّوا الطريق فلستم من رجالاتي

❀ ❀ ❀

ولما كان للنشيد دوره في تقوية العزيمة وإثارة الحماس ، فإن شاعرنا إبراهيم كان في مقدّمة الحُداة الذين نظموا لأمتهم أناشيد ردّدها الشباب ، وتربّت عليها الأجيال ، واشتدَّت بها العزائم ... وتغنّى بها شعب فلسطين ، فكانت له زاداً على طريق الجهاد ..

ومن تلك الأناشيد .. نظم إبراهيم نشيداً بعنوان (موطني) ، وقد ذاع صيته في كافة الأقطار العربية ، المتحفّزة للوثوب ، المتطلعة إلى فجر يوم جديد[2] :

موطني.. الجلالُ والجمالُ والسّناءُ والبهاءُ في رُباكْ
والحياةُ والنجاة والهناءُ والرجاءُ في هواكْ
هل أراك

(١) الوطن في شعر إبراهيم ص١٤ .
(٢) انظر (نشيد موطني) كاملاً في الديوان ص٢٠٢ .

ســـــــــالماً منعّمـــــــــاً وغانمـــــــــاً مكرّمـــــــــاً
هـــــــــــــــــل أراكْ في عُـــــــــــــــــلاكْ

تبلغُ السِّماكْ

موطني

وفي العام الدراسي ١٩٢٩/١٩٣٠ عُيّن إبراهيم معلماً للعربية في (كلية النجـاح) بنابلس ، فنفث في طلابه روحاً وطنية ضد الاستعمار .. وإبّـان عملـه في هـذه الكليـة غادر المغرب العربي – يوم كان يـرزح تحـت الحكـم الإسباني – فتيـة مـن المغـرب قصدوا كلية النجاح ، فنظم إبراهيم نشيداً جميلاً مؤثراً أنـشده أولئـك الطـلاب بـنغم شجيٍّ ساحر ، فقال [١]:

فتيـــة المغـــرب هيّـــا للجهـــاد نحـــن أولى النـــاس بالأنـــدلس
نحـــن أبطـــالُ فتاهـــا(ابـــن زيـــاد) ولهـــا نُـــرخصُ غـــالي الأنفـــس

قِفْ على الشاطئ وانظر هل تـرى لهـــبَ النـــار وآثـــار الـــسّفينْ
يـــومَ لا(طـــارق)عـــاد القهقـــري لا ،ولا آباؤنـــا أُسْـــدُ العـــرينْ

يـومَ لا عـزمُ الجبـال الراسـياتْ مُـــشْبهُ عـــزم شـــباب المغـــربِ
لا ولاهمّـــــةُ بحـــــرِ الظلمـــــاتْ أشـــبهتْ هِمّـــةَ جـــيش العـــربِ

يـا فتـى المغـربِ سَـلْها مـن بنـى دارهـا (الحمـراء) تـسمعْ عَجَبـا
فأعِـــــدْها لـــــذويها وطنـــــاً تحـــسد الـــدُّنيا عليـــه العربـــا

(١) الوطن في شعر إبراهيم ص٣٥ .

نحـــن أهلوهـــا وإن هَبّـــتْ صَـــبا ... مـــــن رُباهـــــا فعلينـــــا أوّلا
جنّـــةُ الفــردوسِ هاتيــك الرُّبــى ... كيـــف تبقـــى لـــسوانا نُـــزُلا؟!

وفي أحلك الساعات لم ينسَ إبراهيم (فلسطين) وطنه المغصوب .. فقد ظلّ فؤاده متعلقاً به متتبعاً ما يجري فيه من حوادث الثورة على الانتداب وأعوانه ، مرسلاً في شعره الوطني صيحات عنيفة تعبر عما يتجاوب في شعوره نحو قضية بلاده.. وفي (كلية النجاح) أيضاً ، نظم إبراهيم نشيد (وطني) وفيه أفرغ حبه لذلك الفردوس المفقود وأودع كل كلمة من كلماته روحه العالية ، وما يلتهب بين جوانحه من وطنية صادقة ، وعقيدة راسخة .. فكان مطلع هذا النشيد[1] :

وطني ، أنـت لـي والخـصمُ راغـمٌ ... وطـــني أنـــت كـــل المنـــى
وطـني ، إنـني إن تـسلم سـالمٌ ... وبـــك العـــزُّ لـــي والهنـــا

وفي عام ١٩٢٩ عندما رأى اليهود قوة الاستعمار الصليبي ومساندته لهم ، طالبوا بملكية الجدار الغربي للمسجد الأقصى ، وساروا إليه بمظاهرة مسلحة ، فأثار ذلك المسلمين وهبّوا للدفاع عن مسجدهم ، وكانت ثورة سنة ١٩٢٩م التي سميت بثورة البراق نسبة إلى هذا الحادث الذي فجَّر الثورة .. ونظم شاعرنا إبراهيم نشيداً بعنوان " نشيد البراق " ، وقال في مطلعه[2] :

لنـــا البُـــراقُ والحَـــرَمْ ... لنـــا الحِمـــى ، لنـــا العَلَـــمْ
أرواحُنـــا ، أموالنـــا ... فِـــدَى البُـــراق والحَـــرَمْ

❁ ❁ ❁

نحـــنُ الـــشبابُ المـــسلمُ ... واللهِ لا نُـــــســـلّمُ
نمـــوتُ أو نُكَـــرَّمُ ... فِـــدى البُـــراقِ والحَـــرَمْ

---

(١) انظر (نشيد وطني) كاملاً في الديوان ص١٩٨ .
(٢) انظر (نشيد البراق) كاملاً في الديوان ص١٩٧

ولشاعرنا إبراهيم نشيد بعنوان " أشواق الحجاز " .. ومَنْ منّا لا يشتاق إلى الحجاز ؟! فذكر الحجاز يثير في نفس المسلم الشّوق والحُبّ والإجلال والتقدير .. والحجاز بلد الرّحمة المهداة .. حبيبنا محمد عليه الصلاة والسلام .. والحجاز يضمُّ أقدس مدينتين لدى المسلمين ..مكة المكرمة والمدينة المنورة ..

ومن الحجاز انطلقت دعوة الإسلام .. وانطلق الصّحابة المجاهدون ، يهدون الناس إلى البّر .. وينشرون العدل والرّحمة والنور ..

وإبراهيم طوقان الذي نظم الأناشيد لأرض الإسراء وتغنّى بالقدس وفلسطين .. لا يفوته أن يذكر أن هذا الشرف الذي حَظيت به القدس إنما جاء إليها من أرض الحجاز .. من مكة المكرمة والمدينة المنورة .. فنظم لأمته العربية والإسلامية هذا النشيد بعنوان " أشواق الحجاز " ، فقال[1] :

بلاد الحجاز إليْكِ هَفا ... فؤادي وهامَ بحُبِّ النَّبي
ويا حَبّذا زَمْزمٌ والصَّفا ... ويا طيبَ ذاكَ الثّرى الطِّيِّبِ

❋ ❋ ❋

ذِكْرى الهادي والأمْجادِ ... ملءُ الوادي والأنْجادِ
أَثَرُ الهِمَم مُنْذُ القِدَمِ ... حَوْلَ الحَرمِ أبَداً بادِ

بلادَ الكرامِ ... شُموس الهُدى
عَلَيْكِ سَلامي ... مَدًى سَرْمَدا

❋ ❋ ❋

هَنيئاً لِمَنْ حَضَرَ المَشْهدا ... وطافَ بكَعْبَةِ ذاكَ الحَرَمْ
وَمَن قَبّلَ الحَجَرَ الأسْوَدا ... وَظَلَّلَهُ الرُّكْنُ لَمّا اسْتَلَمْ

❋ ❋ ❋

---

(١) ديوان إبراهيم طوقان ص٢٠٦ .

بروحـــي رُبُـــوعَ الـــنّبيّ الأَمـــينْ وصَـــحْبَ الـــنّبيّ هُـــداةَ المـــلا
ومَـــشْرِقَ نـــورِ الكِتـــابِ المـــبينْ عمـــادَ الحيـــاةِ ورُكْـــنَ العُـــلا

❁ ❁ ❁

ذِكْـــرى الهـــادي والأمْجـــادِ مـــلءُ الـــوادي والأنْجـــادِ
أَثـــرُ الهمَـــم مُنْـــذُ القِـــدَمِ حَـــوْلَ الحَـــرمِ أبَـــداً بـــادِ
بـــلادَ الكـــرامِ شُـــموس الهُـــدى
عَلَيْـــكِ سَـــلامي مَـــدًى سَـــرْمَدا

❁ ❁ ❁

هذا هو إبراهيم طوقان .. كـان شاعراً خفيـف الـرّوح ، خفيـف الظّـل ، بـارع النكتة ، حاضر البديهة ، ولكنه كان يخفي وراء ذلك كله غمّاً وهمّاً ، ورُبّ ابتسامة نمّت عن مرارة .. وكان رهيف الحس ، دقيق الشعور ، ناحل البنية يشكو ألماً في معدته .. وقد أثّر هذا كله في بعض نـواحي شعره مـن حيث لا يـدري .. ومن هنا جاءت بعض " فلسطينياته " دكناءَ تنضح بالحملات الشعواء على الزعامة والزعماء..

كانت " فلسطينيات " إبراهيم تمجيداً للبطولات حيناً ، وتنديداً بالزعامات أحايين أخرى ، ولعل التمجيد كان مقتصراً على الأحـداث الوطنيـة للعقـد الأول من العهد البريطاني ، مثل " الثلاثاء الحمراء " و " الفدائي " و " الشهيد " .. أما التنديد فاتسمت به معظم " فلسطينياته " ، ومن ذلك ما نظمه سنة ١٩٣٥م فقد كان حافلاً بالنقمة ، مع أن هذا العام قد امتاز في تاريخنا بحركة بطولة خارقة تمثلت في شخص الشهيد عز الدين القسام وصحبه الأشاوس ، وامتازت بغضبات وطنية عُدّت إرهاصاً للثورة الكبرى ، التي نشبت سنة ١٩٣٦م وامتدت ثلاث سنوات ، ورافقها إضراب تاريخي فذّ عاش ستة شهور ، وتجلّت فيها عبقرية الكفاح الفلسطيني .. ولعلّه من سوء حظ أدبنا الثوري أن يكون إبراهيم القيّم على القسم العربي من الإذاعة

الفلسطينية في تلك الحقبة ، فحال ذلك دون انطلاقه شاعراً للثورة ، وإن هو لم يأل جهداً في خدمة عربيته في مضماره الجديد ..

فالصّور التي رسمتها براعة إبراهيم ببيان شعري موهوب كانت تفتقد صوراً أخرى لملاحم فلسطين وثورتها وبطولاتها ، ذلك أنّ من بواعث الأمل وهائجات العزائم والهمم ودواعي الثقة بالنفس وموجبات الحق ومُلزمات الإنصاف لتاريخنا النضالي أن تعلم الأجيال القادمة بأن الشعب العربي الفلسطيني ضرب أشرف الأمثال وأروعها في الذياد عن فلسطين ، وكافح أخبث شعوب الأرض وأقوى دولها ثلاثين عاماً بلا وهن !..

وقد كان لصرخات إبراهيم الوطنية والمدوية أثر بعيد في شحذ الهمم ، وتفتّح الوعي ، والتنبيه إلى ما يراد بفلسطين وسائر الأقاليم العربية ، من جور واضطهاد ، وذلٍّ وأصفاد ، تمهيداً لتهوديها وتقديمها لقمة سائغة لشذاذ الآفاق الذين ضربوا في دنيا التشرد عرضاً وطولاً ، وانطلقوا من قماقمهم يتطلعون إلى فلسطين وسواها من دنيا العرب كوطن يجمع شتاتهم من النيل إلى الفرات ..

وقد نبّهت تلك الأفكار العاملين في الحقل الوطني ، وأضرمت نار الثورات على أديم فلسطين ، وأثارت مشاعر إبراهيم وهو الشاعر المرهف الحس ، الصلب العود ، فهبّ إلى إثارة قومه وتنبيههم إلى ما يُراد بهم من جور وإذلال بشعر وطني عارم ، رأى فيه المستعمرون لهباً يؤجج الوعي ويفسد عليهم خططهم ، فجّنبوا إبراهيم إدارة القسم العربي في دار الإذاعة الفلسطينية ، وضيقوا عليه الخناق ، وحملوه على الهجرة إلى العراق ، وهناك عاوده المرض وعزّ الدّواء ، فرجع إلى فلسطين ليلقى فيها ربّه ، ويقضي نحبه[1] .

---

(١) الوطن في شعر إبراهيم ص١٧-١٨ .

قصائد مختارة من شعره

١

الثلاثاء الحمراء

في صيف عام ١٩٢٩م حاول اليهود في فلسطين الخروج على التقاليد الثابتة المتعلقة بزيارتهم الجدار الغربي من (البراق) ، فهاج العرب إذ فطنوا لما يبيته اليهود من وراء هذه المحاولة من اعتداء على الأماكن المقدسة في فلسطين ، ومن جراء تلك المحاولة الآثمة نشبت في كبريات المدن الفلسطينية كالقدس والخليل ويافا وصفد اضطرابات دامية بين العرب واليهود قُتل فيها عدد من هؤلاء المعتدين في صفد والخليل .. وما لبثت السلطات البريطانية أن قبضت على نفر من الشبان العرب ، واتهمتهم بقتل اليهود ، وحوكموا وحكم عليهم الإنجليز بالإعدام ، وهم : الشهيد فؤاد حجازي من صفد ، والشهيد محمد جمجوم والشهيد عطا الزير من الخليل .. وبعد أن أمضى الأبطال الثلاثة عدة شهور في سجن عكا رهن الاعتقال ، تم إبلاغهم بأن السابع عشر من حزيران سنة ١٩٣٠م سيكون موعد تنفيذ حكم الإعدام بهم .. وتدخّل رجالات العرب وأبرقوا إلى صديقتهم بريطانيا العظمى ، وبذلوا كل المحاولات لوقف تنفيذ الحكم ، ولكن محاولاتهم ذهبت أدراج الرياح ..

أما الأبطال الثلاثة فقد استقبلوا النبأ بروح راضية ومعنويات مرتفعة ، وأظهروا شجاعة بطولية جعلتهم مضرب الأمثال .. وكانوا في سجنهم ينشدون نشيداً وطنياً حماسياً صار ملتصقاً بهم وبجهادهم ، حيث لا يُذكر هذا النشيد الذي نظمه الأستاذ نجيب الرّيس إلا ويُذكر معه الأبطال الثلاثة .. أما النشيد فيقول :

يا ظلام السّجن خيّم ... إننا نهوى الظّلاما

ليس بعد اللّيل إلاّ ... فجر مجدٍ يتسامى

❁ ❁ ❁

يـــا رنـــين القيـــدِ زدنـــي نغمـــة تـــشجي فـــؤادي
إنّ في صـــــوتك معنـــــى للأســــى والإضـــطهاد

❁ ❁ ❁

إيـــه يـــا دار الفخـــار يـــا مقـــرّ المخلـــصينا
لـــن نخـــون العهـــد يومـــاً واتخـــذنا الـــصّدق دينـــا

❁ ❁ ❁

" وفي نهار الثلاثاء السابع عشر من حزيران ، كان التكبير على المآذن ، وقرع النواقيس في الكنائس ، يتجاوب صداهما في أرجاء فلسطين .. ففي هذا النهار تمّ تنفيذ حكم الإعدام بالشهداء الثلاثة في ثلاث ساعات متوالية ، فكان أولهم (فؤاد حجازي) ، وثانيهم (محمد جمجوم) ، وثالثهم (عطا الزير) .. وكان من المقرّر أن يكون الشهيد عطا الزير ثانيهم ، ولكن جمجوماً حطم قيده وزاحم رفيقه على الدور ، حتى فاز ببغيته "[1] .

وهنا يأخذ إبراهيم ريشة الشاعر الفنان ليصور ذلك اليوم القاني المخضب بالدماء أروع تصوير ، وليسجل في سفر الشعر الوطني مصارع أولئك الشهداء فتكون (الثلاثاء الحمراء) تلك القصيدة الخالدة الموّارة بعبق الوطنية المتوثبة المضّمخة بعطرها ..

" وكان يوم حفلة (كلية النجاح) السنوية في نابلس ، ولم يكن قد مضى على تنفيذ حكم الإعدام بهؤلاء الشهداء أكثر من عشرة أيام ، فالنفوس لا تزال ثائرة ، والعواطف لا تزال مضطربة ، وفي تلك الحفلة ، ألقى إبراهيم قصيدة (الثلاثاء الحمراء) وذهل عن الجمهور وشعر كأنما خرج من لحمه ودمه فكان يلقي بروحه وأعصابه ، فما انتهى ، حتى كان بكاء الناس يعلو نشيجه ، ثم تدفقوا خارج القاعة في حالة هياج عظيم "[2] ..

---

(١) الوطن في شعر إبراهيم ص٣٩ .
(٢) الوطن في شعر إبراهيم ص٤٤ .

أبيات القصيدة

لّمــا تَعـرّضَ نَجْمُـكَ المنحـوسُ ... وترنّحـت بعُـرى الحِبـال رؤوسُ
نـاح الأذانُ وأعـولَ النـاقوسُ ... فاللّيـلُ أكـدرُ والنَّهـارُ عَبـوسُ
طَفِقَـتْ تثـورُ عواطـفٌ وعواصـفُ ... والمـوتُ حينـاً طـائفٌ أو خـاطفُ
والمِعْـوَلُ الأبـديُّ يُمْعِـنُ في الثّـرى ... ليردَّهـم في قلبهـا المتحجِّـرِ

وبعد ذلك أراد الشاعر أن يؤكد هول ذلك اليوم فقارنه بجميع أيام الظلم السالفة فلم يجد بينها ما يحاكيه :

يـومٌ أطـلَّ علـى العصور الخالِيَـهْ ... ودعـا أمـرَّ علـى الـورى أمثاليَـهْ!
فأجابَـهُ يـومٌ: "أجـلْ أنـا راويَـهْ ... لِمحـاكِمِ التّفتـيش تلـكَ الباغِيَـهْ
ولقـد شـهدْتُ عجائبـاً وغرائبـا ... لكـنَّ فيـكَ مـصائباً ونوائبـا
لم ألـقَ أشـباهاً لهـا في جوْرِهـا ... فاسْألْ سوايَ وكم بهـا مِنْ منكَـرِ

❁ ❁ ❁

وإذا بيـومٍ راسـفٍ بقيـودِهِ ... فأجابَ ، والتـاريخُ بعض شُهودِهِ
أُنظـرْ إلى بـيضِ الرَّقيـق وسـودِهِ ... مَـنْ شـاءَ كـانوا مُلكَـهُ بنقـودِهِ
بـشرٌ يُبـاعُ ويُـشترى فتحـرّرا ... ومشى الزّمـانُ القهقري فيمـا أرى
فسمعتُ مَـنْ منـعَ الرَّقيـق وبَيْعَـهُ ... نادى على الأحرارِ يا مَنْ يـشتري!

❁ ❁ ❁

وإذا بيـومٍ حالـكِ الجِلْبـابِ ... مُتَـرَنّحٍ مـن نَـشْوَةِ الأوْصـابِ
فأجـابَ : كـلاّ، دون مـا بـكَ بـي ... أنـا في رُبـى(عاليـهْ) ضـاع شـبابي
وشهدتُ (للسفاح) مـا أبكـى دمـا ... ويـلٌ لـه مـا أظلمـا لكنّمـا

لم ألــقَ مِثْلَــكَ طالعــاً في روعــةٍ   فاذهـبْ لعلّـكَ أنـتَ يـومُ المحـشرِ

❁ ❁ ❁

(اليـومُ) تُنكـرهُ اللّيـالي الغـابرهْ   وتظـــلُّ تَرْمُقُـــه بعـــين حـــائرهْ
عجبـاً لأحكـام القـضاءِ الجـائرهْ   فأخفُّهـــا أمثـــالُ ظُلـــمٍ ســـائرهْ
وطـنٌ يـسيرُ إلى الفنـاء بـلا رجـاءْ   والــداءُ لــيس لــه دواء إلاّ الإبــاءْ
إنّ الإبـــاءَ مناعـــةٌ إن تَـــشْتَمِلْ   نفـــسٌ عليـــه تَمُـــتْ ولَمّـــا تُقهـــرِ

❁ ❁ ❁

الكــلُّ يرجــو أن يبكِّــرَ عَفْــوُهُ[1]   نــدعو لـــه ألاّ يُكَـــدَّرَ صـــفوُهُ!
إنْ كـــان هـــذا عطفُـــهُ وحُنُـــوّهُ   عاشـــتْ جلالَتُـــهُ وعـــاشَ سُـــمُوُّهُ
حَمَـلَ البريـدُ مُفـصِّلاً مـا أُجمـلا   هـــلاّ اكتفيـــتَ توسُّـــلاً وتـــسوُّلا
والمـــوتُ في أخـــذِ الكـــلامِ وردِّهِ   فخـذِ الحيـاةَ عـن الطريـقِ الأقـصرِ

❁ ❁ ❁

ضـاق البريـدُ ومـا تَغيّـر حَـالُ   والـــذُّلُّ بـــين ســـطورنا أشـــكالُ
خُـــسْرانُنا الأرواح، والأمـــوالُ   وكرامـــةٌ-يـــا حـــسرتا- أســـمالُ
أوَ تُبصرونَ وتسألونْ ماذا يكونْ؟!   إنّ الخـداعَ لـه فنـونْ مثـلُ الجنـونْ
هيهاتَ،فالنفسُ الذليلـةُ لوغَـدَتْ   مخلوقـــةً مـــن أعـــينٍ لم تُبْـــصرِ

❁ ❁ ❁

أنّـــى لـــشاكٍ صـــوتُه أن يُـــسْمَعا   أَنّـــى لبـــاكٍ دمعُـــه أنْ ينفعـــا
صـــخرٌ أحـــسّ رجاءَنـــا فتـــصدّعا   وأتـــى الرَّجـــاءُ قلـــوبهم فتقَطّعـــا
لا تعجبوا،فمن الصخورْ نبـعٌ يفـورْ   ولهـم قلـوبٌ كـالقبورْ بـلا شـعورْ

---

(١) الضمير يعود إلى المندوب السامي البريطاني في فلسطين وقد ألحّتْ الهيئات السياسية العربية عليه ليصدر العفو فلم يفعل.

لا تلـتمسْ يومـاً رجـاءً عنـد مَـنْ　　جرّبْتَـــهُ فوجدتَـــهُ لم يَـــشْعُرِ

❀ الساعات الثلاث ❀

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف الساعات الثلاث الرهيبة التي نفذ فيها حكم الإعدام بالشهداء الثلاثة حيث خُصصت لكل منهم ساعة ، فيقول :

❀ الساعة الأولى ❀

أنـــا ســـاعةُ الـــنّفس الأبيّـــهْ　　الفـــضلُ لـــي بالأســـبقيّهْ
أنـــا بكْـــرُ ســـاعاتٍ ثـــلاثٍ　　كلُّهـــا رمـــزُ الحميّـــهْ
بنْـــتُ القـــضيّةِ إنّ لـــي　　أثـــراً جلـــيلاً في القـــضيهْ
أَثَـــرُ الـــسُّيوف المـــشرَفيّةِ　　والرّمـــاح الزاغبيّـــهْ
أودعـــتُ في مُهـــجِ الـــشّبيبةِ　　نفْحـــةَ الـــرُّوحِ الوفيّـــهْ
لا بـــدّ مـــن يـــوم لهـــم　　يـــسقي العـــدى كـــأس المنيّـــهْ
قـــسماً بـــروح (فـــؤاد) تـــصعدُ　　مـــن جوانحـــهِ زكيّـــهْ
تـــأتي الـــسّماءَ حفيّـــةً　　فتحـــلُّ جنَّتهـــا العليّـــهْ
مـــا نـــال مرتبـــة الخلـــودِ　　بغـــير تـــضحية رضـــيّهْ
عاشـــتْ نفـــوسٌ في ســـبيل　　بلادهـــا ذهبـــتْ ضـــحيهْ

❀ الساعة الثانية ❀

أنـــا ســـاعةُ الرّجـــل العتيـــدِ　　أنـــا ســـاعة البـــأس الـــشّديدِ
أنـــا ســـاعةُ المـــوت المـــشرِّفِ　　كـــلَّ ذي فعـــل مجيـــدِ
بطلـــي يُحَطّـــمُ قيـــدَهُ　　رمـــزاً لتحطـــيمِ القيـــودِ
زاحمـــتُ مَـــنْ قَبْلـــي　　لأســـبِقَها إلى شَـــرَفِ الخلـــودِ
وقَـــدَحْتُ في مُهـــجِ الـــشباب　　شـــرارة العـــزمِ الوطيـــدِ

هيهـــاتَ يُخــدَعُ بـــالوعودِ وأن يُخـــــدَّرَ بــــــالعهود
قـــسماً بـــروحِ (محمـــد) : تلقـــى الـــرّدى حُلْـــوَ الـــورودِ
قـــسماً بأمِّـــكَ عنـــد موتِـــكَ وهـــي تهتـــفُ بالنّـــشيد
وتـــرى العـــزاءَ عـــن ابنهـــا في صـــيتِه الحـــسن البعيـــدِ
مـــا نـــالَ مَـــنْ خـــدمَ الـــبلادَ أجَـــلَّ مـــن أجْـــرِ الـــشهيدِ

الساعة الثالثة

أنـــا ســـاعةُ الرّجـــل الـــصبور أنـــا ســـاعة القلـــب الكـــبيرِ
رمـــزُ الثبـــاتِ إلى النّهايـــةِ في الخطـــير مـــن الأمـــورَ
بطلـــي أشـــدُّ علـــى لقـــاءِ المـــوتِ مـــن صُـــمِّ الـــصُّخورَ
جـــذلان يرتقـــب الـــرَّدى فاعجـــبْ لمـــوتٍ في ســـرور
يلقـــى الإلـــه (مُخـضَّبَ الكفّـيْن) في يـــــوم النـــــشور
صـــبرُ الـــشباب علـــى المـــصابِ وديعـــتي مـــلءُ الـــصدور
أنـــذرتُ أعـــداءَ الـــبلاد بـــشرٍّ يـــوم مُـــستطير
قـــسماً بروحـــك يـــا (عطـــاء) وجنّـــةِ المِلـــكِ القـــدير
وصـــغاركَ الأشـــبال تبكـــي الليـــثَ بالـــدمعِ الغزيـــرِ
مـــا أنقـــذ الـــوطنَ المفـــدَّى غـــيرُ صـــبّارٍ جـــسورِ

الخاتمة

وأخيراً ينهي القصيدة بهذه الخاتمة الفريدة في قوّتها وعاطفتها :

الأبطال الثلاثة

أجاســـدهمْ في تربـــة الأوطـــان أرواحُهـــم في جنّـــةِ الرّضـــوان
وهنـــاكَ لا شـــكوى مـــن الطغيـــانَ وهنـــاك فَـــيْضُ العَفْـــو والغُفـــرانَ
لا ترجُ عفـواً مـن سـواهْ هـو الإلـهْ وَهْـوَ الـذي ملكـت يـداَهْ كـلَّ جـاهْ
جَبَروتُـــه فـــوقَ الـــذينَ يغـــرّهمْ جَبَـــروتُهمْ في بِّـــرهِمْ والأبْحُـــرِ

قصائد مختارة من شعره

٢

الفدائي

كانت مهمّة الانتداب البريطاني في فلسطين إذلال أهلها ، وتهيئة البلاد لقيام دولة لليهود على أرضها .. واستعمل الإنجليز كل الوسائل التي تحقق هذا الهدف .. وإمعاناً في إذلال عرب فلسطين وقهرهم والكيد لهم ، عيّنت الحكومة المنتدبة يهودياً بريطاني الجنسية لوظيفة النائب العام في فلسطين .. وعهدت إليه بمهمة (طبخ) القوانين التعسفية التي من شأنها إضعاف العرب وتهويد فلسطين .. ولما ثقلت على العرب وطأته ، كمن له شاب أبيّ – هو عبد الغني محمد أبو طبيخ من بلدة قباطية التابعة لمحافظة جنين – في مدخل دار الحكومة بالقدس وأطلق عليه النار فجرحه ، وهذه أول محاولة اغتيال سياسي يقوم بها شاب فلسطيني بمفرده .. فنظم إبراهيم في هذا الشاب الجريء قصيدة في ٩ حزيران ١٩٣٠ م ، سماها الفدائي .

أبيات القصيدة

=======================

لا تَسلْ عن سلامتهْ ... روحه فوق راحتهْ

بدّلتْهُ همومُهُ ... كفناً من وسادتِهْ

يَرقبُ الساعةَ التي ... بعدَها هولُ ساعتِهْ

شاغلٌ فكرَ منْ يراهُ ... بإطراقِ هامتِهْ

بَيْنَ جنْبيهِ خافقٌ ... يتلظّى بغايتِهْ

من رأى فَحْمَةَ الدُّجى … أُضْرمَتْ من شرارتِهْ

حَمّلَتْهُ جهنّمٌ … طَرَفاً من رسالتِهْ

هو بالبابِ واقفُ … والرّدى منهُ خائفُ

فاهدأي يا عواصفُ … خجلاً من جراءتِهْ

❁ ❁ ❁

صامتٌ لو تكلّما … لَفَظَ النّارَ والدَّما

قُلْ لمن عاب صمتَهُ … خُلِقَ الحزمُ أبكما

وأخو الحزم لم تزلْ … يدُهُ تسبقُ الفما

لا تلوموه ، قد رأى … مَنْهجَ الحقِّ مُظلما

وبلاداً أحبّها … ركنُها قد تهدَّما

وخصوماً ببغْيِهمْ … ضجّت الأرضُ والسّما

مرَّ حينٌ ، فكاد يقتُلُهُ … اليأسُ ، إنّما ...

هو بالبابِ واقفُ … والرّدى منهُ خائفُ

فاهدأي يا عواصفُ … خجلاً من جراءتِهْ

قصائد مختارة من شعره

٣

الشّهيد

سجّل إبراهيم طوقان آلام فلسطين وآمالها خلال الانتداب الإنجليزي ، كما لم يسجله شاعر فلسطيني من قبل .. وخلّد ثورة فلسطين وشهداءها سنة ١٩٢٩ في قصيدة (الثلاثاء الحمراء) .. ثم عاد في الذكرى الرابعة لهؤلاء الشهداء فخلّدهم مرة أخرى في قصيدة " الشهيد " التي نظمها عام ١٩٣٤م .. كل ذلك في شعر حماسي لاهب ، فلا بكاء ولا استخذاء ، وإنما هي صرخات مدوّية مجلجلة ، تحفز الهمم،وتثير الشعور بالعزّة والإباء ..

ولا نخالنا مبالغين إذا قلنا بأن قصيدة إبراهيم في وصف الشهيد وتخليدة من أرفع ما وصل إليه الشعر العربي الحديث في هذا الباب فهي غنية في روحها غنية في ديباجتها .. وهي صورة صادقة لكل شهيد .

أبيات القصيدة [١]

==========================

عَبَسَ الخطبُ فابتسمْ وطغى الهولُ فاقتحمْ
رابطَ الجأشِ والنُّهى ثابتَ القلبِ والقدمْ
لم يُبالِ الأذى ولم يَثْنِهِ طارئُ الألمْ
نفسُهُ طَوْعُ هِمّةٍ وَجَمَتْ دونَها الهِمَمْ

---

(١) ديوان إبراهيم طوقان ص١٤٥ .

تلتقـــــي في مزاجِهـــــا	بالأعاصـــــيرِ والحُمـــــمْ
تجمـــعُ الهـــائجَ الخِـــضَمَّ	إلى الراســـخِ الأشَـــمْ
وَهْـــيَ مـــن عُنـــصر الفِـــداءِ	ومـــن جـــوْهرِ الكـــرمْ
ومـــن الحـــقّ جـــذْوةٌ	لفحُهـــا حـــرَّرَ الأمـــمْ

❁ ❁ ❁

ســـارَ في مـــنهج العـــلا	يطـــرُقُ الخلـــدَ منـــزلا
لا يبـــالي ، مكـــبَّلا	نالَـــهُ أمْ مُجَنْـــدَلا

فهو رهْنٌ بما عزمْ

ربمـــا غالَـــهُ الـــرَّدى	وهـــو بالـــسجن مُـــرتهنْ
لم يُـــشيَّعْ بدمعـــة	مـــن حبيـــبٍ ولا سَـــكَنْ
ربمـــا أُدرج الـــترابَ	ســـليباً مـــن الكفـــنْ
لـــستَ تـــدري بطاحُهـــا	غَيَّبتْـــه أم القُـــننْ
لا تقـــلْ أيـــن جـــسمُه	واسمُـــه في فـــم الـــزمنْ
إنّـــه كوكـــبُ الهـــدى	لاحَ في غَيْهـــبِ المحـــنْ
أرســـلَ النُّـــورَ في العيـــونِ	فمـــا تعـــرفُ الوســـنْ
ورمـــى النـــارَ في القلـــوبِ	فمـــا تعـــرف الـــضَّغَنْ

❁ ❁ ❁

أيُّ وجـــه تهلّـــلا	يَـــردُ المـــوتَ مُقْـــبلا
صـــعَّدَ الـــرّوحَ مُرســـلا	لحنَـــه يُنـــشِدُ المـــلا

أنا لله والوطنْ

المصادر والمراجع

١- ديوان إبراهيم طوقان ، دار القدس ، بيروت ، ١٩٧٥م .

٢- د. زكي المحاسني : إبراهيم طوقان شاعر الوطن الغصوب ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٥م .

٣- د. عمر فروخ : شاعران معاصران ، المكتبة الأهلية ، بيروت ، ١٩٥٤م .

٤- فدوى طوقان : أخي إبراهيم ، مقدمة ديوان إبراهيم طوقان .

٥- د. وليد جرار : شاعران من جبل النار ، عمان ، ١٩٨٥م .

٦- يعقوب العودات (البدوي الملثم) : الوطن في شعر إبراهيم طوقان ، عمان، المطبعة الوطنية ومكتبتها ، ١٩٨٥م .

برهان الدّين العبّوشي

(١٣٣٠ - ١٤١٥هـ) (١٩١١ - ١٩٩٥م)

* تقديم
* حياته ونشاطه
* جهاده
* وفاته في بغداد .. وتكريمه في جنين
* الأعمال الأدبية للشاعر برهان الدين
* شعره
* قصائد مختارة من شعره

تقديم

برهان الدين العبوشي .. مجاهد وأديب وشاعر .. من رجالات فلسطين ، ومن رموزها الوطنية التي ناضلت وخدمت القضية الفلسطينية .. كان فارس سِنان وبيان.. دافع عن بلده بيده ولسانه ..

وما زال أبناء جنين الذين عاصروا شبابه وجهاده يردّدون قوله :

من كان يطمع في الخلود ففي فلسطين الخلودْ
في قلبها سكن الشهيد وبالشّهيد غداً تعودْ

حياته ونشاطه

ولد برهان الدّين بن حسن بن قاسم العبوشي في مدينة جنين عام ١٩١١م ، وتلقّى دراسته الابتدائية في مدارس جنين .. ودرس المرحلة الثانوية في كلية النجاح الوطنية بنابلس .. ثم توجه إلى لبنان في عام ١٩٣١ ، وأكمل دراسته الثانوية في الكلية الوطنية في الشويفات .. وكان في أثناء دراسته بكلية النجاح الوطنية يشارك في النشاطات الثقافية والحركات الطلابية . وكان زملاؤه يقدرونه ويحترمونه لما عُرف عنه من روح وطنية وثّابة وطموح لتحقيق آمال شعبه .. لذلك كان حاضراً في كل مناسبة تستدعي الحركة والنشاط .

إلتحق برهان بالجامعة الأمريكية ببيروت في عام ١٩٣٣م .. وبسبب مواقفه الوطنية فإنه لم يتمكن من إكمال دراسته الجامعية فيها إثر صدور قرار فصله منها من قِبل إدارة الجامعة في مطلع السنة الثانية من دراسته .. فعاد إلى فلسطين وعمل موظفاً في البنك الزراعي العربي (بنك الأمة العربية) الذي كان يرأسه أحمد حلمي باشا .. فعمل في طبريا ثم نقل إلى القدس .. وأسهم في الحركة الوطنية الفلسطينية ، فكان من جماعة (المفتي) الحاج أمين الحسيني ، ومن المناصرين للشهيد عز الدين

القسّام .. وبعد عودته من بيروت انصرف إلى المطالعة حيث كان ميالاً إلى الأدب مما جعله يعيش حياة الشعراء من حيث التمرّد على الواقع المهزوم وعدم الرضوخ للغاصبين المحتلين .وكان له نشاط في حيفا مركز النشاط العمالي في ذلك الوقت .. وشارك في ثورة ١٩٣٦ ، وقام بحملة توعية في قرى فلسطين ضد البريطانيين والهجرة اليهودية إلى فلسطين .. فاعتقل في القدس ، ونفي إلى منطقة عوجا الحفير على حدود سيناء ، ثم نقل إلى معتقل صرفند ، ولما بلغت مدة اعتقاله ستة أشهر أُطلق سراحه ، ثم اعتقل ثانية وأودع في معتقل المزرعة قرب عكا لمدة عشرة أشهر .. وبعد إخلاء سبيله هاجر إلى بيروت ، ثم إلى دمشق ومنها إلى بغداد .. وعمل مدرساً بمدارس العراق من عام ١٩٣٩ إلى عام ١٩٤١ . واشترك في ثورة رشيد عالي الكيلاني ضد البريطانيين عام ١٩٤١م .. وبعد فشل الثورة وصدور أمر بإلقاء القبض عليه ، توجه إلى الموصل ، وتمّ تهريبه بواسطة العشائر البدوية إلى دمشق .. ثم عاد إلى مسقط رأسه جنين .. وعاد إلى العمل في البنك الزراعي العربي في حيفا ثم في جنين .. وفي حيفا عُيّن أميناً للسّر في مقر جميعة الشبان المسلمين .. وأسهم في مشروع صندوق الأمة العربية بتوعية الفلاح الفلسطيني بالحفاظ على أرضه أمام جميع المغريات الصهيونية التي استهدفت استلاب الأرض بشتى الوسائل ... ولما كانت حيفا مسرحاً لحوادث كثيرة ، فقد كان لبرهان الدين نشاط كبير ، وخاصة أنه من الخطباء المعروفين في المظاهرات والمناسبات الوطنية بالإضافة إلى أنه كان خطيباً موهوباً يتمتع بصوت قوي ونبرة حادة وأداء خطابي جيد .. وفي سنة ١٩٤٥ سافر إلى القاهرة مع الكشافة الإسلامية لشرح قضية فلسطين .. وشارك في معركة جنين عام ١٩٤٨ م مع المجاهدين الفلسطينيين ..

ولما توقف القتال في فلسطين ، وانسحبت منها الجيوش العربية ، أُصيب برهان الدين بالإحباط ، وهاجر إلى بغداد سنة ١٩٤٩م ، وعمل مدرساً للغة العربية..وتنقّل في مدن العراق المختلفة كالعمارة وسامراء والحلّة والديوانية والنجف

الأشرف ، واستقرّ به المقام أخيراً في بغداد حيث أُحيل إلى التقاعد من الثانوية المركزية عام ١٩٧٢م بعد أن مكث فيها قرابة ثلاث عشرة سنة ..

وكان بعض أصحابه من وجهاء العراق من رجالات السياسة الوطنيين قد بذلوا جهوداً لمنحه الجنسية العراقية ، فحصل عليها في عام ١٩٥١م ..

وفي عام ١٩٥٢ م تزوج من فتاة عراقية من عائلة آل الحافظ في مدينة الموصل ، ورزقه الله ولدين هما " سماك وحسن " .

وقد شارك شاعرنا في العديد من مؤتمرات الأدباء والكتّاب العرب في بغداد والقاهرة وغزّة ، وألقى خلالها قصائد شعرية خاصة بتلك المؤتمرات .. وكان شعره يُدرّس في كلية الآداب بجامعة بغداد .

وفي عام ١٩٩١م مُنِحَ وسام القدس للآداب والفنون من قبل السلطة الفلسطينية حيث قلّده الوسام الرئيس ياسر عرفات بحضور وكلاء وزارة الثقافة العراقية وعدد من رجالات الثقافة والأدب العراقيين والفلسطينيين في بغداد .

جهاده

كان برهان الدين فتى صغيراً لم يجاوز السابعة من عمره عندما قام الانجليز – بعد الحرب العالمية الأولى – باحتلال فلسطين .. ثم كان غلاماً يافعاً عندما بدأت الاضطرابات سنة ١٩٢٢ ، و١٩٢٤ ، و ١٩٢٧م .. وكانت هذه مقدّمات للمقاومة التي بدأها الشعب الفلسطيني ضد الخطر المحدق وضد سياسات الانجليز التي بدأ يتضح أنها تعمل على تنفيذ وعد بلفور بكل الطرق والأساليب لترسيخ الكيان الصهيوني الجديد في فلسطين ..

لقد تفتحت مدارك برهان على الدّنيا مع هبوب المشاكل على وطنه ودفق الخطوب على شعبه ، فكان يحسّ بما يجري حوله ويشارك فيه .. وقد ظهرت لديه مواقف وطنية وهو في المرحلة الابتدائية من دراسته .. فقد روى رفاق طفولته بأن

برهان قاد مظاهرة طلابية وهو في الصف السادس الابتدائي وذلك سنة ١٩٢٢م ، مما جعل السلطات البريطانية تعتقله وتقدمه للمحاكمة ، إلا أنه أُفرج عنه بسبب صغر سنه ولكونه لا يزال قاصراً .. ولكنه لم يهدأ وظلّ يتفاعل مع الأحداث التي كانت تتتابع وكان يشارك فيها بنشاط وافر .

ولما أصبح برهان الدين شابّاً كان وطنياً من جماعة المفتي الحاج أمين الحسيني.. ولم يكن يتردد في إظهار مواقفه الوطنية كلما لاحت له فرصة أو مناسبة.. وفي غمرة الأحداث كان في الحرم القدسي يوم جمعة ، وبعد صلاة الجمعة قام بتحريض المصلين ضد الاحتلال البريطاني وتآمره على فلسطين .. ورددت الجماهير الشعار الخالد :الله أكبر !! الله أكبر !! ولم يكن برهان يهدف من تحريضه مجرد التفريغ العاطفي وأن يقتصر الترديد على جنبات الأقصى وساحاته .. ولذلك هتف بهم صائحاً: الله أكبر في الجبال وليس هنا في الساحات والميادين .. وكان برهان من رفاق القائد الشهيد عبد القادر الحسيني ، الذي لم يخذله في هذه الحادثة، ولم يتركه فريسة سهلة للانجليز الذين حاولوا اعتقاله .. إذ أخذه عبد القادر إلى بيته بعد أن سلك به طريقاً بعيداً عن أنظار الانجليز وعيونهم .. ثم قام بإخفائه أياماً حتى ضلّل الانجليز وكفّوا عن التفتيش عنه ثم أخرجه من القدس آمناً.. وكان ذلك أثناء عمله في بنك الأمة في القدس ..

وكان برهان الدين من المناصرين للشهيد عز الدين القسّام .. وكان من الشباب الذين شاركوا في ثورة ١٩٣٦ م وكان لهم حضور في الساحة الفلسطينية ، فقد قام برهان بحملة توعية في قرى فلسطين ضد البريطانيين ، والهجرة اليهودية إلى فلسطين .. فاعتقل في القدس ، ونفي إلى منطقة عوجا الحفير على حدود سيناء ، ثم نقل إلى معتقل صرفند ، ولما بلغت مدة اعتقاله ستة أشهر أُطلق سراحه ..

ولما قام القسّاميون في يوم ١٩٣٧/٩/٢٦ باغتيال " أندروز " الحاكم البريطاني الذي قدّم للصهيونية خدمات كبيرة وأمعن في اضطهاد العرب ، وضاعف جهوده

لتنفيذ قرار التقسيم .. اعتقُل برهان ثانية وأودع في معتقل المزرعة قرب عكا لمدة عشرة أشهر .. وبعد إخلاء سبيله هاجر إلى بيروت ، ثم إلى دمشق ومنها إلى بغداد ، وعمل مدرّساً في العراق .

وكان عدد من الفلسطينيين قد ذهبوا إلى العراق على إثر انتهاء الثورة الفلسطينية ، ثم إنهم أخذوا يتدربون على أساليب القتال الحديثة ، وكان منهم المرحوم عبد القادر الحسيني ، والشاعر عبد الرحيم محمود .. وكان برهان واحداً منهم ، فقد كانوا إخوة جهاد تجمعهم آمال وتوحدهم آلام شعب تآمر عليه البريطانيون واليهود .

وعندما قام رشيد عالي الكيلاني بثورته عام ١٩٤١م انضم نفر كبير من هؤلاء الشباب إلى ثورته وساندوها وأيدوها .. وقد جرح برهان الدين في تلك الأحداث في معركة (صدر أبو غريب) . ولما تم القضاء على الثورة تشردوا ، وهرب برهان إلى سورية عن طريق الموصل ثم حلب ودمشق وإربد ، وتسلّل إلى فلسطين وعاد إلى أهله وذويه في جنين ، وعمل ثانية في بنك الأمة .

وكانت ملامح المؤامرة على فلسطين قد بدأت تتضح ، وأخذت أهدافها تتبلور ، وصار واقعها يترسخ .. ولذلك تصاعدت المقاومة الفلسطينية ، وانخرطت كل فئات الشعب في رفض هذه المخططات التي كانت تهدف إلى تهويد فلسطين وزرع الكيان الصهيوني فيها .. ولكن المخطط كان أكبر من طاقة الشعب الفلسطيني ، وكانت المؤامرة أكبر من قدراتهم المتواضعة وإمكاناتهم المحدودة ..

وفي عام ١٩٤٨ كانت بريطانيا قد انتهت من التمكين لليهود ، ومن تهيئة الظروف لإعلان دولتهم .. فأعلنت أنها ستسحب قواتها من فلسطين .. وفي تلك الفترة قامت الدول العربية بإرسال عدد من قواتها إلى فلسطين .. والتحق برهان بجيش الإنقاذ وقاتل معهم ضد اليهود ، وتعاون مع الجيش العراقي ، وشارك في معركة جنين مع المجاهدين الفلسطينيين .. وكان له دور جهادي مشكور ..

ولما بدأت القوات البريطانية تنسحب من فلسطين ، وتُسلم مواقعها للعصابات الصهيونية .. بدأ برهان الدين مع رفاقه في جنين يستعدون للدفاع عن مدينتهم .. وفي تلك الفترة بدأت القوات اليهودية تهاجم المدن الفلسطينية وتحتل القرى .. وعندما هاجم اليهود مدينة جنين بتاريخ ٣ / ٦ / ١٩٤٨ ، كان برهان ورفاقه في الجهة الشرقية الشمالية ضمن مجموعات أخرى من المناضلين الذين قدموا من القرى للدفاع عن مدينة جنين .. وثبت الشباب على قلة عددهم وعتادهم – أمام القوات الغازية ، واستشهد عدد منهم وجُرح آخرون .. وأصيب برهان بجرح بالغ في كتفه ، ونقل إلى المستشفى الوطني في نابلس للعلاج .

ولما قام الفلسطينيون والعراقيون بهجوم على القوات اليهودية التي كانت تتمركز في القرى التي استولت عليها شمال وشرق جنين ، شارك برهان في تلك المعارك ، كما شارك من قبل في الهجوم على المستعمرات في مرج ابن عامر .

وفاته في بغداد .. وتكريمه في جنين

توفي برهان الدين وانتقل إلى جوار ربّه بتاريخ ١٩٩٥/٢/٨م ، ودفن في مقبرة الشيخ معروف في الكرخ – بغداد .. وحزن عليه أهل جنين لأنه مات في ديار الغربة بعيداً عن وطنه الذي أحبه وناضل من أجله . ولم تكتب له الشهادة فيه وكان يتمناها، ولكنه مات في بلد الرشيد حيث انتقل إلى هناك بعد نكبة ١٩٤٨م .. وقد نعاه أبناء جنين وأبّنوه وكتبوا عنه وفاءً له ولذكراه ، وكتبوا عن نشاطه وجهاده ودفاعه عن وطنه .. وتحدّثوا عن أدبه وأشعاره التي ما زالوا يردّدونها ويحفظون الكثير منها ..

كتب عنه الشاعر المعروف ، خالد النصرة في صحيفة النهار فقال :

" انتقل المرحوم برهان الدين العبوشي إلى الرفيق الأعلى في ديار الغربة في بلاد الرافدين بعيداً عن مسقط رأسه جنين وعن مرج ابن عامر ، وبعيداً عن جسر

خرّوبة وطريق عين نينية ومطارح الشباب أيام كان يجوب تلك المواقع والرّبوع والمروج ساهماً مفكّراً ..

لقد أخذته الغربة قبل نحو خمس وأربعين سنة .. حملته من مروج جنين وجبالها إلى ربوع بغداد ومغانيها وهو في رونق الرجولة وأوج العافية ، وها هي الأنباء تحمل إلينا نبأ وفاته .. ثم رثاه فقال :

لا توقظوه فقد قضى برهان | وتلفّتت لضريحه الأوطان
أودى غريباً لم يفز بعناقه | وطن الشهيد ولا التقى الإخوان
جفّت على فمه أغاريد الهوى | والذكريات وماتت الألحان

وكتب عنه الأستاذ ياسين السعدي مقالاً بعنوان " شاعر من بلدي " ، في جريدة القدس في ١٩٩٥/٢/٢٣م .. وكان مما قاله :

" بعد توقف القتال في فلسطين عام ١٩٤٨ ، وانسحاب الجيوش العربية ، لم يتحمل برهان الدين هذا الموقف وأصيب بإحباط كبير ، وهاجر إلى بغداد سنة ١٩٤٩م .. وهناك عمل في التعليم حيث كانت مؤهلاته تسمح له بمثل هذا العمل .. وكان يزور جنين في أوقات متباعدة .. وتوقف عن الزيارة عام ١٩٥٨ م عندما حصل انقلاب في العراق ، وألقى قصيدة من إذاعة بغداد يمجّد فيها ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، مما أثار حفيظة الأردن عليه ، ولما استقرت الأمور بين عمان وبغداد عام ١٩٦٤م واصل برهان زياراته ، وزار والديه في جنين عام ١٩٦٥م بعد انقطاع دام ست سنوات متواصلة ..

وبعد سقوط ما تبقى من فلسطين لم يستطع الحضور لأن السلطات الإسرائيلية كانت ترفض منحه تصريح زيارة مما ألهب مشاعر الحنين والشوق عنده إلى مدينته وأهله . وقد روى أحد حجاج مدينة جنين أنه التقى برهان الدين في الحج في منتصف السبعينات وكان يطوف ويسأل عن أهل جنين وعن أهله وذويه ليطمئن عليهم

جيمعاً.. وكان كلما التقى واحداً منهم يستقبله بالدموع وهو في قمة التأثر والإنفعال . وعندما أدى فريضة الحج للمرة الثانية في عام ١٩٨١م إلتقى بعض أهل جنين في المدينة المنورة ، وكان نفس الموقف السابق من الانفعال لذكر جنين وذكر أهله ومعارفه وأصدقائه .. وأخيراً مات برهان بعيداً عن أهله ووطنه ، كما عاش غريباً عنهم " .

وكتب عنه الأستاذ مخلص محجوب ، في إحدى مقالاته عن مدينة جنين ، نبذة طلب فيها من وزارة التربية والتعليم الفلسطينية أن تطلق اسم الشاعر " برهان الدين " على إحدى مدارس مدينة جنين تخليداً لذكراه .

وكتب عنه الأديب الأستاذ أحمد الجدع في كتابه القيّم " معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين " .

وكتبتُ عنه في الموسوعة الفلسطينية (المعدلة) في عام ٢٠٠١ و ٢٠٠٢ ، باعتباره أحد رموز الحركة الوطنية الفلسطينية .

وفي ذكرى وفاته أقامت وزارة الثقافة الفلسطينية بتاريخ ٢٠٠٤/٢/٨ حفلاً تكريمياً تخليداً لذكرى الشاعر برهان الدين .. حضره جمع غفير من أبناء مدينة جنين .. وألقى فيه المحامي أديب العبوشي كلمة نيابة عن الأهل ، ذكر فيها نبذة عن حياة الشاعر وعن نشاطه وجهاده ..

الأعمال الأدبية للشاعر برهان الدين

ترك لنا برهان الدين مجموعة قيّمة من الكتب والمسرحيات الشعرية .. فقد صدر له في فلسطين كتابان وهما عبارة عن مسرحيتين شعريتين بالفصحى هما :

١- مسرحية " وطن الشهيد " .. صدرت في القدس عن المطبعة الاقتصادية عام ١٩٤٧ م .. حيث واكبت قرار التقسيم وبداية رحلة العذاب والتشرّد الطويلة .. وتقع

هذه المسرحية في ٨٦ صفحة من القطع المتوسط ، وقد أهدى تلك المسرحية إلى شهداء فلسطين فقال :

أهدي الكتاب إلى الشهيد فخير ما ... يُهدى إلى رجل الجهاد كتابُ

قد رُمْتُ أهديه المكارم كلها ... فإذا بها من فيضه تنساب ! !

٢- مسرحية " شبح الأندلس " .. صدرت في بيروت عام ١٩٤٩ م ، عن مطبعة دار الكشاف .. صدرت والجراح عاديات نوازف .. وفصول النكبة ماثلة للعيان ، وشبح فلسطين يومذاك يعانق شبح الأندلس فتمتزج دموع الشبحين .. وقد تحدّث في هذه المسرحية عن الصراع حول فلسطين منذ حرب ١٩٤٨ حتى الهدنة وانسحاب الجيش العراقي .. وركّز فيها على معركة جنين .. وفي آخر المسرحية سجّل قصيدة الضابط العراقي المقدّم محمود شيت خطاب ، والتي ألقاها أمام الجماهير في جنين ، يوم الاحتفال بالنصب التذكاري لشهداء معركة جنين ، وذلك قبل انسحاب الجيش العراقي من جنين .. وكان مطلع القصيدة :

هذي قُبورُ الخالدين فقد قَضَوْا ... شُهداءَ حتى يُنقذوا الأوطانا

أما بقية كتبه فقد صدرت في العراق وهي :

٣- عرب القادسية .. مسرحية شعرية ، صدرت في بغداد عام ١٩٥١م .

٤- جبل النار .. ديوان شعر ، صدر في بغداد عام ١٩٥٦م .

٥- النيازك .. ديوان شعر ، صدر في بغداد عام ١٩٦٧م .

٦- الفداء .. مسرحية شعرية ، صدرت في بغداد عام ١٩٦٨ م .

٧- إلى متى .. ديوان شعر ، صدر في بغداد عام ١٩٧٢م .

٨- جنود السّماء .. ديوان شعر ، انتهى من كتابته عام ١٩٧٤م ، وصدر في الكويت عام ١٩٨٥م ، عن لجنة إحياء التراث الأدبي الفلسطيني .

٩- مذكرات شخصية نثرية ، بعنوان :

من السّفح إلى الوادي ألبّي صوت أجدادي

صدرت في بغداد عام ١٩٨٠م .

شعره

برهان الدين أديبٌ عَمَرَ الإيمان قلبه ، وحرّك مشاعره ، وهذّب وجدانه .. وشاعرٌ حمل بين جنبيه حسّاً مرهفاً وشاعريّة فيّاضة ، رفَدَها بالاطّلاع الواسع والثقافة الدينية الممتزجة بالشعور الوطني الزاخر بحب الوطن .. أديبٌ عشق الشّعر وبرع في نظمه ، وساعده على ذلك أدوات توفّرت له من موهبة فطرية ، ولغة سليمة، وظروف مواتية تأجّجت فيها المشاعر الوطنية .. فهو ابن ثورة عام ١٩٣٦ م ، عاشها شابّاً ، ورافق إضراب الأشهر السّتة .. وهو ابن النشأة السليمة وأيام الخير والبركة التي فتح عليها عينيه ..

من يطّلع على شعره ، يجد شعراً راقياً ، وأسلوباً متميزاً ، فيه من الجزالة والجمال ما يمتع النفس ، ويغذي القلب ، ويهزّ الوجدان .. فشعره أدب موجّه لخدمة الإسلام والدفاع عن الوطن .. وقد استطاع من خلاله أن ينمّي الإحساس بالوطن وبالقيم الدينية ، وأن يسّجل جهاد شعبه بكلمات مضيئة وعواطف نبيلة ..

وقد نظم برهان شعراً رائعاً معبّراً ، في أكثر الأغراض الشعرية المعروفة ، وخاصة الوطنية منها وكان لفلسطين وطن الشاعر النصيب الأوفى من شعره ، وكان للنكبات التي حلّت بفلسطين أثر واضح على حياته الشعرية ، ولهذا فقد استأثرت قضيتها بمشاعره وأحاسيسه ، وسيطرت على فكره ووجّهت شعره ، فكان الإحساس بالنكبة لديه إحساساً كبيراً .

لقد سّجل بشعره ما عانته فلسطين السليبة من ظلم وجور ومؤامرات ، ووصف ما أعقب ذلك من نزوح وتشريد ، فكان يترجم الواقع وينقل المأساة بإحساس صادق

وشعور بالمسؤولية .. وهو من خلال نظمه لم ينقل همّه فحسب ، وإنما كان لسان حال أبناء شعبه ..

فعندما طلب الإنجليز من عرب فلسطين أن يُحالفوهم في الحرب العالمية الثانية بعد أن نكّلوا بهم أثناء ثورة سنة ١٩٣٦م ، وشردوهم وظاهروا اليهود عليهم.. فردّ برهان الدين على طلب الإنجليز بقصيدة عنوانها " لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين " قال فيها[1] :

أرْهقتُمونا وقرّبتمْ منايانا ... واليومَ تبغوننا ننسى ضحايانا
لم تتركوا فوقها أُنثى ولا ذَكَراً ... إلاّ قتلتم له أهلاً وأخدانا
ولم تُراعوا لأهل الدّين حُرْمتهم ... بل انتبذتم وراءَ الجورِ صبيانا
زاحمتمُ الله في الدُّنيا فقوّضكم ... وزلزل الأرض حيتاناً وعقبانا
وصاح فيكم فأشقاكم وشرّدكم ... وضاقت الأرض فيكم من خطايانا

ومنها قوله :

أبَعْدَما بِعْتُمُ صُهْيونَ حُرْمَتَنا ... وعِرْضَنا تبتغون العرب إخوانا
لا كانت العرب إنْ مدّت لكم يدها ... بغير سيفٍ تجلّت فيه أحزانا
إن كان لا بُدّ أنْ تبقى مواطننا ... مستعمرات فإنّ الموت قدْ هانا

ولهذا فقد وقف برهان كثيراً من شعره على المجاهدين في فلسطين ، يشيد ببطولاتهم ، ويشدُّ على أيديهم ، ويرثي شهداءهم ، ويدعو لنصرتهم .. ففي عام ١٩٣٦ عندما وصل إلى فلسطين القائد المجاهد سعيد العاص مع مجموعة من إخوانه

---

(١) ديوان " جبل النار " ، ص٧٦ .

من حماة .. وتوجهوا إلى جبال الخليل ، وخاضوا معارك بطولية ضد الانجليز ، واستشهد القائد سعيد العاص .. فحيّاه برهان ، ورثاه بقصيدة ، فقال على لسانه[1]:

يا جبال الخليل حيّاك ربّي ... أنتِ للأسد معقلٌ ومهادُ
لم تزل فوقك الكرامة تبدو ... فعسى مجدكِ القديم يُعاد!
قد وقفنا لكِ النفوس رخاصاً ... ودعانا لكِ الهوى والجهاد

وذكر في مسرحية وطن الشهيد أسماء بعض المجاهدين في تلك الفترة فقال :

يعيشون كالآساد بين هضابها ... ولجمعهم ترتاح عين الناظر
هذا أبو نعواش حامي ظعنه ... وأبو جراد نو الجبين الزاهر
وليوسف عليان نجم طالعٌ ... يغشى الأعادي بالسّلاح الباتر
انظر لعيسى التعمري وقد استوى ... فوق الرُّبى مثل الملاك الطاهر
وانظر إلى البطاط في ربواتها ... يرمي الأعادي كالهزبر الكاسر

وكان برهان يعتز بالجهاد وبمقاومة قوات الاحتلال .. ومن ذلك قصيدته التي يقول فيها[2] :

نُغامرُ لا نرضى سوى المجد موطنا ... ولسنا نُبالي إن نأى الموتُ أو دنا
وقفنا له قلباً حديداً وأنفُساً ... تحطّم في أرجائها الموت والفنا
لنا حقّنا الوضّاح لسنا نبيعه ... وكيف يبيعُ الحقّ من كان مؤمنا

وكان برهان في شعره حرباً على المتآمرين والخونة والمتخاذلين .. ولمّا باع آل سرسق – وهم أسرة لبنانية – أرضهم في مرج ابن عامر إلى اليهود ، ثار برهان لكرامة هذا المرج الذي شهدت أرضه معارك تاريخية فاصلة ، في مقدّمتها معركة

---

(١) مسرحية " وطن الشهيد " .

(٢) أعلام فلسطين ج٢ ، ص٢٠ .

عين جالوت التي هُزم فيها التتار أمام المسلمين ، ومعركة المرج التي هُزم فيها كليبر أمام أبطال جبل النار ، كما شهدت غيرها من المعارك .. ونظم قصيدة بعنوان : "المرجُ الحزين " ، قال فيها [1]:

مرج ابن عامر باعت مجدك العربُ ... واستأسد الغرب والشرقيّ يحتربُ
قد كُنتَ في الأمس فخراً من مفاخرنا ... وساحة فيكَ يجري العزُّ والغَلَبُ
يبيعُهُ العُربُ لا قلبٌ لبائعه ... وإنّما همُّه أن يُكْنَزَ الذّهبُ
يا مرجُ مالَكَ تجري فيك قافلة ... من الشّقاء وذا واديك ينتحب
يا أُمّة البيد يا أهل العراق أيا ... أهل الشام إلى مَ اللّهو واللّعب!
أكلّما صاح فيكم صائح وقرَتْ ... آذانكم..إنفروا فالمجدُ يُستلب

ولما قاربت بريطانيا على إنهاء مهمتها في فلسطين بعد أن مكّنت لليهود وهيّأت وضع البلاد لإقامة دولة لهم .. بينما كان العرب في تلك الفترة يغطّون في سبات عميق ويحيون حياة لا تسرُّ صديق .. نظم برهان أبياتاً في مسرحية " وطن الشهيد" يخاطب فيها نفسه فيقول :

عُدنا إلى طبع الوحوش ... إذن على الدّنيا العفاء
فليسعد المستعمرون ... ونحن نندب كالنّساء
سيري فصدر الله أفسح ... من صدور نوي الثّراء
عيشي وموتي حُرّة ... فالحرُّ عِزّته الوفاء

وبعد حرب ١٩٤٨م والتي كان فيها اليهود يمتلكون أحدث الأسلحة التي انهالت عليهم في الدول الغربية ، بينما لم يكن أبناء فلسطين يمتلكون سوى بنادق

---

(١) ديوان " جبل النار " ، ص٨ .. والمرج هو مرج ابن عامر الذي تقع على أطرافه حيفا وبيسان وجنين . وقد نشرت القصيدة سنة ١٩٣٣م .

قديمة معظمها ليس له ذخيرة .. وبعد فرض الهدنة ووقف القتال ، نظم شاعرنا أبياتاً في مسرحية " شبح الأندلس " قال فيها :

أخـــي مـــا ينفـــع الصّمـــصا ... مُ عنـــد الطعـــن والـــضربِ
فهـــذا العـــصرُ عـــصرُ المـــد ... فـــعِ الرّشـــاشِ والكتـــبِ
وفيـــــه ذرّة تكفـــــي ... لحـــرق الأرض والـــسّحب
فهـــيءّ جيلـــك الـــذرّ ... يّ تبلـــغ مرتقـــى الـــشّهب
مـــشى الغربـــيُّ في ركـــبٍ ... وســـرنا نحـــنُ في ركـــبِ
ولـــو ســـرنا علـــى نـــورٍ ... لَـــسُدنا أمّـــةَ الغـــرب

وبعد عام ١٩٤٩م ، وقد وقعت الكارثة وحلّت النكبة ، واستولى العدو الصهيوني على معظم فلسطين .. قال برهان في مسرحية " شبح الأندلس " يعبّر عن الحزن الذي غُرس في قلبه :

فـــلا تعـــذلوني إذا مـــا جُننـــتُ ... لأنّـــي غـــدوتُ بـــدون صـــواب!
تـــضيع بـــلادي وتنظـــر عـــيني ... وأرضـــى القعـــود وأرضـــى العـــذاب

وقال في مكان آخر من المسرحية :

لقـــد نـــسفوا البيـــوت ودمّروهـــا ... ومـــا وجـــدوا هنـــاك فتـــى رشـــيدا
ننـــام علـــى الأذى ونفـــرّ مـــنهم ... وقـــد مـــلأت جحافلنـــا النّجـــودا

وفي مكان آخر قال :

الـــذنب ذنـــبُ العـــرب كلّهمـــو ... فلا تنسوا خلافهمو الطويل المزدرى
وعـلام تختلـف الـرؤوس وما انتهوا ... من خصمهم وعلام قد فكّوا العُرى

وله أبيات متفرّقة من " شبح الأندلس " فيها عظة وبها عبرة ، قال :

جثمتْ على صدري مصائب أمتي ... وكأنهـــا جبـــلٌ هـــوى مـــن شـــاهق

حاولـــتُ أقذفـــه فنـــاء بكلكـــل وطفقـــتُ أنحتـــه بمعـــول حـــانق
فعجـــزتُ عنـــه ولم أجـــد مـــن حيلـــةٍ فرثيـــت نفـــسي واســـتجرتُ بخـــالقي !

ومع هذه الشّدة التي ألمت بشعب فلسطين ، والإحباط الذي أصاب برهان وأبناء فلسطين .. مع هذا كله فقد كان لبرهان ذكريات عزيـزة ومواقـف طيّبـة مـع الـشقيقة مصر ومع شعبها الأبيّ المجاهد .. فكان برهان قد ذهب إلى القاهرة سنة ١٩٤٥م مـع الكشافة الإسلامية لشرح قضية فلسطين وبعدها شاهد أبنـاء مـصر المجاهـدين الـذين كانوا على صلة مستمرة مع القدس وفلسطين في عامي ٤٦ و ١٩٤٧م ، وشاهد جهـادهم في فلسطين عام ١٩٤٨م .. ولتأكيد هذا التواصل نظم قصيدة قال فيها[1] :

سـرى الرّكـب مـشتاقاً يحـنّ إلى مـصر يـــزفّ ســلام القــدس للبلــد النَّــضرِ
يعبّـــــر عـــــن آمالـــــه بـــــشبابه ويرفـــعُ آيَ الـــشكر للـــسّادة الغُـــرِّ
إلى بلـــدٍ فاضـــت أيـــاد يـــه بالنـــد ى على أمّة شـادت فـساد ت علـى الـدّهر
فهـــل عنـــدكم يـــا أهـــل مـــصر بقيّـــةٌ تبـــدّل ذلّ القـــدس بـــالعزّ واليـــسر
فـإن تـسلمي يـا مـصر فالـشرق سـالمٌ وإن تنفـري ننفـر إليـك علـى ضـمر
وإن تـــدعنا يـــا نيـــل للـــرّوع نأتـــه جنـــوداً فـــإنّ الـــشَّرَّ يقـــرعُ بالـــشّرِّ
نمـــوت ونحيـــا والأخـــوّةُ ديننـــا ونهتـــفُ بالتوحيـــد حتـــى مـــن القـــبرِ

وكان برهان شابّاً وطنياً متديناً ، امتـازت ثقافتـه بطابعهـا الـديني ، ويظهـر ذلك جليّاً في شعره .. ومن ذلك قصيدته التي نظمها بمناسبة ذكرى الإسراء ، وألقاها في دار الإخوان المسلمين بجنين في ١٩٤٧/٦/١٦م ، وكانـت بعنـوان " في الرّسـول " ، وهي أقرب ما تكون إلى النشيد .. قال فيها :

---

(١) معجم الأدباء الإسلاميين ج١ ، ص٢٠٩ .

في البكــــورْ　　في حِمَى الكعبةِ　　طــاف نـــورْ
يـــــستجيرْ　　أمّـــتي أمـــتي　　يـــا غفـــورْ
أنصر المـؤمنينْ　　واحفظ المسلمينْ
من أنى العابثينْ　　يا إلهي الـرّحيمْ
أمّــــــــتي　　قد تولّى الغريبْ　　قــــــــبلتي
فـــــاثْبتي　　للزمـان المريـبْ　　أُثْـــــــبُتي
أبشري لن يسودْ　　في حِمانا اليهـودْ
إقصفي يا رعـودْ　　واخفقي يا بنـودْ
وازحفوا يا جنودْ　　واستعيدوا القديمْ

وطرق برهان في شعره موضوعاً تفرّد بـه .. فقد نظم قصيدة طويلـة بعنـوان "الفرقان" . اقتبس أبياتها من سُوَر القرآن الكريم كلّها ، ووضع اسم كل سورة عنونـاً لبيت أو أبيـات شعرية اقتبسها من الـسورة .. والقصيدة مليئـة بـالحِكَم والمواعظ والتعاليم الإسلامية التي وردت في سور القرآن الكـريم .. وهـو بهـذه القصيدة يـدعو جميع المـسلمين إلى الإقبـال علـى تـلاوة القـرآن الكـريم ، تـلاوة فهـمٍ وتفكّـرٍ وتـدبُّرٍ والتزام.. وفيما يلي مقتطفات من هذه القصيدة [1] :

الفُرقان

إلــه العــرش يــا مــن مــدّ بحــراً　　مــن الغفــران أرجــو منــك غفــرا
خلقــت الكــون مــن عــدمٍ فأضــحى　　بفـــــضل يـــــديك آلاءً وســـــحرا
وهيّـــأتَ الثـــرى رزقـــاً ومـــأوى　　وللأخــــرى جعلــــتَ الــــرزق أجــــرا

(١) ديوان "جنود السّماء" ، ص٤ .

الفاتحة

وأنزلـــتَ الكتـــابَ هـــدىً ونـــوراً بفاتحـــة تزيـــد القلـــب بـــشرا
حمـــــدنا واعتمـــــدناهُ كتابـــــاً يجـــودُ برحمـــةٍ ويـــردّ شَـــرّا

آل عمران

وكانـــــت آل عمـــــرانٍ وفـــــاءً تمـــدُّ نـــساءنا بـــرّاً وطُهْـــرا

النساء

فـــآلاء النـــساء تجـــلّ فعـــلاً وتمـــنح قلبنـــا حُبّـــاً وقَـــدْرا

الأعراف والأنفال

وللأعـــــراف نـــــورٌ أيّ نـــــورٍ يـــتمُّ بهـــا سَـــنا الأنفـــال بَـــدْرا

هود ويوسُف

وحـــسبك عـــبرة أصـــحاب هـــودٍ ويوســـفُ إذ رمـــاه نووه مَكْـــرا

الرعد

ومـــن عجـــبٍ نـــرى رعـــداً يُـــدوّي بتـــسبيحٍ ونـــسكتُ نحـــن كِبْـــرا

إبراهيم

ولـــو كنّـــا كـــإبراهيم عقـــلاً عرفنـــا الله لم نعبـــده صـــخرا
أقـــام بمكّـــة حينـــاً وأمـــضى بـــأرض القـــدس عمـــراً كـــان فخـــرى
وفي أرض (الخليـــل)ثـــوى نبيـــاً نعمـــتَ أيـــا(خليـــلُ) حِمـــىً وقـــبرا
فجـــدُّ الأنبيـــاءِ أبـــو أبينـــا رســـولُ الله مجّـــدَه وأطـــرى
فـــدع عنـــك افتئـــات يهـــودِ شـــؤم فليـــسوا منـــه إبـــراهيم يَبْـــرا

الإسراء

ولـــيس لهـــم بقـــدس الله أرض لنـــا المـــسرى ، بطـــه الله أســـرى

مريم

ومـــريم حقهـــا فينـــا فإنـــا نُقـــدّس طفلـــها سِـــراً وجهـــرا

فقـــد ولـــدَ المـــسيح (ببيـــت لحـــم) وأنـــتم جئـــتم مـــن مِـــصر قَـــسْرا

طه

وطاهـــا زارهـــا ودعـــى ولبّـــى وعـــرّج في الـــسماء وعـــادَ فجـــرا

ســـيرجعها صـــلاح الـــدين مـــنكم فبالإســـلام عَـــزَّ صـــلاحُ دهـــرا

الفتح

فجاهَـــدَ ثـــمّ جاهـــدَ يـــوم فـــتحٍ فكـــان جهـــاده للعـــزّ جِـــسْرا

وكـــان لـــه مـــن الأبطـــال جيـــلٌ غـــزا العُـــزَّى بهـــم وأذلّ(نَـــسرا)

وهـــيمن بعـــده الأبطـــال شـــرقاً وغربـــاً في فلـــسطين ومِـــصرا

وجـــاء بُعيـــدهم جيـــلٌ أضـــاعوا فـــذاقوا مـــن ضـــياع الـــدين خُـــسْرا

البروج والطارق

يـــرى ذات الـــبروج غـــدت لهيبـــاً وطارقهـــا غـــدا نُتَفـــاً وذَرّا

القدر والبيّنة

فقـــم في ليلـــة القـــدر ابتهـــالاً ببيّنـــة وإلاّ مُـــتَّ صِـــفْرا

الفلق والناس

أعـــوذ بخـــالق فلقـــاً صَـــبيحاً بـــربّ النـــاس والأكـــوان طُـــرّا

مـــن الـــشيطان إنـــساناً وجنّـــاً مُفَـــرّق أمّـــة الإســـلام شَـــذْرا

(فبرهـــان) ليرجـــو الله نـــصرا على الأعـدا ويرجـو منـه أجْـرا

وأســألـه تعـــالى العفـــو عنّـــا إذا مُتنـــا وعـــاد الكـــون قـــبرا

ولشاعرنا قصائد اجتماعية .. منها قصيدة طويلة بعنوان (الحَيْمَنُ الإنسان) ، نظمها في بغداد بتاريخ ١٩٧١/٣/٢٥م .. وأخذ معانيها من الآية الكريمة ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ [الطارق : الآية ٥] .. هذه القصيدة فيها الكثير من التّفكّر في خلق الإنسان ، وفيها عرض لمراحل ومسيرة حياته ، منذ كان نطفة وحتى يعود إلى بطن الأرض .. قال فيها[1] :

يا (حيمناً) سال من ظهر إلى رحم حتى استقرّ على وهن وفي وَخَمِ

قل لي أكنت زعيماً في الحشا ملكاً أمْ كنت فيه أميراً غير مُتّهَمِ

أم كنت فيه جباناً لا تطيق فدى أمْ عالماً خاض بحر العلم والحِكَمِ

❋ ❋ ❋

ومُذْ برزت تلقّتك المنون يداً فرحت تصرخ يا مجنون مِنْ ندم

وقمت تَدْرُجُ فوق الأرض مُعْتَمِداً على الجدار وفيك الوهن مِنْ قِدَمِ

وإن غدوت قويّاً رُحْتَ مُنْسجماً مع الغرور نسيتَ الماء في الرَّحِمِ

كما نسيت الذي سوّاك مُضغَتَهُ فَرُحْتَ تكفر بالرحمن ذي الكرم

غداً تعود لبطن الأرض تسألها نزلت من رحم أشقى إلى رحم

---

(١) ديوان " إلى متى " ، ص٢ .

قصائد مختارة من شعره

١

الوطن المبيع

فلسطين .. أرض وطن وعقيدة .. أرض طُهْر وقداسة ..

فلسطين .. أرض قادة ميامين .. وأجداد فاتحين ..

فلسطين .. أرض رباط منذ دخلها الإسلام وإلى يوم القيامة ..

هذه الأرض تعرّضت لكثير من مؤامرات الحاقدين وهجمات الطامعين ، في فترات الضعف والغفلة التي مرّت بالأمة الإسلامية .. فقد هاجمها الصليبيون في تسع حملات صليبية .. وهاجمها المغول والتتار .. وهاجمها الفرنسيون في نهاية القرن الثامن عشر ليستعمروها ويقيموا فيها دولة لليهود .. وطردوا جميعاً منها بعد معارك طاحنة قادها أبطال الإسلام ..

وفي أواخر القرن التاسع عشر تآمر عليها الصليبيون الجُدد واليهود والماسون ، ليقيموا فيها دولة لإسرائيل .. فبعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧م في مدينة بال في سويسرا ، حاول هيرتسل التأثير على السلطان عبد الحميد الثاني بغية استيطان اليهود في فلسطين .. وكانت الدولة العثمانية في تلك الفترة تعاني من مشكلات مالية متعدّدة .. وكانت هذه الثغرة هي السبيل الوحيد أمام هيرتسل كي يؤثر على سياسة السلطان عبد الحميد تجاه اليهود .. يقول هيرتسل في مذكراته :

" علينا أن ننفق عشرين مليون ليرة تركية لإصلاح الأوضاع المالية في تركيا .. مليونان منها ثمناً لفلسطين ، والباقي لتحرير تركيا العثمانية بتسديد ديونها .. ومن ثم نقوم بتمويل السلطان بعد ذلك بأي قروض جديدة يطلبها " ..

وبعد محاولات كثيرة من هيرتسل ، وضغوط متواصلة على الدولة العثمانية من أجل فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية ، قال السلطان عبد الحميد[1] :

" انصحوا الدكتور " هيرتسل " بألاّ يتخذ خطوات جدّية في هذا الموضوع ، فإني لا أستطيع أن أتخلّى عن شبر واحد من أرض فلسطين .. فهي ليست ملك يميني.. بل ملك الأمة الإسلامية .. لقد جاهد شعبي في سبيل هذه الأرض وروّاها بدمه .. فليحتفظ اليهود بملايينهم .. وإذا مُزّقت دولة الخلافة يوماً فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن .. أما وأنا حيّ فإنّ عمل المبضع في بدني لأهون عليّ من أن أرى فلسطين قد بترت من دولة الخلافة وهذا أمر لا يكون .. إني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة .." .

وأمام المواقف الصلبة للسلطان بعدم السّماح لليهود بالاستيطان في فلسطين .. ركزوا هجومهم على دولة الخلافة .. فثبت في وجههم السلطان المجاهد عبد الحميد ثلث قرن من الزمان .. ولكن الهجوم والمؤامرات كانت أكبر وأقوى منه ، فسقطت دولة الخلافة .. وتولّت بريطانيا رعاية اليهود ، والتمكين لهم في فلسطين .. وفي الفترة التي سيطرت فيها بريطانيا على فلسطين قامت بفرض الضرائب الباهظة على الفلاح الفلسطيني ، ووضعته في ظروف صعبة .. وأطلقت السّماسرة من داخل فلسطين ومن خارجها لشراء الأرض بأي ثمن ! !

وأمام هذه الهجمة المسعورة .. كان للعلماء والأدباء دور كريم في التوعية وتحريم بيع أي شبر من أرض فلسطين .. وكان لشاعرنا برهان الدين نشاط كبير في هذا المجال .. ومن ذلك النشاط هذه القصيدة التي نظمها بعنوان " الوطن المبيع " ، وألقاها في مؤتمر صندوق الأمة العربية في جمعية العمال العرب بحيفا في ١٩٤٥/١/٢٣

---

(١) د. عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية ، ج٢ ، ص٩٩٠ . وصالح مسعود أبو يصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، ص٣١ .

أبيات القصيدة (١)

إخفض جَناحَ الذُّلِّ للوطن الذي ... روّاك من أكوابه ورضابه
واحذر عذاب الله لا تكن الذي ... باع الأمانة فاكتوى بعذابه
إنْ بعتها بعت السماحة والندى ... بعت الكرامة أينعت بجنابه
أ تُعِزُّه لمَّا حَبَاك بخيره ... وتشيح عنه إذا الجوادُ كبا به
أسفاً عليك خرجت عن سُنَن التُّقَى ... ورَضِيْتَ بالذُّلَّ المشين وعابه
لا بدع من هانت عليه بلاده ... هان العزيز عليه من أنسابه
إن كان تعظيم البلاد بشعبها ... فهو العزيز الحُرُّ في أترابه
أو كان تعظيم البلاد لمعدن ... فمعادن الأخلاق كل ترابه
ولقد عجبت لمن يبيع ترابه (الـ ... مجبولَ) بالدم، ما جرى لصوابه!؟
هل جُنَّ يا ليت الجنون حليفه ... فأصون نفسي عن جنون عتابه
كَلاّ فقد ألفى هنالك أمة ... أخْنَى عليها دهرها بذبابه
فمضى يسمسر تارة ويبيع ما ... ترك الغُزاة الصيد من أحسابه
لو كان يعلم في الشباب حَمِيَّةً ... لارتدّ من فزع على أعقابه
لا يأمننّ النذلُ طولَ أناتِنا ... فغداً يلاقي النذلُ كُلَّ عقابه
وطني فداه دمي وما ملكت يدي ... وإذا فديت قضيت بعض حسابه
كم من بنيه وإنْ أمِنْتَ لقاءه ... خصم تزمّل ماكراً بأهابه
والله لو جعلوا الكواكب في يدي ... لنبذتها تهوي على أعتابه
وأعزُّ ما نرجوه نحن شبابه ... أنْ نحمل الرايات فوق هضابه

---

(١) ديوان " جبل النار " ، ص١٢ -١٣ .

يـا ابـن الـبلاد وأنـت كـل رجائهـا ... يـومُ الجـلاء إسمـعْ نعيـق غرابـه
مـا مَـسَّ أندلـسـاً يمـسك مثلـه ... فابـذلْ لـه تلحقْـه قبـل ذهابـه
وطـن حـواك بحاضـنيه وقلبـه ... أضـحى يُـسام الخـسف مـن أحبابـه
قـد شـرّدوا العربـي عـن أوطانـه ... قـد جـردوا العربـي مـن أثوابـه
لا تعـذلوا الـشعب الفـتيّ فإنـه ... آوى الـشريد فراعـه بخرابـه
لا تعـذلوا الـشعب الفـتيّ فـإنهم ... دسـوا لـه سُـمّاً بحلـو شـرابه
انظـر إلى البحـر الخظـم تلاطمـت ... أمواجـه غـضباً علـى سُـلاّبه
يبكـي الأسـاطيل الـتي كانـت لنـا ... أيعـود أسـطول لنـا بعبابـه؟!
(والكرمـل) المحـزون بعـد هنائـه ... يلقـى الأذى والـذلّ مـن أغرابـه
قـد أقفلـوا الأبـواب مـا تركـوا لنـا ... والبيـت يـؤتى آمنـاً مـن بابـه
مـاذا تبقّـى غـير قـاع أجـرد ... نرعـى مـع القطعـان مـن أعـشابه
لهفـي علـى الليـث المهـدد غابـه ... قـد كـان أجـدر أنْ يمـوت بغابـه
والحـرّ يـدفع عـن حمـاه بـسيفه ... فـإذا تحطـم سـيفه فبنابـه
فلـنمش للمـوت الـزؤام كمـا مـشى ... جـيش الـنبي بـشيبه وشـبابه
جـيش مـن الجـبروت شـقّ طريقـه ... في الأرض حتـى أذعنـت لحرابـه
فهنـاك أوربـا تـدين بدينـه ... وهنـاك يـأجوجٌ مـشى بركابـه
والبحـر مـضطرب تعـج سـفينه ... (ذات الصواري) خضّبت بخضابه[1]
والغـرب تلميـذ لنـا فاعجـب إذاً ... لِمُعَلِّـم قـد سِـيْمَ مـن طلابـه !
زعمـوا بـأن كتابـه حَـلَّ لنـا ... عجباً وهـل يـشقيك غـير كتابـه![2]

---

(١) معركة ذات الصواري العربية التي وقعت في البحر الأبيض المتوسط بين جيش الأمويين والرومان .

(٢) إشارة إلى الكتاب الأبيض الذي أصدرته الحكومة البريطانية تفسيراً لحل قضية فلسطين .

حكمـوا الممالـك بالكتـاب فـأزرق ... أو أبـيض يغريـك لمـع سـرابه

وهنـاك شـرذ مـة تقـول بقولـه ... وبـلاء الاسـتعمار مـن أذنابـه

أ إذا حُرمنـا دولـة عربيـة ... نِمْنـا علـى ضَـيْمِ العِـدا وسـبابه ؟!

لم تـسمع الـدنيا بمثـل مُـصابنا ... ومـصاب هـذا الـشعب مـن أنـصابه

فـإذا تملمـل للخـلاص رأيـتهم ... رفعـوا سـيوف الـبطش فـوق رقابـه

بلـغ الأسـى والحقـد فينـا مبلغاً ... قـد كـاد يخـرج عـن حـدود نِـصابه

فلعـلّ هـذا الحقـد يـضرم نخـوة ... في جيلنـا ويهـزّ مـن أعـصابه

فيَهُـبُّ كـالمجنون يـدفع غـارةً ... تجتاحـه في سـهله وشِـعابه

فيزلـزل الـدنيا بغـضبته كمـا ... قـد زلـزل الرومـان في قرضـابه

فالمجـد لا يُبنـى بغـير جمـاجمٍ ... والمجـد تحميـه سـيوف غـضابه

إن كـان الاسـتقلال يؤخـذ عُنْـوَةً ... والمـوت فيـه فـنحن مـن أربابـه

قصائد مختارة من شعره

٢

معركة جنين

معركة جنين من المعارك التاريخية الكبرى التي حدثت بين المجاهدين العرب ، والقوات الصهيونية في فلسطين .. فعندما بدأت القوات البريطانية بالانسحاب من فلسطين عام ١٩٤٨م – بعد أن مكّنت لليهود فيها – قامت القوات الصهيونية بالإغارة على المدن والقرى الفلسطينية للاستيلاء عليها .. وفي السادس عشر من أيار بدأ اليهود بتنفيذ مخططهم للزحف على جنين ومنها إلى نابلس وطولكرم .. وقاموا باحتلال القرى الواقعة شمال جنين .. وحشدوا قوات ضخمة في منطقة العفولة .. وفي ليلة الخميس الثالث من حزيران ١٩٤٨م ، انطلقوا نحو مدينة جنين بجيش كبير زاد على الخمسة آلاف .. ولم يكن في جنين في تلك الليلة سوى عدد من المناضلين من أبناء منطقة جنين لا يتجاوز ثلاثمائة مناضل ، فدافعوا عن مدينتهم دفاع الأبطال .

وتمكن جيش الهاجاناة من دخول المدينة واحتلالها .. وهبّ أبناء قرى جنين لنجدتها بما يملكون من بنادق قديمة وفؤوس وعصيّ .. ووصلت نجدة عراقية من خمسمائة جندي يقودها المقدم عمر علي ..

وبعد معركة طاحنة ، تمكن الجيش العراقي والمقاومة المحلية من أبناء منطقة جنين ، من إخراج اليهود من جنين وتكبيدهم خسائر فادحة .. وانتهت المعركة بنصر مبين للمجاهدين الذين أرغموا اليهود على مغادرة المدينة تاركين أكثر من ألف قتيل ..

وكانت جنين المدينة الوحيدة التي احتلها اليهود وأُخرجوا منها بالقوة .. والأهم من هذا أن طردهم من جنين أخّر احتلالهم للضفة الغربية بأكملها مدة تسعة عشر عاماً ، أي حتى عام ١٩٦٧م ..

وبعد المعركة أقام الجيش العراقي – قبل انسحابه من جنين – بالتعاون مع بلدية جنين نصباً تذكارياً متواضعاً وسط المدينة ، لشهداء معركة جنين .. وتم الاحتفال بإزاحة الستار عن النصب التذكاري ، حيث ألقى أحد كبار الجيش العراقي في ذلك الوقت المقدّم محمود شيت خطاب قصيدة رائعة ، قال فيها :

هذي قبورُ الخالدين فقد قَضَوْا ... شهداءَ حتى يُنقذوا الأوطانا

وقال :

أجنينُ لا أنسى البُطولَة حيّةً ... لبنيكِ حتى أرتدي الأكفانا

إنّي لأشْهدُ أنّ أهلكِ كافحوا ... غزْوَ اليهودِ وصارعوا العدوانا

وكان شاعرنا برهان الدين من الشباب المناضلين الذي شاركوا في القتال ودافعوا عن مدينة جنين .. وبعد النّصر الذي تحقّق نظم قصيدة بعنوان " معركة جنين " .. وقد نشرتها جريدة اليقظة البغدادية في ١٩٤٨/١٠/٨م ، في عددها رقم "٤٢٦ " .

أبيات القصيدة (١)

===========================

بينما الناسُ في أسىً واكتئابِ ... والمنايا تطوف فوق الروابي

وذوات الجناح تُلقي علينا ... لَهَبَ النار منذراً بالخرابِ

وأزيز الرَصاصِ ينهل (كالغيـ ... ـث) ولاحَ الوجوم في كل بابِ

---

(١) ديوان " جبل النار " ، ص٢٤ .

وشباب الحِمى تساعوا أُسوداً   من (جنين) وحولها كالعبابِ

يصدمون الغُزاة بالعزم و (النا   ر) كِراماً وبالمدي والحِرابِ

وسلاح العدى حَديدٌ ونارٌ   وجناحٌ يطير فوق السحابِ

بينما الأهل بين كَرٍّ وفَرٍّ   ورحيلٍ ودهشةٍ وارتيابِ

بينما الطفل قد تلاشى أبوه   وذوات الحجاب دون حجابِ

وذوو المال والوجاهة طاروا   يَتَمَنَّوْنَ جُرْعَةً من شرابِ

يتحامون بالغصون لتحمي   لدغة الشمس وهي سوط عذابِ

بينما الأفقُ مُكفَهِرٌ عبوسٌ   ليس في الحَيِّ غَيْرُ نَعْقِ غرابِ

وشباب وبضعة من شيوخ   لم يروا للنجاة غير سرابِ

بينما الفاتحون عمرو وسعد   وصلاح في حسرةٍ واكتئابِ

بينما الناس بين هذا وهذا   وإذا بالبشيرِ فوق الهِضابِ

فتساءلت مدنَفاً رَبِّ من ذا   قال جيش العراق زَيْنُ الشبابِ

جيش سعد وخالد وصلاح   جيش ربِّ السماء ربِّ الكتابِ

فتشهَّدْتُ ثم ثُرْتُ وإنّي   أحمل الجُرْحَ تحت طَيِّ ثيابي

لأرى البأس والرجولة و(الإيمـ   ـان) تمشي مع الأسود الغِضَابِ

ونسيت العذاب والهَمَّ والغَمَّ   نسيت الأذى وهول المُصابِ

مُذْ رأيت الوجوه تَبَسَّمَ (بالبشْـ   ـر) لجند العراق والأحبابِ

مُذْ رأيت الجنود تقتحم الخصم   وتُرْخِي الحُسامَ فوق الرِقابِ

مذ رأيت النجوم في العَلَمِ (الحُـ   ـرِّ) تهادى على متون الروابي

مذ رأيت اليهود تهرب (كالبهـ   ـم) وتلقي السلاح فوق التُرابِ

كيـــف لا يبـــسم الـــتراب وفيـــه بطــــل الرافـــدين حـــر الأهـــابِ

قـــد أقمنــــا لــــه المنـــارة ذكـــرى وهـــو في قلبنـــا عزيـــز الجَنـــابِ

فـــاحفظوا حقَّـــه وصـــونوا ثَـــراه بنفـــــيس الـــــدما وبالألبــــابِ

لا أرى هُدنــــــةً تـــــبرّر نومــــــا بـــــل أعِـــدُّوا وجنِّـــد وا لحـــسابِ

مغرب الشمس يحسد الشرق فاحـذر يـــا فتـــى المـــشرقين مَكْـــرَ الـــذئابِ

حَـــسْبُكُمْ عِبْـــرَةَ عـــذاب (فلـــسطيـــــن) تـــــربّت وأهلـــها في الخـــرابِ

قصائد مختارة من شعره

٣

إلى متى

بعد فرض الهدنة في فلسطين وتوقُّف القتال ، وانسحاب الجيوش العربية .. هاجر برهان عام ١٩٤٩م إلى بغداد .. هاجر بجسمه ولكنَّ الروح والعين والكبد بقيت في فلسطين . . هاجر وهو يحمل الأسى لِما حلّ بأرض الإسراء من محن وابتلاء .. ولِما أصاب شعبها من شتات ..

ومرّت به الأيام والسّنون ، وهو يترقب يوم العودة الظافرة .. وينتظر اليوم الذي يعود فيه إلى جنين وفلسطين .. التي لم تبتعد عن مخيلته يوماً من الأيام ولا ليلة من الليالي .. ويهزّه الشوق إليها .. فينظم قصيدة بعنوان " إلى متى " يبثُّ فيها ألمه وحرقة كبده للمصاب الجلل ، وطول الغثاء الذي حلّ بالأمة .. ويدعو إلى الوحدة والإيمان والعزيمة ، والإعداد لتحرير الوطن المغتصب ..

أبيات القصيدة

شطّ المزار ولكنْ قلبُنا يَقِدُ ... والروح هائمة والعين والكَبِدُ
لُقيا الأحبّة يُحييني ويؤنسني ... أمدّ قلبي لهم إنْ لم تُمَدَّ يدُ
علانيَ الشيب لكن لم ينل وطراً ... من همّتي فمشيبي تحته أسدُ
ألم تروا أنني جدّدت أجنحتي ... فطرتُ من دجلة الأحرار أجتهد
أطير فوق ربى الأردنّ مُلتفتاً ... إلى فلسطينَ وهي القلب والجسد
لأنتشي بسجايا من شمائلها ... لعلّ قلبي الذي ينشقّ يبترد

فإنهـا نفحـة مـن معـشر ركعـوا عنـد الخلـيج وفي الإسبان قـد سجدوا
هنـا ذكـرتُ رسـول الله حيـث سرى علـى البُـراق وكـل الخلْـق قـد هجـدوا
إنـي لأُنـشد شـعري الحـرّ في بلـدٍ جـدّ الرسـول بـه يُـصغي لمـن نـشدوا
لعـلّ قـوم رسـول الله تـسمعني آذانهـم فيعـودوا مثلمـا وُجِـدوا
لقـد وقفـتُ هنـا مـن قبـل ممتـشقاً سيفاً وعـدتُ لأبكـي فيـه مـن لُحِـدوا
دعنـا مـن الـشّوق ولْنفحصْ مريـضتنا ثُـمَّ لْنُـسائِلْ أُسـاةَ العُـرْبِ لِـمْ جمـدوا
ما لـي أرى النـاس قـد عـزّوا بتربـتهم ونحـن في أرضـنا التمزيـق والبَـدَد
أَمَـا بهـم نخـوةٌ تُرجـى لأنفـسهم أم قلـبهم مـرض أم عيـنهم رمـد
فـيمَ احتفـالكم والجـنّ قـد مَـرَدوا وذاك مـسرى رسـول الله مُـضطهَد
إن الإبـاء ليـأبى أن نُحدِّثـه عـن المكـارم والأعـراض تُفتقَـد
ألم تـروا كيـف بـتُم ألـفَ شـرذمةٍ شـعارها الجـبن لم يأبـه لهـا أحـد
هـذا دخيـل وهـذا تـابع وتـرى أخـاك تقتلـه الأطمـاع والحـسد
مـلأتمُ الأرض تعـداداً وأمـتكم ذليلـة يعتليهـا الـسيف والـصفد
فـنحن في الأرض آلاف مُؤلّفـةٌ لكننـا كغُثـاء الـسيل ننجـرد
ولـيس يـنفعكم في ذلكـم عـددٌ فعُدّة الحـرب تحمـي الحـق لا العَـدَد
إن ثـرتُمُ فعلـى الأوطـان ثـورتكم وخـصمكم بيـنكم مـا زال يَحتـصِد
إلى متـى ولهيـب الـذعر يُحجمكـم عـن خـوض معركـة في القـدس تتّقـد
إنْ تبتغـوا الله في الـذكرى فـدونكم مـسرى الرسـول فـأتّوا حقـه تجـدوا
دعـوا البكـاء وخلّـوا النـدب واعتمـدوا علـى العزيمـة والإيمـان واتّحـدوا
إن اعتمـدتم علـى الأقـوال سـفّهكم إلهكـم ونـأى عـن أهلـه البلـد

هل كان جيشُ صلاح الدين جيشَ دُعَا … أم كان جيشَ جهاد صانه (الأحد)
القادسية واليرموك شاهدةٌ … لدين طه وذي (بدر) وذي (أُحُد)
تجلّلت كلها بالسيف أيّدهُ … قرآننا في صدور زانها الزرد
قرآننا النور لم يترك لدارسهِ … إلا الحقيقةَ أنّ الصدق مُعتمَد
يا ما أُحيلى شبابَ العرب زيّنهم … قرآنُهم في أتون الحرب إذ صمدوا
ومادتِ البيد واهتزّتْ بأندلس … جبالُها لشباب قادهم أسد
ونحن أحفادهم والشبل من أسدٍ … ومن يُخلّف تراثاً صانه الولد
تراثهم بات نهبَ الإنجليز ومَنْ … يُهمِلْ تراث أبيه عضّه الكمد
يبيع (بلفورُ) غيلاً ليس يملكهُ … لمّا رأى قومنا من حوله قعدوا
أضحتْ فلسطينُ شاةً تُستدَرّ وما … هناك من عرب يُرجى بهم عضُد
من مطلع القرن خضنا نارها أُسُداً … ولم نكفّ ولكن جِيرتي جحدوا
كنّا ثلاثين نغزو جحفلاً لجِباً … من الصهاينة القوم الأُلى فسدوا
كانت لهم (أمريكا) عونهم مدداً … ونحن لم يأتنا من يعربٍ مدد
إخواننا سلبونا كل قارعةٍ … ندكّ فيها قلاع الخصم وابتعدوا
وهادنوا معشراً ما كان هادنهم … نبينا يوم خانوا الله وانتقدوا
ولو رأيتَ (علياً) عند (خيبرهم) … يدكّ قلعتهم في شِدقه الزبد
هاتِ السلاح وأطلقْ سَرْح لاجئنا … على العدوّ يُذقْه النار تتّقد
يا من رأى أَسَداً يبكي بخيمتهِ … قد كبّلوه بقيد الذل واقتعدوا
تدارست نخوة الأحرار واندثرتْ … في أمة ضجّ منها القيد والوتد
اللاجئون هُمُ آساد أمتنا … والنصر منهم وفيهم يثأر الولد

اللاجئـــون حـــزازات القلـــوب لمـــنْ يُحـــسّ بالـــشرف الغـــالي ويرتعـــد
لا تحـــسبوهم حطامـــاً إنهـــم ذهـــبٌ قـــد جاهـــدوا في ســـبيل الله واعتقـــدوا
وإنهـــم ليرجّـــون الجهـــاد غـــداً وفـــيهم الـــشِّيب والـــشبّان و(الـــصَّمَد)

❀ ❀ ❀

المصادر والمراجع

١- مسرحية " وطن الشهيد " ، صدرت عام ١٩٤٧م .
٢- مسرحية " شبح الأندلس " ، صدرت عام ١٩٤٧م .
٣- ديوان " جبل النار " ، صدر عام ١٩٥٦م . .
٤- ديوانٍ " إلى متى " ، صدر عام ١٩٧٢م .
٥- ديوان " جنود السماء " ، صدر عام ١٩٨٥م .
٦- أحمد الجدع : معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين ، ج١ .
٧- خالد النصرة : جريدة النهار الأدبي – القدس ، في ١٩٨٩/٧/٧م .
٨- صالح مسعود أبو يصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن .
٩- عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية ، ج٢ .
١٠- محمد عمر حمادة : أعلام فلسطين ، ج٢ ، ١٩٨٨م .
١١- ياسين السعدي : جريدة القدس في ١٩٩٥/٢/٢٣م .
١٢- رسالة من المحامي أديب العبوشي للمؤلف .

خالد السّعيد

(١٣٧٩ هـ - ....) (١٩٥٩ م - ....)

* تقديم
* حياته ونشاطه
* شعره
* آثاره الأدبية
* قصائد مختارة من شعره

تقديم

خالـد الـسّعيد أديـب مـسلم معاصـر .. وشـاعر مُجيـد مـن شـعراء الـدعوة الإسلامية، وخطيب مؤثّر مـن خطبـاء الحركـة الإسـلامية الـذين يتـصدّرون المواكـب والمحافل في فلسطين . عاصر مرحلة النكبة الثانية وعاشها بكل آلامهـا ، ورأى أنـه لا بد من المعالجة المنهجية الناضجة من خلال وسيلة الـشعر الـصادق ، فجـاء شـعره وسيلة إعلامية صادقة تعالج القضايا اليومية لأبناء وطنه ..

شعره ملتزم وهادف في جميع قصائده التي قالهـا في الـدعوة وفلـسطين .. وهـو ينطلق لتتسع دائرة همومه واهتمامه لتشمل الـوطن العربـي ولتـستوعب قـضايا أمتـه الإسلامية .

حياته ونشاطه

ولد الشاعر خالد عبد القادر السعيد عـام ١٩٥٩ في بلـدة كفـر راعـي بمحافظـة جنين بفلسطين ، ونشأ في أسرة ريفية متديّنة .. ولم يكد يبلغ الثامنة من عمره حتى حلّت بفلسطين نكبة عام ١٩٦٧ والتي ما زالت مستمرة حتى هذه الأيام .

درس خالد في بلدته ، وأكمل دراسته في مدرسة عرابة الثانوية ، وحصل علـى الثانوية الأدبية عام ١٩٧٨ ، والتحق بكلية الآداب بالجامعة الأردنيـة وحـصل علـى البكالوريوس في اللغة العربية بتفوق عام ١٩٨١ ، والماجستير في النحـو العربـي عـام ١٩٨٤ بتفوق أيضاً .

وبعد تخرجه في الجامعة الأردنيـة عـاد إلى فلـسطين ليرابـط في أرض الإسـراء والمعراج ، وليقوم بواجب الرّبـاط ويـشارك إخوانـه في تربيـة وتعلـيم أبنـاء فلـسطين وإعدادهم ليوم موعود .. وعمل مدرساً في قسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بغزة من عام ١٩٨٥ حتى عام ١٩٩٤ .

وفي عام ١٩٨٩ أشرف على مراكز تحفيظ القرآن الكريم التابعة للجنة أموال الزكاة في مدينة جنين ، واستمر في هذا العمل حتى عام ١٩٩٥ .. وفي تلك الفترة اعتقلته قوات الاحتلال الإسرائيلي ثمانية أشهر عام ١٩٩١ ، وستة أشهر عام ١٩٩٤.

وفي عام ١٩٩٥ عمل مدرساً لمادة اللغة العربية في مدرسة قباطية الثانوية .. وفي عام ١٩٩٧ عمل مدرساً في المدرسة الثانوية بمدينة جنين ، وعمل مشرفاً غير متفرغ في جامعة القدس المفتوحة – جنين .

وفي عام ٢٠٠٢ عمل أستاذاً في الجامعة العربية الأمريكية بجنين ، ثم عمل أُستاذاً في جامعة القدس المفتوحة .

وفي أوائل عام ٢٠٠٦ رشحته الحركة الإسلامية في جنين لانتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني ، والتي أجريت في ٢٠٠٦/١/٢٥ م ، فكان ترتيبه الأول في محافظة جنين ، فقد حصل على (٣٠٨٦٣) صوتاً .

وفي ٢٠٠٦/٦/٢٩ م اعتقلته السلطات الإسرائيلية مع إخوانه أعضاء المجلس التشريعي عن الحركة الإسلامية في جنين واعتقلت معهم رئيس بلدية جنين .

وقد حفلت حياة الأديب خالد بنشاطات متنوعة في أثناء دراسته وفي أثناء عمله ، فقد رئس النادي الأدبي في الجامعة الأردنية عام ١٩٨٣ ، وحاز على القصيدة الأولى في مهرجان الشعر في الجامعة الأردنية عام ١٩٨٣ ، وشارك في ندوات وأمسيات شعرية عديدة في الأردن وفلسطين ، وله نشاطات ثقافية متنوعة في الجامعة الإسلامية . كما أنه يشارك في اللقاء الشعري السنوي الذي يقام في حرم جامعة النجاح كل عام . وهو من خطباء محافظة جنين والمتحدثين في الاحتفالات والمهرجانات والمناسبات الدينية والوطنية .



من خلال هذا العرض لحياة شاعرنا نستطيع أن نلمس مؤثرين كان لهما الأثر البالغ في تكوين شخصيته الشاعرة ..

المؤثر الأول ارتباطه بالحركة الإسلامية ، التي وجد فيها ما يحقق آماله وآمال إخوانه المرابطين بأرض الإسراء والمعراج في تربية الشباب على الإسلام والدفاع عن تلك الأرض المقدسة ..

والمؤثر الثاني هو نكبة عام ١٩٦٧ ، وصور المأساة التي حلّت بشعب فلسطين ، والتي شاهدها واكتوى بنارها منذ طفولته ، وما زالت تعيش معه حتى هذه الأيام .

شعره

خالد السّعيد شاعر مُجيد له عطاء مؤثّر فعّال ، وشعر عذب هادف رصين ، فيه قوة وإبداع وروعة تعبير ، وأداء يحسّ معه القارئ بدفء الكلمة وقوة التعبير وصدق الانتماء لقضية العقيدة والإيمان وقضية تحرير الأرض من العدوان والطغيان .. شاعر صهر الإسلام روحه وعقله وتأملاته ، وأعطاه القدرة على التفكير الموزون، ومنحه نعمة اختيار الألفاظ للتعبير عن المعاني ، فاستغلّ هذه الموهبة الفذة وعبّر عن افتعالاته بتعابير منمقة فأحسن الصياغة وأجاد الخطاب ، وعرف الجهة التي يصوغ لها أحاسيس قلبه وعرف لماذا يصوغها .. فهو لم يصغ قصائده الشعرية ليرضي بها السلاطين ، ولا صاغها من أجل مغنم زائل أو شهرة مؤقتة أو جمع مال أو مادة ، وما صاغها ليتزلف بها إلى وزير أو كبير .. إنما صاغها ليعبّر عن معاناة الأمة بأصدق الحديث ..

فهو شاعر نظر ببصيرته الإيمانية فرأى أكثر الشعراء قد هانت عليهم إنسانيتهم ، وتبلد حس الكفاح في أرواحهم ، وسكتوا على المهانة والتشرد والضياع، وتحطمت روح الرجولة والمقاومة فيهم .. فثار على هذا الواقع المهزوم ، ثار ليعيد

إلى العقل ثقته بنفسه ، ونظم شعراً يدفع المواطن المقهور إلى أن تكون له طاقة حركية وقدرة على تغيير الواقع وصنع الأحداث وصياغة القرارات ، ولتكون له قدرة على العطاء والابتكار .. ثار شاعرنا على هذا الواقع وخرج عن المألوف ، ونظم شعراً قد لا يستسيغه شعراء الأدب الرّخيص .. لقد خرج عن المألوف لتكون له ولمن ينهجون نهجه مدرسة شعرية جديدة ، تعيد صياغة وتشكيل وترتيب العقل المسلم ، وتضع ملامح فكرية جديدة ورؤيا مستقبلية جديدة ، تعيد بناء التصميم الذهني الإسلامي وتوفير الطاقات المخزونة لدى الإنسان الفلسطيني على وجه الخصوص والمواطن العربي على وجه العموم ، ثم هندسة هذه الطاقات ووضعها في المجال المجدي .. فجاء شعره ليدل بوضوح تام على أن تاريخ الإسلام الخصب غنيٌّ وقادر على العطاء في كل ميدان وفن ..

وصف الدكتور جبر خضير شعره فقال : [1] "أكثر في شعره من الرّبط بين ماضي الأمة وتصوير حاضرها من خلال مفهومية الإسلام وقدسية القضية . وتميّز شعره بالجزالة الشعرية وقوة الجرس الموسيقي ، كما تميز بالنبرة الخطابية غالباً وهذا يتوافق مع قوة الجرس الشعري والحماسي الملتهب عند الشاعر" .

وشاعرنا خالد السعيد شاعر ملتزم بالشعر العمودي الأصيل ، إلا أنه يبدع فيما يتخذ من شعر التفعيلة أحياناً ليعبر عن مكنون نفسه وخفايا ضميره ونبضات قلبه فيجيء شعراً معبراً صادقاً .. ويزداد شعر التفعيلة لديه قوة إلى قوة وهو يعبّر به واضح الصورة ، صريح الهدف ، رفيع المستوى في اللغة والعاطفة وحسن الأداء .



(١) التيار الإسلامي في الشعر الفلسطيني المعاصر ، ص٢٩٨ .

هذا الشاعر شارك في رسم صورة صادقة لحياة أبناء فلسطين خاصة وأبناء الأمة الإسلامية بوجه عام ، بكل ما تحويه هذه الحياة من آمال وطموحات وآلام وأحزان ، وهجرة وجهاد ، ونصر وفتح وسيادة وتمكين .. فشعره مرآة تعكس بصدق هموم أبناء شعبه في فلسطين ، وتعبر بعمق عن مشاعر أمته وأحاسيسها وتجلو أحزانها ، وترسم معاناة ملايين المسلمين واهتماماتهم وطموحاتهم .. فالشعر عند خالد السعيد صرخة مدوّية تدعو إلى الإيمان والاستقامة ، وشعلة تستمد وقودها من دموع العين ومن دماء و ريد القلب ، لتغيّر الواقع المتخم بالجراح ، فيقول [1] :

هذي القصائد ليست سهرةً ثمِلَتْ ... في قلب باريسَ أو إحدى لياليها
كلاّ ! وليستْ من الحُكّام طالبةً ... حُثالةَ الكأس كي تَسري قوافيها
هذي القصائدُ من دمعٍ ومن عَرَقٍ ... ومن دماءِ وريد القلب نُسقيها

لقد فهم شاعرنا الواقع وعرف أنه لا سبيل لعزتنا إلا من خلال شعلة الإيمان.

ونراه يوقظ الأحاسيس النائمة عبر حديث الأقصى الحزين إلى مكة المكرمة ، حديث الشكوى والأنين من جراء ذل الأسر وجفاء الأحبة والأهل ، فيقول في قصيدة بعنوان "اسمعوا الأقصى" [2] :

اسمعوا الأقصى يُنادي أمَّهُ ... مكّةً يا أمّ قولي للرّسولْ
إنّني ما زلْتُ أدعو قوْمَهُ ... قبلَ أنْ أغدو بقايا من طُلولْ
فإذا قومٌ يُسمّونَ اسْمَهُ ... ولهم فِعْلٌ كفعلِ ابن سَلولْ
فأجابتْ مكّةٌ يا شُؤْمهُ ... من ترجّى النصرَ من أهل الطبولْ

(١) ديوان "كيف السبيل" ، ص١١ .

(٢) ديوان "كيف السبيل" ، ص٣١ .

يــا بُــنـيّ انظــر تحقَّــق رسمــهُ		ذا صـلاح الـدين مـن فـوق الأصـيلْ
بعثــر القَبْــرَ وأمــضى سَــهْمَهُ		يمـــلأُ الأرض ســـيوفاً وخيـــولْ
يَحْــرمُ الوجــه الــمُعَنّى بــسْمَهُ		طالمـــا المنـــبرُ في أســـرٍ ذليـــلْ

عبر هذه المناجاة والحديث الباكي بين الأقصى ومكـة ، حيـث يبـث الأقـصى شكواه وأنينه إلى مكة لتخبر سيد المرسلين بأن الأقـصى مـا زال يـدعو قومـه قبـل أن يصير أشتاتاً وأشلاء ..

لقد عبّر الشاعر عن واقع الأمة المنكوبة بعدم معرفة الحقيقة وتـشخيص الـداء ومعرفة الدواء، فصوّر حالها القائم على الباطل والتهريج، وذكّرها بماضيها وبرجـل المهمات الصعبة القائد المجاهد صلاح الدين ليقتدي به الشباب وينهضوا بـأمتهم مـن كبوتـها.. فالشاعر لم يكتف بالندب والعويل وإقامة المأتم على واقعنا بل إنـه نظـر إلى المعضلة وشخّصها وأعطى الأمل والحل "إنــه الحـل الإسـلامي" أن يكـون الإسـلام هـو القائد والموجه للمجتمع في كل الميادين وكل المجالات..

ولهذا فهو يكمل دور صلاح الدين فيقول :

يعــشقُ المحــرابَ يبغــي لثمــهُ		بعــدما فارقــهُ الــدّهرَ الطويــلْ
واسْــتَمِعْ عَبْــرَ الفيــافي نَغْمــهُ :		"نحنُ أَهلُ القدس عنهـا لا نحـول"
هلْ رأيـت النخْـل يحـني جِـسْمَهُ		نحــن يــا قُــدْسُ خُلِقْنــا كالنّخيــلْ

هكذا عبّر خالد السعيد بشعره الإسلامي عن معالم الحل ووجه الأمل المشرق .. بأن الأمة هي التي تصنع مَعْلَم التغـيير مـن خـلال بنـاء الـذات ومـن خـلال تهيئـة النفوس وربطها بالعقيدة الإسلامية .

لقد علّمنا التاريخ أن أمتنا أمة متجدّدة وأنها كلما عثرت سرعان ما تنهض من عثرتها .. وإنّ هذه الكبوة تحتاج إلى فارس يقود جند الإيمان ، ويستثير هممهم .. وشاعرنا يستنهض الأمة قائلاً [1] :

خيل الكرامَةِ والشهامة أسْرجوا ... هاهم فوارِسُها الكُماةُ تَدَجّجوا
هيّا ابْعَثوا خيلَ التّحرُّر ضُمّراً ... تطوي الفيافي في الظلام وتُدْلِجُ
قَدَحَتْ سنابكُها قِلاعَ حُصونِهمِ ... وتُثيرُ نَقْعَ المَعْمعان وتُرْهِجُ
فلَعَلّ من بين الفوارس فاتحاً ... يمضي إلى الأقصى الأسير ويَعْرُجُ

وعبر شعر الحماس الإسلامي الذي يثير في النفس كوامن العزة والنهوض بعد الكبوة يصرخ الشاعر خالد السعيد حاثاً على التحدي أصحاب الهمم والشهامة ورافعي راية الحق ليسيروا مع الركب .. لعلّ ركبهم يصل إلى الأقصى الأسير فيفك أسره ويفكّ قيد المأسورين ، ثم يواصل الشاعر هذا النغم الصاخب والإيقاع القوي قائلاً[2] :

يا ربّ يسّر قائداً لا يَنْثني ... ويكون في يُمنى يديه المخْرَجُ
ويقودُ خيلاً عاديات جُرّبتْ ... فخيولُ من سبقوه كانت تعرُجُ
وخيولُهم كانت هجاناً عُلّمتْ ... دَرْبَ الفِرار وفي الفرار تُهرّجُ
حَمَلَتْ رجالاً تائهينَ وأغْفَلَتْ ... معنى القداسَةِ لم يَقُدْها المنهجُ

إلى أن يقول :

السيفُ مَنْطِقُهُ قَويٌّ أبْلَجُ ... والقولُ دونَ السيفِ مَزْر أعْوَجُ
ولقاءُ خَصْمِكَ بالسُّيوف حصانَةٌ ... ولقاؤُهُ دونَ الأسنَّةِ مُحْرِجُ

---

(١) ديوان "حجر وشجر" ، ص٥٨ .

(٢) ديوان "حجر وشجر" ، ص٥٨-٥٩ .

فالشاعر يرى أنّ المخرج بالقائد المسلم الذي يعبر بجنده الميادين .

ويوضح شاعرنا حال الإعلام العربي قبل النكبة والهزيمة وكيف كان يصور حال اليهود ، فيقول في قصيدة جميلة بعنوان "قال المهرّج" (١) :

هـم حفنـةٌ في البحـر نُلقيهم إذا كُنّا نريدْ
فَتَجوعي أسماكَ ذاكَ البحر والدّاعي سعيدْ
ماذا عساهم يفعلون ونحنُ في الهيجا أسودْ

وبعد النكبة يتغيّر الخطاب فيصف هذا ويقول (٢) :

قد جاءنا النبأ الموثقُ والمصدَّقُ والأكيد
"ليس اليهودُ كما يظُنُّ البعضُ فالدُّنيا يهود"
"لسنا نقاتلُ دولَةً صُغرى فأمريكا تجود"

وأمام هذا الواقع المرير يدعو شاعرنا إلى الثبات في أرض الرباط ، ويَرُدّ على هذا الواقع فيقول (٣) :

إنّا باقونْ ..
لا يأسَ أخي لا بؤْسَ أخي ...
إنّا باقون ..
ما بقي الزّعتر والزّيتون ...

---

(١) ديوان "كيف السبيل" ، ص٤٥ .

(٢) ديوان "كيف السبيل" ، ص٤٦ .

(٣) ديوان "كيف السبيل" ، ص٤٦-٤٧ .

إنّا باقون ..

ما بَقيتْ آياتُ الإسراء وما بقي اللّوْحُ المكنونْ ..



من جبل النار وغزة هاشم اسمعها

إنّا باقون ..

سَجَدات الفجر توحِّدنا

وتُفجّرنا ألماً وشجون ..

آتونَ زُحوفاً مؤمنة

تجتثُّ الغرقد والطاعون

فجراً آتونْ

وعْداً آتونْ

زحْفاً آتونْ

ولما قامت الانتفاضة واكبها شعرٌ إسلامي مجاهد ، كان ثمرة طبيعية للظروف والأحوال التي عاشتها القضية الفلسطينية ، والواقع المحيط من حولها .. وكان تجربة أدبية وفنية جديدة عبرت عن قضايا الإنسان الفلسطيني والعربي وواقعه وهمومه ، وأصبح هذا الشعر صوتَ الجماهير والناس ، فهو لم يخدم الحياة التي عاش فيها فحسب ، بل ارتفع بذوق الإنسان وهمومه ، من حياة التشرد والضياع والاغتراب ، إلى الأمل العذب من خلال بث الحماس والعزيمة والرّجولة .. وكان خالد السعيد فارساً من فرسان هذا الشعر ، فسجل بشعره أحداث الانتفاضة حدثاً حدثاً .. استمع إليه وهو

يصف ابن الانتفاضة الذي تربّى على القرآن وحدّد الهدف الذي من أجله يحيى و يعيش ، فقال في قصيدة بعنوان "مرابطون" [1] :

صَحِبَ القرآن للقلب طويلا فغدا بالله يَقْوى ويُقاتلْ
فَصَنعتُ الحرفَ في الشعر فتيلا فإذا الألفاظُ في الشعر قنابلْ
فامتَشَقتُ البيتَ رشّاشاً أصيلا فغدا الشّعبُ بأشعار يُقاتل
والقوافي دُمْدُمٌ يُردي قتيلا كُلَّ من يُنكرُ حقّي ويُماطل
كُلّما أقرأ آياتي ذليلا فكّتِ الآياتُ من قيدي سلاسل
وغدا القرآن للفتح سبيلا ولأعدائي نذيراً وزلازل
لَسْتُ أرضى عن ذُرى القدس بديلا لو غدت أرضي سُجوناً ومعاقِلْ

وعلى درب الانتفاضة يسقط في الميدان شهداء ويُعتقل شباب ويودعون السجن ، ويكون خالد السّعيد واحداً من هؤلاء الشباب .. ويأتي عيد الفطر فينظم قصيدة يلقيها على المعتقلين في سجن مجدّو (في مرج ابن عامر) بتاريخ ١٩٩١/٤/١٥ ، يقول فيها[2]:

سل حادي الركب المهاجر إذْ حدا هل نلتقي بجموع أهلينا غدا
واسأل حمام الأيك أين أحبّةٌ منهم سجينٌ أو طريدٌ شُرّدا
واستخبر النسمات عند هبوبها إذْ داعبت طفلاً لِحُرّ أُبْعدا
قادوه منفيّاً يعاني قلبُه ألم الفراق ودونه طعم الرّدى
ويُسَكّنُ الرّوعَ المسعّرَ سجدةٌ هَمَستْ بأنّا لن نضيع هنا سدى

---

(١) ديوان "حجر وشجر" ، ص٢٥ .

(٢) ديوان "الأسرى أولاً" ، ص٤٣ .

يـا مَـنْ يـرى ذئبـاً يُثـابُ إذا عـوى | والبلبــلُ الــصداحُ يُــذْبَحُ إن شــدا
العيـد جــاء وفي الــسجون شـبابنا | يـا مَـنْ يعيـدُ العيـدَ مـن أسْـر العِـدا

ويأتي عيد الأضحى ولا يزال الشباب في المعتقلات ، فينظمَ خالد قصيدة بعنوان "رسالة العيد" يقول فيها [1] :

عيـــد يجـــيء وراء عيـــدْ | والـــشعب يرســـف في القيـــودْ
مـــن دمعـــةِ الفطـــر الـــسعيد | لحرقـــة الأضـــحى المجيـــدْ
مأســـاتنا تـــزداد يومـــاً | بعـــد يـــوم لا جديـــد
هـــذي ألـــوف قُيِّـــدتْ | خلـــف الحـــواجز والحديـــدْ
في كـــلّ يـــومٍ قـــادم | نزجـــي الـــشهيد إلى الـــشهيدْ

ولما كثُر الحديث عن الأسرى والمعتقلين الذين يزيد عـددهم علـى خمـسة آلاف معتقل من الشيوخ الصابرين والشباب الثابتين والنساء المجاهدات ، والذين مـا زالـوا يعانون قسوة التعذيب وظلم الأعداء وتخـاذل الأهـل والأصـدقاء .. كـان لـشاعرنا دور واضح ومؤثر في التعبير عـن غـضبة الـشعب المـرابط مـن خـلال المهرجانـات الأدبيـة واللقاءات الشعرية ا لتي تصف هذا الحال ، فنظم قصيدة بعنـوان "قـصة الأسـرى" ، قال فيها [2] :

في المـــرة الأولى وفي الأُخـــرى | ســـنظلّ نقـــرأُ قـــصّة الأســـرى
صـــفحاتُ ســـيرتهم لنـــا نـــورٌ | لا تُغْفِلَـــنْ مـــن سِـــفْرهم ســـطرا
الـــصابرين بعـــزّة شمَخَـــتْ | فـــوق الجـــراح تُعلّـــمُ الـــصّبرا

(١) ديوان "الأسرى أولاً" ، ص٣١ .

(٢) ديوان "الأسرى أولاً" ، ص٥٧ .

فالقابـضون علـى الجمـار هـمُ ... والـصانعونَ لـشعبنا الفخـرا
مـن يـدّعي نـصراً ويُهْمِلُهـمْ ... جعَـلَ الهزيمـة تـشبه النّـصرا
والمنجـزاتُ بغـير فـرحتهم ... مهمـا عَلَـتْ لـن تَبْلُـغَ الـصِّفرا
صـنعوا لنـا مجـداً بتـضحيةٍ ... وغـداً سنكـسرُ قيْـدهم كَـسْرا

ولمّا خرج شيخ فلسطين الشيخ أحمد ياسين من المعتقل في الشهر العاشر من عام ١٩٩٧ ، بعد سجن دام طويلاً ، عمّت الفرحة أبناء فلسطين وخاصة عندما رأوا الشيخ بينهم .. وشارك خالد السّعيد أبناء وطنه هذه الفرحة بقصيدة قال فيها(١) :

يـأبى المهـيمنُ أن تظـلّ مقيّـدا ... قـد خـاب مـن حكمـوا عليـك مؤبّـدا
حَكَـمَ العزيـزُ بـأن يحطّـم قيـدهم ... فقـضى وقـدّر للخـروج وأيّـدا
فخرجتَ مـن سـجن البغـاة مكرّمـا ... شـعبي بيـوم خـروجكم قـد أُسْعدا
وأعـزّ ربّ العـرش فيـك شـعوبنا ... وأذلّ بنيـامين ذلاً أسـودا
سيظلّ سـجْنُكَ وَصْـمَةً مـن حقدِهم ... خِزْيـاً يلاحقهـم علـى طـول المـدى
حنّـت إليـك مـساجدٌ ومنـابرٌ ... ومجـامعٌ قـد كنـت فيهـا الـسّيّدا
يكفيـك أنّ النـاس طُـراً أجمعـوا ... بـسداد رأيـك إذ كُـسيتَ الـسُّؤْدَدا
تبغـي صـيانةَ شـعبنا ودمائِـهِ ... ليُـصَبَّ كـلّ البـأس في وجـه العِـدا
يكفـي حماسـاً أنّ قائـدَ سَـيْرها ... شـيخٌ قعيـدٌ بالمهابـة أُسْنِدا
مـا هـابَ طغيـانَ اليهـود ومكـرَهُمْ ... مـا هـادَنَ الـمحْتَلّ لمّـا هـدّدا
ظلّـت حماسَـتُه مثـالاً يُحْتَـذى ... للقاعـدينَ الخـائِفينَ مـن الـردى

(١) ديوان "الأسرى أولاً" ، ص١٥ .

وفي عام ١٩٩٦م انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ توفيق جرّار عالم جنين ومفتيها ، وهو يؤمّ جموع المصلين في صلاة عيد الفطر في المسجد الكبير بمدينة جنين في اليوم الأول من شوال عام ١٤١٦هـ .. فنظم شاعرنا قصيدة بعنوان : "دمعة على قبر مفتي جنين المرحوم الشيخ توفيق جرّار" ، وصف فيها هذه الوفاة التي أكرمه الله بها ، بعد صيام وقيام شهر رمضان المبارك ، والوقوف في محراب المسجد الكبير يؤم المصلين في العيد .. وذكر في القصيدة بعضاً من مناقب الفقيد ومواقفه ، وثباته في نصرة الإسلام ، فقال [1] :

جُدْ بدمع العيون بعد الفقيد ... ودّع المحاريبَ في يوم عيدِ
جاءك الموتُ في صلاةٍ وذِكرٍ ... فهنيئاً لك اختيار المجيدِ
كنت تفتي لنا برأي رشيدٍ ... كنت تبدي لنا بنصح سديدِ
لك في الفضل سابقات توالت ... قد نصرتَ الإسلام منذ عقودِ
أسأل الله أن يعوّض خيراً ... ولك الأجر في جنانِ الخلودِ

ولشاعرنا قصائد في الحوار تدلّ على خيال خصب ، وروعة في التعبير ، وقدرة فذّة على العطاء والابتكار .. قدّم فيها لوحات رائعة وصوراً أخّاذة ، نظمها بأسلوب مؤثر جميل .. منها قصيدة بعنوان "الشيخ الشركسي والفتى الفلسطيني" ، أجرى فيها حواراً على لسان شيخ شركسي يقدّم لشاب فلسطيني خلاصة تجربته في الحياة، ويحثه على أن يدافع عن عقيدة التوحيد وأن يتبنى فكر أمته وحضارة دينه الذي لا يعرف النكوص ولا الخذلان .. ويدعوه إلى الثبات في أرض الإسراء والمعراج ، والاستعداد ليوم الثأر وتحرير الأقصى من الأسر .. يقول فيها [2] :

---

(١) ديوان "الأسرى أولاً" ، ص٤٥ .

(٢) ديوان "حجر وشجر" ، ص٣٧-٤٢ .

شيخٌ جليلْ
رجلٌ طويل
عيناه زرقاوان أشْقَرُ شَعْرُه زانته لِحْيَهْ
بوُقوفِهِ : أبْصرتُ أشجارَ النّخيلْ
برُكوعِهِ : أبصرت حيفا والجليلْ
بسُجودِهِ : أبصرتُ يافا والخليلْ
بخُشوعِهِ : أبصرتُ أحزانَ القُدُسْ
بثَباتِهِ : أبصرتُ زيتوناً وتينا .
ظنّي به قدْ جاوَزَ التّسعينَ عاما
وخلالَها لم يَحْنِ إلاّ للذي أحْياهُ هاما

۞ ۞ ۞

بلِسانِهِ أحْسَسْتُ لُكْنَةَ شَرْكَسِيّ
بدمائِهِ أَحْسَسْتُ روحَ المسلمين
ووقفتُ أنْظُرُهُ بتوقيرٍ وَوُدْ
ورأيْتُهُ بشُموخِهِ السّامي كطَوْد
فَسَأَلْتُهُ مُتَلَطِّفاً : يا جَدُّ قل لي قِصّتَكْ
أغضى قليلاً ثم قال : وقِصَّتُكْ !
حُدِّثْتُ أَنَّكَ من فِلَسْطينَ الذّبيحهْ
ومضى يقول :
أبُنَيّ إنّا قد فَرَرْنا من مذابحَ بلشفيهْ

لا ذنبَ إلا أننا إسلامُنا فيه بقيَّهْ
لكننا سنعودْ ..
مفتاح بيتي يا بُنَيّ مُعَلَّقٌ حتى نعودْ
أغضى قليلاً ثم قال : وقِصَّتُكْ !
حدّثْتُهُ أنّي الفِلِسْطينيّ
ومَضَيْتُ أحكي :
جَدّي العجوزُ لطالما قد شدّ زَنْدي
فرأيتُ مفتاحاً قوياً مِن نحاسْ
ويقولُ جدّي : وسْطَ يافا بَيْتُنا
فبكى العجوزُ الشَّرْكَسِيّ
وبَكَيْتُ لكن ليس دمْعَ الـمُسْتكينْ
فدموعُنا ستكون طوفاناً حكى طوفان نوحْ
طوفانَ ثأرٍ غاسِلٍ عارَ الهزيمة والـجُروح
طوفانَ نارٍ حارقٍ كَرْتَ الإغاثةِ والنزوحْ

۞ ۞ ۞

سنعودُ فوقَ الدَّمْعِ والدَّمِ والعَرَقْ
سنعودُ نتلو آية الإسراء
في المسجد الأقصى وظلّ الصّخرة الشمّاء

وشاعرنا المربّي الفاضل حريص على تربية براعم الإيمان وتقديم النصائح والتوجيهات التي ترسم لهم طريق الاستقامة وتعلمهم أدب الحياة .. فنراه ينظم أنشودة تعليمية للأطفال والأشبال ، يقول فيها (١) :

يا أحْبابي أنتم ذُخري ... فيكُم يحلو قول الشّعر
يا ثمرات الغصن الزّاهي ... يا أمواجاً فوق البحر
يا لحن الأطيار بروضي ... يا أنغاماً عند الفجر
للإيمان تعالوا نشدو ... فيها نقضي أحلى العمر
مدرسة شمخت وازدانت ... واحتضنتنا نحو الصدر
هيّا هيّا اقتربوا مِنّي ... كي أسْمعكم أغلى الفِكر
أوصيكم فاستمعوا قولي ... لأحفّظكم لبّ الأمر
ربّ الكون لنا معبودٌ ... يعلم جهري يعلم سِرّي
ولنا خير الخلقِ رسولٌ ... أحمدُ يدعونا للخير
أوقاتُ صلاتي أحفظها ... لا أغفلُ عن فرضِ الفجرِ
إن صلّيْنا وتزكّينا ... فلنا الجنة أبد الدّهرِ
أوصيكم بالأمّ حناناً ... منها العطفُ ونبعُ الطُّهْرِ
فأطيعوها وأعينوها ... فلها منكم حقّ البرّ

والشاعر خالد السعيد يرى أن للمرأة دور كبير في بناء المجتمع وصلاحه ، وحتى تقوم المرأة بهذا الدور فلا بدّ أن تكون قدوة للفتيات الناشئات ، وصانعة للمستقبل وبانية للأجيال .. وقد نقد في شعره الواقع الاجتماعي ، وأشار إلى مشكلة

---

(١) ديوان "الأسرى أوّلاً" ، ص٢٨ .

الحجاب والسفور .. وهو يرى أن الجلباب سمة من سمات المرأة المسلمة ، ورمز من رموز عزة الإيمان ، فهو علامة صلاح وتقوى ، ونور يبدو شعاعه جليّاً في دياجير الظلمة والانحراف التي تعيشها أمتنا في هذا العصر .. وهو يصف هذا اللباس الشرعي ، ويختار له أجمل الألفاظ وأجلّها ، فيقول في قصيدة بعنوان "رسالة الخنساء" [1] :

كيفَ أُخفي سعادتي وانتشائي | عند مرأى الجلباب رَغم العراءِ
وهو كاللّيل سابغٌ برُسوخٍ | خانقٌ صرخةَ الجهول المُرائي
وهو كاللّيل جُنحُه يتثنّى | حاضنٌ شمس الهدى والعطاءِ
قيلَ هذا الجلبابُ شيءٌ غريبٌ | قلتُ طوبى الفردوسُ للغرباءِ
غرباءٌ في قومهمْ قرباءٌ | من جواد الرحمن يوم القضاءِ

وشاعرنا بهذه القصيدة أعطى قيمة كبيرة للتجربة الشعرية الإسلامية الحديثة، فقد استطاع أن يصور الجلباب بصور جميلة رائعة ، نستطيع أن نقول أنها نقلة كبيرة في سيرة هذا الشعر .. فقد صوّر الجلباب في البيت الثاني أنه كالليل راسخ كرسوخ الجبال الشماء ، وهو كالليل الذي يحمل تحت جناحيه شمس العفاف والعطاء ..

ويستمر الشاعر في إعطاء الصورة المتكاملة للجلباب فيقول :

إنّ هذا الجلبابَ رمزُ انتصارٍ | وثباتٍ وهمّةٍ وإباءِ
إن جيلاً ترعاهُ أمٌّ خمارٍ | لحريٌّ بالنّصر يوم اللقاءِ
وشبابٌ ترعاهُ أم سفورٍ | مقرئٌ وجههُ سماتِ الفناءِ

---

(١) ديوان "كيف السبيل" ، ص٢٧-٢٨ .

إنّمـــا الخمـــارُ تـــرسٌ ودرعٌ فارتديـــه لـــصدّ ســـهم العـــداءِ
فخمـــاري عقيـــدتي وشـــعاري زيـــنتي عفـــتي رَمْـــزُ بقـــائي

آثاره الأدبية

١- ديوان "كيف السبيل" ، [الزرقاء : مكتبة المنار] ، ١٩٨٥م . وقد كتب مقدمة الديوان الأستاذ يوسف العظم فقال : "استمعت يوماً إلى قصيدة يلقيها شاب بين جمع من أصحابه فوقر في نفسي وهتفت بلساني لمن حولي : ليكونن شاعراً بإذن الله . ومن يومها توطدت بيننا العلاقة ، وتوثقت عرى الصداقة ومجالات الصلة في الفكر والأدب ، وفي كل يوم كنت ألمح في الشاب ما يبشر بخير وما يؤكد أن مستقبلاً مشرقاً ينتظره ، وهو يسير مع من يسير من شعراء الخير على خطى حسان!" . عدد صفحات الديوان ٦٩ صفحة ، عدد القصائد ١٦ قصيدة .

٢- ديوان "حجر وشجر" ، صدر عام ١٩٩٠م ، وقدّم له الأستاذ خالد أحمد مهنا . عدد صفحات الديوان ١١٠ صفحات ، عدد القصائد ٣٨ قصيدة .

٣- ديوان "الأسرى أوّلاً" ، صدر عام ١٩٩٩م . عدد الصفحات ٨٠ صفحة ، عدد القصائد ٣٧ قصيدة .

٤- مجموعة شعرية صادرتها قوات الاحتلال في إحدى مداهماتها لبيت الشاعر (قبل أن تطبع) .



قصائد مختارة من شعره

١

صوت المخيم

هذه القصيدة نظمها الشاعر عام ١٩٨٣م ، وصف فيها المخيم واللاجئ الذي أُجبر على الرحيل عن أرضه وبلده وأهله ، ليعيش في ظروف قاسية معيشة الذل والخوف والبؤس والمهانة ، وعبّر فيها عن واقع حياة الفلسطيني الذي وقع تحت الاحتلال وعانى حياة التشرد والضياع .. بأسلوب أخّاذ وعاطفة صادقة ، وأفكار ناضجة من خلال التصور المعبر لواقع المأساة ..

وقد أجاد شاعرنا في تجربته الشعرية هذه من خلال تصوير الكوخ المهدم في المخيم ، وتذكر الدّيار التي أُجبر أهلها على الرحيل عنها إلى هذا المخيم .. ووصف فيها حياة اللاجئ ، وجعل من صوت المخيم الحزين الباكي لعنة تطارد جميع المتخاذلين حتى يتحرر أطفال المخيم من هذا الواقع ..

والشاعر وهو يصور الخيمة والكوخ الصغير جعل من واقع الطفل الجائع الراقد كحياة المخيم الواقفة الساكنة دون حراك .. جعل من حياته في الكوخ وما يعانيه من البرد الشديد صورة معبرة متعدّدة الجوانب ..

ومع هذا فإن شا عرنا لم يعش في قمم اليأس بل إنه جعل من شعره أملاً يشع وفجراً يقترب من أجل غدٍ أفضل تتحرّر فيه الأرض والإنسان .

أبيات القصيدة (١)

تَطْـرُقُ الكـوخَ رصاصـاتُ البَـرَدْ ... تـوقِظُ الطِّفْـلَ الـذي جوعـاً رَقَـدْ
يَفْـزَعُ الطِّفْـلُ فيَهْـوي مُـسْرِعاً ... فَـوْقَ صَـدْري وَإلى كتِفـي اسْـتَنَدْ
بَـرَدٌ ! خُـذْها التَقِطْهـا مُـصَّها ... عَلَّهـا مَـرَّتْ عَلـى أَرْضٍ صَـفَدْ
عَلَّهـا مَـرَّتْ عَلـى زَيْتونَـةٍ ... كـانَ يُـرْوي زَيْتُهـا أَهْـلَ البَلَـدْ
عَلَّهـا مَـرَّتْ علـى حَيْفـا وَقَـدْ ... أَصْـبَحَتْ ذِكْـراكِ حَيْفـا تُبْتَعَـدْ
كَيْـفَ أُنْـسي صِـبْيَتي عَلَّمْـتُهُمْ ... أَنَّ بَـيْتي وَسْـطَ يافـا لَـنْ يُهَـدْ
كَيْـفَ أُنْـسي صِـبْيَتي عاهَـدْتُهُمْ ... سَوْفَ نَمْضي إنْ غَـداً أَوْ بَعْـدَ غَـدْ
كَيْـفَ أَنْسى وَسْطَ حَيْفا مَسْجِداً ... طالَمـا وَجْهـي بِرُكْنَيْـهِ سَـجَدْ
لَـسْتُ أَرْضـى بِجِـنين وَحْـدَها ... بَيْتُنـا في اللُّـدِّ لِـمْ لا يُـسْتَرَدْ
إنْ أَرَدْتُـمْ أَنْ تُنَـسُّوا صِـبْيَتي ... ذِكْـرَ حَيْفـا فـارْقُبوا لَعْـنَ الأَبَـدْ
وَاعْلَمـوا أَنَّ فِلَـسْطينَ غَـدَتْ ... في دَمِ الأَطفـال حَلَّـتْ كُـلَّ يَـدْ
يَعْـصِفُ الـرِّيحُ وَرَعْـدٌ قاصِـفٌ ... وَتَـرى ابْـني فَـوْقَ صَـدْري يَرْتَعِـدْ
يَهْجـم المـاءُ مِـنَ الـسَّقْفِ علـى ... خَـدِّ طِفْـلٍ فَوْقَـهُ الـدَّمْعُ جَمَـدْ
تَأْخُـذُ الطِّفْـلَ الـمُعَنّى رِعْـشَةٌ ... صـاحَ "بابـاً" ثُـمّ "مامـا" ثُـمَّ قَـدْ
مَـدَّ جِـسْماً نـاحِلاً ثُـمَّ انْثَنَـى ... وَدَنـا مِـنْ أُمِّـهِ ... ثُـمَّ قَعَـدْ
قُلْـتُ هـاتي ناوليـهِ لُقْمَـةً ... فَتَّـشَتْ في كُـلِّ بَـيْتي لَـمْ تَجِـدْ
يـا إلهـي لَـيْسَ يَخْفـى حالُنـا ... نَحْـنُ نَحيـا في عَنـاءٍ وَنَكَـدْ

---

(١) ديوان "حجر وشجر" ، ص١٠٧ .

لَـيْسَ إلاّ أَنْـتَ يـا رَبّـي لَنـا		حَـسْبُنا اللهُ هُـوَ الفَـرْدُ الـصَّمَدْ
فَمَتـى جُمْعَتُنـا تَـأْتي لَنـا		هَـلْ سَـنَبْقَى بَـيْنَ سَـبْتٍ وأَحَـدْ
لَـمْ أُرَعْ إلاّ بِـصَوْتٍ هـاتِفٍ		يَمْـلأُ الـرّوحَ ثَباتـاً .. وَجَلَـدْ
سَوْفَ يأتي فَجْرُ شَعبي قاصِماً		ظَهْـرَ لَيْـل قَـدْ تَمَطّـى واسْـتَبَدْ
أَلْمَـحُ النَّـصْرَ بِجيـل مُـؤمِنٍ		بِرُكـوعٍ وَسُـجودٍ .. وَعُـدَدْ
سَـتَعودُ القُـدْسُ يَوْمـاً لِلحِمـى		مـا بَقـي في أَرْضِـنا أُمٌّ تَلِـدْ

قصائد مختارة من شعره

٢

كيف السبيل

هذه القصيدة نظمها الشاعر عام ١٤٠٤هـ ، بيّن فيها الواقع المهزوم لهذه الأمة في هذه الفترة من الزمان ، و أشار إلى الأوضاع السياسية والهزائم العسكرية التي عاشتها القضية ، وعرض مآسي شعب فلسطين .. من مطاردة وتشريد ومذابح ومصادرة للأراضي و.. و..

وأمام هذه المآسي والأهوال تساءل شاعرنا عن السبيل الذي نسلكه لنسترد حقوقنا ونحرّر أرضنا ونطرد منها المحتل . وذكّر الأمّة بتاريخها المجيد وبأبطالها الميامين وقادتها المجاهدين الذين خاضوا معارك حطين وعين جالوت . ودعا الأمة إلى تربية جيل جديد وإلى إعداد كتائب الإيمان التي تحمل المصحف في يد والبندقية في يد .. وتمضي مع الفجر لتخوض معركة التحرير . وبيّن أن هذا الدرب ومع أنه شائك وطويل إلاّ أنه لا درب غيره يوصلنا إلى الهدف المنشود ..

هذا الشاعر عاش مع أرضه ووطنه ، وتوجّع وتألّم لكنه لم ييأس ، ولم يعش في دائرة الحزن تأكله الآلام ، بل جعل من قصيدته أرجوزة لحن الأمل المرجو عبر التأسّي بماضٍ لم يمت ، ومستقبل زاهر لأمة عظيمة لا ترضخ ولا تستكين .. وأظهر من خلال الكلمة الشعرية مفهوم الارتباط بالأرض ، وقدسية تحرير أرض الإسراء ، وبيّن أن جوهر الصراع مع يهود ليس أرضاً فحسب ، إنما هو صراع عقيدة .. ودعا في قصيدته إلى أن يكون الإسلام هو الموجّه والقائد للمجتمع في كل الميادين .

أبيات القصيدة[1]

===================

مَـعَ كُـلِّ مَذْبَحَـةٍ تَجِـدُّ وَلا جَـوابَ سِـوى العويـلْ
مَـعَ كُـلّ جُـرْحٍ في عُـروقِ عُـروبَتي أَبـداً يَـسيلْ
يَـأْتي يُـسائِلُني صَـديقٌ مِـنْ بِـلادي مـا الـسّبيلْ ؟
كَيْـفَ الـسَّبيلُ إلى كَرامَتِنـا إلى الـمَجْدِ الأَثيـلْ
مَـعَ كُـلِّ تَـشريدٍ لِـشَعْبٍ صـارَ جلْـداً للطُّبـولْ
كَيْـفَ الـسَّبيلُ إلى الـخَليلِ إلى الـمُثلَّثِ والـجَليلْ
كَيْـفَ الـسَّبيلُ إلى اجْتِثـاثِ الـحِقْدِ والـدّاءِ الوبيـلْ
كَيْـفَ الـسَّبيلُ لِنَطْـرُدَ الـخِنْزيرَ والقِـرْدَ الـدَّخيلْ
كَيْـفَ الـسَّبيلُ لـحَرْقِ غَرْقَـدِهِمْ وإنْبـاتِ النَّخيـلْ
لا تَنْـصَحَنّي بـالرُّكونِ لِكُـلِّ مَهْـزومٍ هَزيـلْ
لا تَنْـصَحَنّي بالـصُّمودِ الزائِـفِ القَـذِرِ العَميـلْ
تَبْقـى شِـعاراتُ الـصُّمودِ سَـليمةً وأَنـا القَتيـلْ
تَبْقـى شـعاراتُ الـصُّمودِ تَخونُنـا : أَيْـنَ العُقـولْ ؟
شَـربوا دمـائي مِـنْ عُروقـي نَخْـبَ سِلْمِهِمُ الـذَّليلْ
رَسَـموا طَريـقَ القُـدْسِ مِـنْ صَـنْعاءَ حَتّـى الـدَّرْدَنيلْ
مَرْمـى الحـصى عَـنْكُمْ أَريحـا لا تَـدوروا أَلْـفَ ميـلْ

(١) ديوان "كيف السبيل" ، ص٥٧ .

وَلَمَسْتُ قَلْبَ مُحَدِّثي وَهتَفْتُ مِنْ قَلْبٍ عليلْ
قَلْبي مَليءٌ بالأَسى وَحَديثُ مَأْساتي يَطولْ
أَسْمَعْتُهُ آياتِ قُرْآني بِتَرْتيل جَميلْ
حَدَّثْتُهُ عَنْ قِصَّةِ التَّحْرير جيلاً بَعْدَ جيلْ
وَوَقَفْتُ في حِطِّينَ أَقْطِفُ زَهْرَةَ الأَمَل النَّبيلْ
وَرَأَيْتُ في جالوتَ ماءَ النِّيل يَبْتَلِعُ المَغولْ
وَهتَفْتُ لَيْسَتْ وَحْدَةُ الرَّشاش تَكْفي يا خَليلْ
أَرَأَيْتَ كَيْفَ ارْتَدَّ رَشّاشُ الزَّميل عَلى الزَّميلْ
بَلْ وَحْدَةُ الدِّين القَويمِ وَوَحْدَةُ الهَدَفِ الأَصِيلْ
وَبِناءِ جيلٍ مُؤْمِنٍ وَهْوَ الصَّواعِقُ والفَتيلْ
بِكتائِبِ الإيمانِ نَحْمي المُصْحَفَ الهادي الدَّليلْ
تمضي كتائِبُنا مَعَ الفَجْرِ المُلَثَّمِ بالصَّهيلْ
نَمْضي وَلا نَرْضى صَلاةَ العَصْرِ إلاّ في الخَليلْ
هذا السَّبيلُ ولا سبيلَ سِواهُ إن تَبْغِ الوُصولْ
هذا السّبيلُ وإنْ بَدا مِنْ صاحِبِ النَّظَرِ الكَليلْ
دربًا طَويلاً شائِكاً أو شِبْهَ دَرْبٍ مُسْتَحيلْ
لا دَرْبَ يوصِلُ غَيْرُهُ مَعَ أَنَّهُ دَرْبٌ طَويلْ

قصائد مختارة من شعره

٣

ورود الجراح

هـذه القـصيدة نظمهـا الـشاعر عـام ١٩٩٦م بمناسـبة ذكـرى الإسـراء وتجـدّد الانتفاضة .. وبعد تسع سنوات مـرّت علـى بـدء الانتفاضـة الـتي شـاهد فيهـا أبنـاء فلسطين العبر والحقائق التي فضحت أساطير العدو وكبْره ، وملأت قلوب جنده قلقاً ورعباً . وفي هـذه القـصيدة دعـا الـشاعر إلى الجهـاد لتحريـر أرض الإسـراء ، وأشـاد بالشهداء الذين قدّموا أرواحهـم فـداء لـدينهم ووطـنهم ، ودعـا الـشباب إلى الاقتـداء بهؤلاء الروّاد الذين سبقونا إلى الشهادة ، ووجّههـم إلى التعلّـق بالمساجد . وطـالبهم بالتمسك بالقدس ووحدتها ، ودعاهم إلى تحرير الأقصى الأسير .. وأخـبرهم بـأنهم ليسوا وحدهم في الميدان ، وأن أحجـار فلـسطين وأشجارها سـتكون معهـم في معركـة التحرير .. وهذا إشارة إلى حديث الرسول عليه السلام حيث قال: [لا تقوم الـساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتُلُهُم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجـر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهوديٌّ خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود] (١) .

أبيات القصيدة

=====================

بـــابُ الجهـــادِ مُفَــتَّحٌ لا يُغْلَـــقُ   كالـشمس تَغـشاها الغيـومُ وتُـشرِقُ
والمـــسلمون خَـــصيبةٌ أجيـــالُهُمْ   ومَـنْ ابْتَغـى سُـبُلَ العطـاءِ سـيُرْزَقُ

---

(١) صحيح مسلم الجزء الثامن عشر ص٤٤ .

(يحيــى) مــضى واللهُ ربٌ قــادرٌ ... أمثــالُ (يحيــى) للجهــادِ سـتُخلَقُ
يمــضي الــشهيدُ فنَقْتَفــي آثــارَهُ ... جيــلٌ قــضى منّــا وجيــلٌ يَلْحَــقُ
منــا الأواخــرُ تَقْتَــدي بِأَوائــلِ ... حَبْــلُ التّواصُــلِ في الجهــادِ مُوثَّــقُ
ديباجــةُ الــشهداءِ تلْمَــعُ جِــدَّةً ... نَــردُ المنايــا راغــبين فنَــسْبِقُ
ودُروعُنــا نُــسِجَتْ بِأهْـدابِ التُّقــى ... ومَــنْ ارتَــدى ثَــوْبَ التُّقــى سَـيُوَفّقُ
وتَعَلَّقَـــتْ أجْيالُنـــا بمَـــساجدٍ ... إن كــانَ يَــسْتَهوي سِــوانا الفُنْــدُقُ
والعُــرْبُ حَــوْلَ الموبقـاتِ تَجمَّعـوا ... وإذا دعــا داعــي الجِهــادِ تَفرَّقــوا
وَغــدَتْ مَطايــاهُمْ هِجــانَ مَذَلَّــةٍ ... فَمتــى سَيَــصهَلُ في رُباهــا الأَبْلَــقُ
تِسْعٌ مِنَ الـسَّنَواتِ مَـرَّتْ وانْقَضَتْ ... ولِحُلْوِهـــا ولِمُرِّهـــا نَتَـــذَوَّقُ
ذِكـرى انْتِفاضَـةِ شَـعْبِنا عِبَـرٌ لَنـا ... فيهــا الحقَــائِقُ والــرُّؤى والــمَنْطِقُ
فَــضَحَتْ أَســاطيرَ العَــدُوِّ وكِبْــرَهُ ... قَــذَفَتْ بِــهِ رُعْبــاً يَــشِلُّ ويُقْلِــقُ
ومَــصيرُ أعــداءِ الــشُّعوبِ جَهَــنَّمٌ ... وشَــهيدُنا في الــخُلْدِ حَــيٌّ يُــرْزَقُ
هَــلْ يَــسْتوي مَــنْ في لَظــىً مُتَقَلِّــبٌ ... مَــعَ مَــنْ يَطــيرُ بجَنَّــةٍ ويُحَلِّــقُ
وإذا انْتَمــى كُــلٌ إلى حَــسَبٍ لَــهُ ... كــانَ الــسَّجينُ هُــوَ الأصيلُ الأعْـرَقُ
مِــنْ صَــبْرِهِ وثَباتِــهِ ويَقينِــهِ ... نَــسَجَ الــصَّباحُ خُيوطَــهُ والــمَشْرِقُ
ياســينُ شَــيْخَ الــصامِدين تَحيَّــةً ... عَلَّمْتَنــا كَيْــفَ الــحُقوقُ تُحَقَّــقُ
يــا قُــدْسُ إنَّ بَنيـكِ حَقّـاً مَـنْ أَبَـوا ... تَمْزيــقَ جِـسْمِكِ ، والأعـادي مِزّقـوا
يــا قُــدسُ أنــت القلــبُ في أجـسامِنا ... حيفــا ويافــا كــالعيون تُحَــدِّقُ
صَــفَدٌ لنــا كَتِــفٌ وعَكــا هامَــةٌ ... والزَّنْــدُ غَــزَّةُ ، والخَليــلُ البَيْــرَقُ
حِطّــينُ تــاجُ الـمُـسْلمينَ لِهامَــةٍ ... وَعْــداً سَتُنْــصَرُ والكِتــابُ مُــصَدَّقُ

وجِبالُ هذي الأرضِ عَظْمُ جُسومِنا ... ودْيانُهـــا بعُروقِنـــا تَتَـــدَفَّقُ
والـمَـسْجِدُ الأَقْـصى كِتـابٌ مُنْـزَلٌ ... أَحْجــــارُهُ آياتُـــــهُ تتـــــألَّقُ
فيــــهِ الأذانُ حَزينَـــةٌ أَنْفاسُـــهُ ... فَمَتـــى يَهُـــزُّ الخـــافِقَيْن ويَخْفِـــقُ
وبُراقُنـــا والـــسّورُ مِثْـــلُ سِـجِلِّهِ ... فـــإذا اسْـــتَهَنّا بالـــسِّجِلِّ يُمَـــزَّقُ
يا قُدسُ جُنْدُكِ كالجِبـال رُسوخُهُمْ ... وسُـــيوفُهُمْ في الـــمَعْمَعان سَـــتُبْرِقُ
يـــا قُـدسُ يَحْميـكِ الإلـهُ بِجُنْـدِهِ ... يَحْميـــكِ ربّـــي أنْ يَبيعَـــكِ سُرْسُـــقُ
يـــا قــدسُ مـاؤُكِ سَلْـسبيلٌ رائـقٌ ... مَهمـــا شَـــربْنا مِـــنْ سِـواكِ سَنَـشْرَقُ
يـــا قُـــدسُ تَفْـديكِ الجِبـاهُ نَقِيَّــةً ... لِـــسُجودِها وخُــــشوعِها تَتَـــشَوَّقُ
القَيْـدُ أَدْماهـــا ودنّــسَ طُهْرَهـــا ، ... لِيَـــدٍ تُحَطِّـــمُ قَيْـــدَها تَتَحَـــرَّقُ
يـــا قُـدسُ كَـمْ مِـنْ هَجْمَـةٍ هَمَجِيَّـةٍ ... كانَــتْ عَلـى أَعْتـابِ سـوركِ تُـسْحَقُ
وَلآخِـــرِ الـــهَجَمات يَـــوْمٌ قـــادِمٌ ... تَتَجَمَّـــعُ الأَهْـــوالُ فيـــهِ ويُطْبِـــقُ
مَـــسْرى النَّبـــيِّ غَـــدا أَسـيراً مالَــهُ ... إلاّ الـــدِّما تُفْـــني القُيـــودَ وتُعْتِـــقُ
أحْجارُنـــا أَشْـــجارُنا سَـــتُقاوِمُ الـــ ... ـــمُحْتَلَّ يُنْطِقُهـــا الإلـــهُ فَتَنْطِـــقُ

المصادر والمراجع

١- ديوان "كيف السبيل" .

٢- ديوان "حجر وشجر" .

٣- ديوان "الأسرى أوّلاً" .

٤- الدكتور جبر خضير : التيار الإسلامي في الشعر الفلسطيني المعاصر .

٥- مقابلة مع الشاعر خالد السعيد في ١٩٩٧/١١/٤ .

سعيد بلال

(١٣٤٩ - ١٤٢٦ هـ) (١٩٣٠ - ٢٠٠٥ م)

* تقديم
* حياته
* صفاته ونشاطه
*وفاته وتشييعه
* شعره
* قصائد مختارة من شعره

تقديم

الشيخ سعيد بلال .. داعية مجاهد .. وأديب شاعر .. ومربٍّ فاضل .. من نشطاء الحركة الإسلامية في فلسطين .. كان له دور كبير في تربية الشباب على الإسلام ، وإعدادهم للدفاع عن وطنهم ، والعمل على استرداد ما اغتصب منه ..

وقد عُرف الشيخ سعيد بمواقفه الوطنية وعمله الدؤوب على وأد الفتنة بين الفلسطينيين ، التي يخطط لها الاحتلال وعملاؤه .

حياته

ولد الشيخ سعيد أحمد بلال ، في قرية طلوزة / نابلس بفلسطين عام ١٩٣٠م . وتلقى تعليمه في مدرسة طوباس حتى الصف السابع الابتدائي ، وهو خاتمة صفوفها في ذلك الوقت .. ثم التحق بالمعهد الثقافي في مدينة نابلس وحصل على شهادة المحاسبة والعلوم المصرفية .. وعمل مدرساً في مدرسة ياصيد / نابلس .. وبعد عامين ترك الوظيفة وارتحل إلى بغداد ، وعمل موظفاً في الشركات العاملة فيها ، واستقرّ به المقام في مدينة سامراء شمال بغداد مع شركة ألمانية .. وفي سامراء تعرّف على دعوة الإخوان المسلمين ، حيث وجد بها رجالاً لم يكن يتصور أن في هذه الدُّنيا نماذج بشرية بهذا المستوى من الخلق والوعي والاخلاص .. ووجد نفسه واحداً منهم .. ومن هنا كان اهتمامه بالعلوم الشرعية .. فتتلمذ على أيدي كرام الأساتذة في سامراء وبغداد حيث العالم الجليل محمد محمود الصواف ، والأستاذ المربي الدكتور عبد الكريم زيدان ، والشيخ نعمان السّامرائي وغيرهم .. ومكث هناك حتى عام ١٩٥٦م ، ثم عاد إلى وطنه فلسطين والتحق بجماعة الإخوان في الأردن . وأقام فترة في مدينة جنين أنشأ فيها مكتباً للتدريب على الآلة الكاتبة (الطباعة) . ثم انتقل إلى مدينة نابلس ، وأنشأمكتبة صغيرة في خان التجار لبيع الكتاب الإسلامي .. وعمل موظفاً ، إماماً وخطيباً لمسجد التينة في البلدة القديمة ، ثم عمل في وزارة الأوقاف الإسلامية

مفتشاً عاماً للمساجد في منطقة نابلس .. وتدرّج في عمله حتى أصبح مديراً عاماً لوزارة الأوقاف في الضفة الغربية .. وفي عام ١٩٩٩م أُحيل إلى التقاعد ..

لقد عرفت الشيخ سعيد منذ جاء إلى جنين عام ١٩٥٦م .. ومع أنني ذهبت إلى الطائف في أواخر عام ١٩٥٧ للعمل فيها مدرّساً ، إلا أنني كنت أزوره في نابلس كلما ذهبت إليها في إجازاتي الصيفية . وبعد عودتي من الدوحة إلى عمان ، كنت كلَّما ذهبت لزيارة الأهل في جنين ، أقوم بزيارته في نابلس .. وكانت آخر زيارة لي في صيف عام ١٩٩٥ ، حيث زرته في مكتبه بوزارة الأوقاف عندما كان مديراً عامّاً .. وكانت لفتة كريمة منه عندما اتصل بإخوة كرام لم أشاهدهم منذ سنوات طوال ، وأخبرهم بوجودي عنده فحضروا ، وأذكر منهم الأخ الحبيب الأستاذ ناجي صبحة والأخ الحبيب صبحي العنبتاوي .. وفي مساء ذلك اليوم وقبل عودتي إلى جنين زرته في بيته ، وأخبرني أن السّلطات الإسرائيلية أنذرته بهدم البيت .. وقد استمرّ التواصل بيني وبينه إلى آخر زيارة قام بها إلى عمان .

صفاته ونشاطه

كان الشيخ سعيد يتمتع بصفات كريمة محبّبة إلى الشباب ، لما لها من تأثير كبير في نفوسهم ، وخاصة الذين تعاملوا معه وتأثروا به ، فقد كان في حديثه معهم رشيق الأسلوب ، مؤثّراً وجذّاباً .. كان يدعو الشباب إلى الإسلام ، وإلى الدفاع عن الوطن .. ويربي أسرته على الإسلام ، ويغرس حب الوطن في قلوب أبنائه ، ويحضّهم بأقواله وأفعاله .. ومن المفيد هنا أن ندوّن قصته مع أحد الشباب الذين تأثروا به .. ففي مقابلة مع الشيخ حامد البيتاوي روى لي مجموعة من صفات الشيخ سعيد ، ومدى تأثّره بهذه الصّفات فقال [1] :

(١) مقابلة مع الشيخ حامد البيتاوي في عمان بتاريخ ٢٠٠٧/٢/٢٠ .

" الشيخ سعيد داعية عنده بُعْدُ نظر وقُدرة علـى حُـسْن التخطـيط للمـستقبل .. كان يقوم بجولات دعوية في قرى نابلس ، يُلقي خلالها مواعظ في المساجد ، ويتعرف على الناس وبخاصّة الشباب منهم .. وكان أوّل لقاء لي به في أوائل السّتينات ، عندما كنت في الصف الثالث الإعـدادي .. وفي ذات يـوم ألقـى موعظـة في مـسجد " بيتـا " ، وبعد الموعظة بادر بالتّعرف عليّ ، وطـرح فكـرة التواصـل في نـابلس في دار الإخـوان المسلمين ، ولم أكن سابقاً أسمع بهذا الإسم فلم أذهب إليهم ..

وفي بداية العام الدراسي الجديد انتقلت إلى نابلس للبدء بالدراسة الثانويـة .. وأبدى الشيخ سعيد إهتماماً بالاتصال بي ، فاعتـذرت عـن زيارتـه في بيتـه أو في دار الإخوان ، ولم أذهب لزيارته .. وبعد سنة – أي في سنة ١٩٦٣/٦٢م – عـاود الـشيخ سعيد الاتصال بي ، والتقيـت بـه في دار الإخـوان .. ومـع الأيـام توثقـت صـلتي بـه وبالإخوان ..

ولما أنهيت الدراسة الثانوية ، أشـار الـشيخ سـعيد علـيَّ بدراسـة الـشريعة ، فدرستها في الجامعة الأردنية ، وتخرّجت فيها عـام ١٩٦٨م ، وعـدت إلى نـابلس .. وتواصل اللقاء ، وحرص الشيخ سعيد على توجيهي للعمل في المحاكم الشرعية ، مـن خلال الشيخ جمعة السلوادي قاضي نـابلس الـشرعي .. وبتوفيـق الله تعـالى عملـت في المحاكم الشرعية الفلسطينية إلى أن وصلت أعلى مراتب القضاء الشرعي في فلسطين ..

وهذه ثمرة من ثمار الشيخ سعيد ومؤشر مـن مؤشـرات بُعْـد النظـر والتخطـيط للمستقبل عنده ..

كان – يرحمه الله – يحرص على صناعة قـادة للمـستقبل .. فكـان يـصطحبني ويصطحب غيري في جولاته في فلسطين ، ويعرّفنا بـأهم رجـالات فلـسطين مـن شـتى الاتجاهات .. وهذا كان له أثر اجتماعي فيما بعد " .

ومن أبرز صفات الشيخ سعيد التي ذكرها الشيخ حامد ، ووافقه فيها كثيرون منهم الدكتور حسام عبد الهادي والشيخ نظمي حجة – وأثنوا عليها جميعاً ، وقالوا إنها كان لها أثر واضح في نشاطه :

﷽ إمتاز الشيخ سعيد بالحلم ، وبُعْد النظر ، وحصافة الرأي ، والقدرة على التحمل ، والذكاء ، والحنكة السياسية ، فكان حريصاً على مد الجسور مع المخالفين للإخوان .. ومن أمثلة ذلك حفل المولد النبوي الذي أقامه المجلس البلدي في نابلس في السبعينات .. والذي تمّ بمشاركة جماهيرية من الضفة الغربية والقطاع ، وتحوّل إلى حفل للحركة الإسلامية ..

وكان الشيخ سعيد على علاقة مميزة مع الرئيس ياسر عرفات منذ بدايات الثورة الفلسطينية ، واستمرت حتى وفاته رغم ما شاب العلاقات من توترات .

﷽ وكان يمتاز بالبساطة والكرم – رغم ضيق الحال – فكان بيته مأوى للضيوف من شباب الإخوان وغيرهم ، وكان شعاره : [لا نبخل بالموجود ، ولا نتكلف المفقود] .. ويكاد الشيخ حامد يجزم بأنه غالباً ما كان يشاركه ضيف أو أكثر في وجبة غدائه .. ويقول الشيخ نظمي حجة : كُنّا شباباً في دعوة الإخوان ، فلقينا من أهلنا العنت والحرمان من المال ... فكنت إذا احتجت إلى نقود أذهب إليه في مكتبته وأطلب منه مصروفاً ، فيفتح محفظته ويقسم ما فيها مناصفة يبني وبينه .. وهذا مع قلّة راتبه الشهري .

﷽ وكان – يرحمه الله – رجل إصلاح ، يعمل على حقن الدماء على مستوى الأفراد والعشائر والتنظيمات .. فعندما كانت تحدث مشاجرات طلابية بين الحركة الإسلامية والتنظيمات الأخرى ، كُنّا نذهب إلى الجامعات وإلى غزة للقاء وجوه الحركة الإسلامية ، ونعمل على إطفاء نار الفتنة وإصلاح ذات البين مع هذه التنظيمات .

ﷺ والشيخ سعيد داعية مجاهد ، كان له دور في نشر الدعوة في فلسطين ، وبخاصة في منطقة نابلس وجنين ، وكان أحد القلائل البارزين الذين جهروا بدعوة الإخوان .. وهو أحد أركان الصّحوة الإسلامية في فلسطين ، وذلك من خلال مركزه كمسؤول في الحركة الإسلامية ، ومن خلال خُطبه ودروسه ، ونشاطه في الندوات والأعراس الإسلامية التي كان يحضرها الآلاف .

ﷺ ورغم تحصيله العلمي المتواضع ، كان له دور في نشر الثقافة الإسلامية ، والكتب الإسلامية وبخاصة الحركية منها ، والأشرطة والمحاضرات ، والأناشيد الإسلامية ، والجلباب الإسلامي – وقد كانت زوجته (أم بكر) من أوائل من لبس الجلباب في نابلس – .. وكان كل ذلك من خلال مكتبته في خان التجار . وقد سبّبت له المكتبة خسارة مالية ، ومشكلات أمنية في كثير من الأحيان . فكثيراً ما كان يستدعى من قبل الحكام العسكريين والمخابرات ويتعرض للتهديد .. وأحياناً للاعتقال كما حدث في عام ١٩٨٥م ، فقد اعتقل مدة (٦٨ يوماً) تعرض خلالها للتحقيق عشر ساعات يومياً . وحُكم عليه بالإقامة الجبرية لأكثر من مرّة .

ﷺ ولّما كانت الحركة الإسلامية في المنطقة المحتلة عام ١٩٤٨م ، نتاج مجموعة من الدّعاة .. كان الشيخ سعيد من أوائل الذين سارعوا بالاتصال بأبناء هذه المنطقة ، هو والشيخ محمد فؤاد أبو زيد ، والشيخ حامد البيتاوي ، والأستاذ ناجي صبحة ، والشيخ أحمد الحاج علي ، فكان لهم دور كبير في نشر فكر الحركة الإسلامية فيها .

وكان إلى جانبهم عدد آخر من الدّعاة الكرام يقومون بواجب الدعوة في تلك المنطقة وفي غيرها ، في مقدمتهم الشيخ محمد أبو سردانة ، والشيخ مشهور الضامن ، والحاج صبحي العنبتاوي ، والأستاذ نبيل بشتاوي ومجموعة من أبناء قطاع غزة وغيرهم من المناطق الأخرى .

ﷺ وأخيراً فقد كان الشيخ سعيد رمزاً من رموز الصمود في أرض فلسطين .. وكان له دور كبير في تربية جيل من الشباب ، الذين غرس في قلوبهم حبّ الوطن ..

ولما فكّر شباب الحركة الإسلامية بالجهاد في فلسطين في أوج انطلاق الحركات الوطنية .. كان له رأي آخر فيه الكثير من بُعْد النظر .. ملّخصه أنّ الإعداد العسكري يجب أن يسبقه طول إعداد تربوي .

ومن النشاط المبرور الذي يُسجّل للشيخ سعيد اهتمامه بتربية أسرته ، ومن ذلك انعكاس فكره على أبنائه الخمسة الذين التحقوا جميعاً بالعمل الجهادي .. وسوف نتحدّث عن جهادهم وثباتهم واعتقالهم ، وعن صبر والدهم والسّماح له بزيارتهم في السجن مرة واحدة فقط .. وما كان لتلك الزيارة من أثر على صحته بعد عودته إلى نابلس ، فهناك شبهة بأنه تعرّض للتسمم بطريقة ما .. وسيكون هذا الحديث في نهاية البحث إن شاء الله .

وفاته وتشييعه

كان الشيخ سعيد يأتي أحياناً إلى عمان للعلاج ، وكنت أزوره كلما علمت بوجوده .. وكانت آخر زيارة له في أوائل شهر رمضان المبارك عام ١٤٢٦ هـ ، وقد اتصل بي وأخبرني أنه قَدِمَ من نابلس لحضور العزاء بمناسبة وفاة ابن عمه ، ولإجراء بعض الفحوصات .. وذهبت إليهم معزّياً في الزرقاء ، وكنت على نيّة سفر إلى الدوحة في تلك الأيام .. ووجدتها فرصة لدعوته عندي مع بعض الإخوة والأصحاب في تلك الليالي المباركة .. فأصرّ على التأجيل إلى ما بعد عودتي من السفر.. وفي ليلة سفري اتصل بي هاتفياً وأخبرني أنه دخل المستشفى وأجريت له عملية وهو بخير والحمد لله .. فقمت بزيارته في المستشفى فوجدته بحالة حسنة .. وبعد زيارة قصيرة ، ودّعته في حجرته ، فأصرّ على الخروج معي إلى المصعد ، وقال:

بعد عودتك من السفر سنجلس جلسة طويلة إن شاء الله .. وواصل الحديث طويلاً ، وأحسست بأنه كان يشعر بأن هذا اللقاء ربّما يكون اللقاء الأخير ..

وسافرت مدّة أسبوع ، ثم عدتُ إلى عمان لأجد أمامي خبر وفاة الشيخ سعيد .. يرحمه الله .. ففي يوم الأربعاء السادس عشر من رمضان المبارك ١٤٢٦هـ الموافق ٢٠٠٥/١٠/١٩م ، أُعيد الشيخ سعيد إلى المستشفى وانتقل إلى رحمة الله ...

وقامت الحركة الإسلامية في الأردن بنعيه ، وممّا قالته عنه :

" الشيخ سعيد هو أحد رجالات الحركة الإسلامية في فلسطين .. وكان من الأوائل الذين تولّوا نشر فكر الجماعة في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨م " .

وأقامت جماعة الإخوان المسلمين في مقرها العام في عمان مأدبة إفطار لأسرة وأقارب الشيخ الداعية سعيد بلال .. وفي صباح يوم الجمعة ١٨ رمضان ١٤٢٦هـ شارك عدد من قادة الحركة الإسلامية إلى جانب عدد كبير من المواطنين في الموكب الذي أوصل جثمان الشيخ إلى الجسر في طريق عودته إلى فلسطين(١) .

وفي مقابلة مع السيد / حكم الكيلاني – الذي رافق جثمان الشيخ سعيد من الجسر إلى نابلس – ذكر لي مشاهداته فقال (٢) : " بعد الانتهاء من إجراءات الحدود – التي استغرقت فترة زمنية ليست قليلة – انطلقت بنا السيارة نحو مدينة نابلس .. وفي الطريق وجدنا أعداداً كبيرة من أهالي المنطقة في انتظارنا ، وما أن وصلنا مشارف المدينة حتى وجدنا جماهير غفيرة تملأ الشوارع والساحات المحيطة بها .. ولما توقفت السيارة قام الشباب بحمل نعش الفقيد على الأكتاف ، وطافوا به شوارع المدينة ، وهم يهلّلون ويكبّرون ويدعون للفقيد بالرحمة والقبول ، وعلّو المنزلة في الجنة .. ثم توجّهوا إلى الجامع الكبير في شرق نابلس ، وكانت جماهير

(١) السبيل – العدد ٦١٥ في ٢٥ / ١٠ / ٢٠٠٥م .

(٢) مقابلة مع السيد / حكم الكيلاني في عمان في أوائل الشهر الثاني ٢٠٠٧م .

المصلين تملأ المسجد والشوارع والساحات المحيطة به .. وكانت خطبة الجمعة لفضيلة الشيخ حامد البيتاوي ، الذي استعرض فيها سيرة الشيخ سعيد ، ونشاطه وجهاده ..

وبعد الصلاة كانت فصائل الحركات الإسلامية تملأ الشوارع ، فحملت النعش واتجهت به إلى المقبرة الشرقية التي تقع شرق جامع الحاج نمر ، ودُفن الفقيد بجوار قبر الشهيد جمال منصور .. وبعد إلقاء كلمات التأبين من الحضور ، وبالهاتف من عدة بلدان ، توجّهت الجماهير إلى بيت العزاء وشارك في العزاء أهالي مدينة نابلس، ووفود كثيرة من المدن والقرى ، ومؤسّسات السّلطة وجميع الفصائل والجامعات .

شعره

سعيد بلال شاعر إسلامي ، بدأ يقرض الشعر في الخمسينات من القرن الماضي، ويلقيه في مناسبات دينية ووطنية ، وفي الاحتفالات والمهرجانات التي تقيمها الحركة الإسلامية في نابلس ومنطقتها ..

نظم شعره في عدد من المجالات .. نظمه في المناسبات الإسلامية ، وفي تربية أسرته على الإسلام ، ونظمه في الدّفاع عن أرض فلسطين التي اغتصبها العدو الصهيوني ، ونظمه في الحضّ على الجهاد والثّبات في أرض الوطن .. ورسم في شعره صورة صادقة لحياة أبناء فلسطين الذين وقفوا في وجه المحتل الغاصب ، وتحملوا الأذى والاعتقال والسّجن والتعذيب ... وفيما يلي مقتطفات من قصائده :

هذا الشاعر المعتزّ بإسلامه المحبّ لوطنه – وحبُّ الوطن من الإيمان – نظم قصيدة بعنوان " أنا مسلم " ، وألقاها في جامعة النجاح بنابلس في أيلول ٢٠٠٢م .. نظم قصيدة حَبَكَ أبياتها من الواقع اليومي لحياة شعب فلسطين في ظل الاحتلال ،

الذي يعتقل الشباب ، ويهدم البيوت ، ويصادر الأرض ، ويخلع الأشجار ، ويجرف التربة ، ويتلف المزروعات ..

وشاعرنا في هذه القصيدة يحضّ أبناء شعبه على الصّبر ، والمرابطة في أرض الآباء والأجداد .. ويدعو إلى القوة والإعداد ، والتربية في المساجد ، والانطلاق بعزم وثبات لتحرير الدّيار ، فما أحلى النصر بعد الهزيمة .. يقول فيها [1] :

أنا مسلمٌ متمسّكٌ بكتابي ... وأنا الذي نهب العدوُّ تُرابي
لِمَ لا يحقُّ بأن أقول كفاكُمُ ... نهباً لأرضي واعتقال شبابي
لِمَ لا أقاومُ ظالمي بضراوة ... حتّى وإن زاد اللئيم عذابي
حقلاً ورثتُ وعشْتُ فيه طفولتي ... وضعوا عليه يداً فطار صوابي
خلعوا شُجيراتي أمام نواظري ... لم يكفهم قهري عن استجوابي
قد أرهبونا .. قتّلوا أطفالنا ... من غير ما سبب من الأسباب
قد جرّموني في قضاءٍ جائر ... بل قرّروا قبل السؤال عقابي
قالوا لِمَن هذا الدّيار .. فقلتُ لي ... قالوا .. فأنت المسلمُ الإرهابي
أنعِم بأشرفِ تهمةٍ نُسبت لنا ... هي آيةٌ مكنونةٌ بكتاب
فلتُرهب الأعداءَ شدّةُ عزمنا ... من عسكر الطاغوت والأذناب
في سورة الأنفال أوضح آيةٍ ... لنعدّ قوّتنا وكلّ ركاب
فيها سلامٌ حافظٌ لحقوقنا ... إذ كلّ شيء عندنا بحساب
إن يسأل الباغي متى يوم اللّقا ... في سورة الإسراء خيرُ جواب
وبآل عمران العظيمة آيةٌ ... هي مرجعٌ للمسلم الأوّاب
إصبْر وصابر ثم رابط واتّقِ ... يكن الفلاح مُزيّناً بثواب

---

(١) ديوان للشاعر مخطوط .

وبعد أن يتحدث شاعرنا عن المزيفين المتاجرين بالقضية ، الذين انحرفوا بها عن النهج الرّباني .. يدعو أبناء أمته إلى عدم اليأس ، فالنصر قادم إن شاء الله ، فيقول :

لا تيأسوا إن جاءَ فجرٌ كاذبٌ فالماء يُسبقُ تارةً بسراب
والنّصر يحلو بعد مُرِّ هزيمةٍ فلْننطلق من جانب المحراب

ولشاعرنا قصيدة بعنوان " مذبحة الحرم الإبراهيمي " كان قد نظمها عندما حدثت المذبحة في مدينة الخليل ، وذُبح فيها ٤١ شهيداً من المصلين في ليلة جمعة ليلة النصف من رمضان في صلاة الفجر .. وألقاها في ذكرى هذه الكارثة في رمضان سنة ١٩٩٥ م ، وقال فيها (١) :

قالوا لُجين الدّمع وهو عقيقُ وعليَّ يُغمى تارة وأفيقُ
كلّ الأنام تضيق في أحزانها إلاّ أنا فالحزنُ فيّ يضيق
كلّ الطّيور تبيتُ في أكنانها أما أنا فنصيبي التعليق
ودماؤنا مهدورة في موطني وبمركبي وسط البحور غريق
يا أُمّة الإسلام أين سلاحكم قد قُطّعت أوتارنا وعروق
هل بعتُمُ مسرى النبي صراحة إنْ كان نومُ مخدّرين أفيقوا

وله قصيدة نظمها في ذكرى حرب حزيران واجتياح القدس ، قال فيها :

هذا حزيران المآسي قد دَنا ليُعيد ذكرى نكبة حلّت بنا
ذكرى سقوط القدس أقدس بيعةٍ معراج أحمد للأعالي من هنا
مِنْ ساحة الأقصى الأسير براقُهُ بلغ السماوات العُلى بلَغ المُنى

---

(١) ديوان للشاعر مخطوط .

الله بـــارك قُدســـنا بكتابـــه | وتباركـــت مِـــنْ حولـــه أرضٌ لنـــا
أشَـهِدْتَ يـا شـهر المآسـي نكبـةً | أو نكـسةً حلّـت بفعـل حروبنـا

ولمّا قام الجيش الإسرائيلي في الشهر التاسع والعاشر من عام ٢٠٠٤ باجتياح قطاع غزة ، نظم الشيخ سعيد قصيدة بعنوان " اجتياح غاشم لغزة هاشم " حيّا فيها آساد غزة وأشبالها الذين ثبتوا في الدفاع عن بلدهم ، ووثبوا على الغزاة وردوهم على أعقابهم .. وقال في قصيدته :

هـذا لعمـرك عـامٌ فيـه تنكيـدُ | سبعٌ عجـافٌ مـضت قتـلٌ وتـشريدُ
في كـلِّ عـام لنـا في القـدس مجـزرة | يُـــرادُ للنـــاس إذلالٌ وتعبيـــدُ
أمـا الجهـادُ ففـرضٌ نحـن نعرفـه | والحـــربُ نتقنـــه طعـــنٌ وتـــسديدُ
كالـصّوم يعقُبـهُ عيـدٌ بـلا فـرح | والنّـــصرُ نرقُبـــهُ أنْعِـــمْ بـــه عيـــد
آسـادُ غـزة والأشـبال قـد وثبـوا | نحـو الجنـود وللجـولات تجديـد
أمّـــا (الأباتـــشي) أذلّ الله قائـــدها | طـارت صـواريخه في الجـو تبديـد
فهـو الجبـان بمـا يلقيـه مـن حمـم | فـــوق الـــصّغار وأشـــياخ مقاعيـــد
قَتْـلُ الطفولـة مـن وحـش بطـائرة | هو ابن أفعـى وقُـلْ إن شئت عربيـد
إنْ راعَـهُ الـشبلُ في الميـدان فـرَّ إلى | دبّابـــةٍ يختفـــي فيهـــا الرّعاديـــد
جـيْشُ الـدفاع عرفنـا سـرّ قوّتـه | أن لا يواجـه في الـسّاحات صـنديد
شعبٌ البطولة يا شعبي بني وطـني | أنـتم حُمـاةُ الحِمـى بـل أنـتم الـصّيدُ

ولمّا أُقيم حفل تأبين للداعية الإسلامي المجاهد الأستاذ نـاجي صبحة في حرم جامعة النجاح الوطنية بنـابلس في ٢٧ / ٧ / ٢٠٠٤م ، شـارك الـشيخ سـعيد بقـصيدة رثاء لصديقه ورفيق دربه الأُستاذ المربـي " أبـو أسـامة " بعنـوان " في رثـاء الداعيـة المربي ناجي صبحة " ، قال فيها :

بكيتـك يـا أخـي ورفيـق دربـي ... لنـــصف القـــرن في ودٍّ وحُـــبّ
فهـل يرضـيك أن أبقـى وحيـداً ... ولا أجـد الحبيـب أخـي لجـنبي
إذا اشـتدّ الـبلاء دعـوت نـاجي ... ليـــسعفنا بـــرأي دون عيـــب
بحكمـة شـيخنا النّـاجي نجونـا ... وأشـــواكٌ أزلناهـــا وربّـــي
وآمـــال لأمتنـــا صـــنعنا ... ســـلكنا للمكـــارم كـــلّ درب
صـحبتك داعيـاً تـدعو لحكـمٍ ... بـــشرع الله مبـــتهلاً لربـــي
لتبقـى رايـــة الإســـلام تعلـــو ... علـى الرّايـات مـن عجـمٍ وعـربِ

وفي أيلول من عام ٢٠٠٢ م سأله أحد الوزراء الفلسطينيين فقال :

لماذا لا تشاركون في الوزارة وتأخذون حقكم في الاستمتاع بالمال والجاه وخدمة أنفسكم وإخوانكم ؟ فكتب قصيدة بعنوان السعادة الحقيقية وضّح له فيها معنى السعادة .. وقال فيها :

سُـئِلتُ هـل المنـام علـى الـوثير ... وشـرب الـرّاح مـع جمـع غفـير
ولعـــب النّـــرد في حُمـــر الليـــالي ... أيُـــسعِدُ في قليـــل أو كـــثير
فقلْـــتُ عـــلام هـــذا يـــا صـــديقي ... ومـــا قـــدّمت لليـــوم الأخـــير
فمـــا تلـــك المفـــاتن لـــي طريقـــاً ... ولا يرضـــى بهـــا أبـــداً ضـــميري
رغبـتُ العـيش في جمـع شـريف ... مـــع الأبطـــال في الحـــيّ الفقـــير
مـــع الـــشّبان آمـــال كبـــارٌ ... لهـــم هـــدف يحقـــق في الـــنفير
حيـــاتهم جهـــاد الكفـــر دومـــاً ... وتـــضحية الـــشهيد أو الأســـير

۞ ۞ ۞

وربّـــك مـــا الـــسّعادة في طعـــام ... ولا بـــالثوب ينـــسج مـــن حريـــر

ولا بفنـــادق لنجـــوم خمـــسٍ ولا بمــــسابح المـــاء الـــوفير
ولا أرضـــى ثـــراء مـــن حـــرام ومـــا فكّـــرتُ في عمـــل حقـــير
وأقنـــعُ في لقيمـــات حـــلال وأرضـــى بالمنـــام علـــى الحـــصير
فـإن لعـبَ الهـوى يومـاً بنفـسي سـأزجرها .. ألا يـا نفـس سـيري
فـإنْ رُمـتَ الـسعادة يـا رفيقـي عليـــك بمـــنهج الله القـــدير

وللشيخ سعيد ديوان شعر مخطوط جمع فيه عدداً من قصائده ، منها قصيدة في رثاء الشيخ أحمد ياسين بعنوان " ما زال فيك بقيّة " ، وقصيدة في رثاء شهداء الحرم الإبراهيمي ، وقصيدة في ذكرى غزوة بدر الكبرى ، وقصيدة بعنوان " عبر الأثير " .

قصائد مختارة من شعره

القصيدة الأولى : معاناة .. وأمل (١) .
القصيدة الثانية : معاناة .. وأمل (٢) .
القصيدة الثالثة : رسالة .. وجواب .

تقديم

الشيخ سعيد بلال .. داعية مجاهد ، وأبٌ فاضل .. أمضى سنوات عمره في تربية جيل من المجاهدين .. كان يزرع أشجاراً شامخة كقلعة تربض وسط بحر من المحن والآلام .. وينسج مع زوجته الفاضلة " أم بكر " فصول حكاية عائلته الصغيرة بصبرهما وثباتهما على الدّرب .. فكانا رمزاً من رموز الصّمود في أرض الوطن ..

وهذه القصائد الثلاث التي نقدّمها تحكي قصة أسرة فلسطينية مجاهدة معطاءة.. دفعت فاتورة العزّة والكرامة عن شعب أعزل لا يملك إلا الإيمان بقضيته العادلة .. أبت هذه الأسرة إلا أن تقدّم أبناءها الخمسة أسرى في سبيل الله ... وأهدت الوطن أغلى ما تملك .. صقوراً أبيّة لا تعرف الانحناء إلا لله .. تلك هي عائلة الشيخ سعيد بلال .. التي رسمت أروع لوحة .. تخايلت في جنباتها ألوان التضحية والكفاح..

وليس بغريب أن يقدّم الشيخ سعيد أبناءه الخمسة .. فهو نفسه تعرّض للسجن عام ١٩٨٠م ، وتعرّض للعقوبات الصهيونية الحاقدة ، كالإقامة الجبرية لفترات طويلة لأنه يربي الأجيال على المقاومة والفداء .. كما تعرضت مكتبة الشيخ للحرق والتدمير ، وهذا ليس غريباً على من حرق المسجد الأقصى ومصاحف القرآن الكريم في المساجد .

ولقد تشابكت قصة حياة هذه الأسرة الأبيّة ، ما بين اعتقال وآخر لأبنائها .. يخرج أحدهم ليدخل الآخر .. وكان الفصل الأول باعتقال الابن عثمان في عام ١٩٩٣م.. وكانت بداية المشوار له ولإخوانه .. وبعد خروجه من السجن تعرض لمحاولة اغتيال في منطقة دوّار نابلس ، نجا منها بأعجوبة . .فكان القدر يخبئ له محنة أعظم .. الحياة خلف قضبان السجون .. وهو يمكث اليوم في سجن عسقلان بعد أن حكم عليه بالسجن المؤبد ، وما زال مثالاً للبذل والعطاء .. وهو الابن البارّ بأمه الحنون " صانعة الرجال " .. يسطر بأنين قلبه رسائل الشوق والمحبة .. فقد كتب عثمان رسالة إلى والدته بعد أن استمع إلى صوتها الحنون في برنامج " رسائل الأهل إلى المعتقلين " والذي يُبَثُّ عبر الإذاعة الفلسطينية ، فكتب لها بتاريخ ١٧/١٠/١٩٩٨م كلمات يقول فيها :

" إنّ حقك عليّ أكبر من كبير .. ولأني أصغر من أن أوفيك حقّكِ .. أُداري عجزي بالكلمات .. وأستر تقصيري بعبارات تمتزج آهات الشّوق فتخرج حرّى .. من قلب مكلوم .. أعيته آلام البعد وَصَلَته نيران الحنين .. أذكتها دموعك وعبراتك الطاهرة التي طالما ترقرقت على شبك الزيارة البغيض فانسكبت على جراح القلب فأثارتها .. لتستجيش مشاعر ما كان لها أن تهدأ يوماً ..

أُمّي .. لا أجد أجمل من هذا الاسم أناديك به ، ولا أعلم .. ولأنه من المستحيل حقّاً أن تترجم كلماتي بعض مشاعري .. أترك قلمي يائساً ! ! غير أنّ صوتك الذي سمعته قبل قليل من المذياع .. كان في نبرته ما فضح دمعاً حاولْتِ إخفاءه .. فاستحثّت تلك النبرة قلمي لأخطّ هذه الكلمات علّها تسكن وجع القلب .. وما كان ذلك .

أُمّي .. هذه ضريبة العشق المقدّس الذي أرضعتني إياه منذ لحظات عمري الأولى... هي فاتورة الحبّ الأبدي الذي غرستيه فيّ على طول سنوات عمري .. جميل

أن ندفعها بلا دموع .. رائع أن نسمو فوق الجراح نضغط عليها ونبتسم .. عيوننا ترنو إلى الأفق .. ترقب الفجر .. وكلّها أمل .. مع خالص الحبّ .. عثمان " .

أمّا معاذ .. فهو معتقل في سجن نفحه الصحراوي ومحكوم عليه ٢٦ مرة مؤبد بالإضافة إلى ٢٥ عاماً و٢٤ شهراً ، كما جاء في حيثيات الحكم الجائر الذي أصدرته المحكمة العسكرية الصهيونية ، وذلك لزرع اليأس في نفس كل من يقاوم المحتل .. ولكن أنّى لمن انتهج الإيمان درباً وأنار قلبه أن ييأس .. فرغم الألم والمعاناه يبقى الصمود والثبات ...

وفي رسالة بعثها معاذ لوالدته بعد خروجه من زنازين الجلمة يزيّن التحدي والإصرار كلماته فيقول فيها :

أمّاهُ إنّي عائدٌ فترقّبي … فالفجرُ آتٍ لا محالة كالقدرْ
سيزولُ ليل الظالمين بأرضنا … ويحلُّ سِلْمٌ في البوادي والحضر
هذا بيانٌ للأنام جميعهم … من عند خالقهم فهل من مدّكر
آياتُ ربّي في الكتاب صريحةٌ … النّصرُ وعدٌ والجنانُ لمن صبر
من وحي إيماني أخطُّ رسالتي … فاعْقِل أُخَيَّ رسالتي ثم اصطبر
روحي تتوقُ إليكمُ أهل الوفا … والرّوحُ تأبى أن تذّل وتنحصر
إنّ اللقاءَ مُؤكّدٌ لا تيأسوا … واليأسُ مرتعُهُ وخيمٌ مستطر
كم قد سعِدْتُ بذكركِمُ في خلوتي … يا شطرَ قلبي إنكُم أحلى قَدَر

وأما اعتقال علي الابن الأصغر للشيخ ، فقد كان له الأثر الأكبر في زيادة معاناة الأسرة .. إذ لم يشفع له فقدانه للبصر وكونه كفيفاً عند الصهاينة الذين اعتقلوه وأصدروا عليه حكماً بالسجن مدة عشر سنوات .. والتهمة الموجهة إليه أنه أحد صانعي المتفجرات ! ! وكيف للكفيف أن يصنع المتفجرات ..

اعتُقل علي بعد شهر واحد فقط من زواجه .. حيث سعت الأسرة لتزويجه مبكراً علّه يجد من يساعده في قضاء حوائجه .. ويزيل عنه هموم الوحدة مع فقدان البصر وغياب الإخوة في السجون .. وهو الآن يصارع الجلاّد والمرض في سجن عسقلان حيث يعاني من مرض في المعدة ..

ورابع هؤلاء الصقور هو عمر الذي تعرّض للاعتقال في عام ١٩٩٥م .. وأُعيد اعتقاله في عام ٢٠٠٣م .. ليكمل الطريق مع إخوانه خلف القضبان ..

ورغم المعاناة التي فرضها الاحتلال لتضاف إلى مرض الشيخ سعيد بالسرطان ، والأم بأمراض القلب .. ووقوع بكر الابن الأكبر للشيخ في الأسر بتاريخ ١٥ / ١٠ / ٢٠٠٣ م بعد أن ذاق عذابات السجون في سنوات سابقة .. وانتظاره حكماً كبيراً ظالماً.. لا يرى الشيخ سعيد في أسرته أمراً غريباً عن شأن الأُسر الفلسطينية التي تدفع ضريبة المقاومة ورفض الاحتلال ..

وتبقى عائلة بلال صامدة رغم الأيام العاتية ، والليالي الحالكة .. تمتهن فن العطاء .. وتنتظر أن يحين الميعاد لتلاقي الأرواح من جديد .. ويأتي أوان تجتمع فيه القلوب[١] ..

ومنذ اعتقال أبناء الشيخ سعيد حرصت سلطات الاحتلال على حرمان والدهم ووالدتهم من رؤيتهم ، وأصدرت المحكمة الصهيونية قراراً بمنع والديهم من زيارتهم جميعاً ، ولم يسمح لهما بلقاءٍ واحد طوال سنوات اعتقالهم ..

وخلال جلسات محاكمتهم ، أظهر الأب والأم رباطة جأش أذهلت الحاضرين في قاعة المحكمة ، وقابلت " أم بكر " – التي باتت معروفة بـ " أم الأسرى " – القاضي الصهيوني عندما قال لها : يجب أن أحرق دمك على أبنائك فهم "مخربون".. فردّت بابتسامة ساخرة وقالت : " هم فداء للوطن " . ولم تُظهر ضعفاً

(١) مجلة نفحة – جمعية أنصار السجين – العدد الثاني ، ص ٧٠ – ٧٢ .

أمام قاض آخر قال لها عندما نطق بالحكم على الابن الأصغر عبادة : " لا يحقّ لأم مثلك أن يكون لديها أبناء يكفنونها عند الموت لأنك أنجبت خمسة " إرهابيين " ، ودولة إسرائيل ستحرص على حرمانك من رؤيتهم لآخر لحظة في حياتك .

وقد صدرت على أبناء الشيخ سعيد " القسّاميين الأربعة " معاذ ، وعثمان ، وبكر ، وعبادة ، أحكام زادت على (٧٠٠) عام بتهم تتراوح بين عضوية حركة حماس ، وحيازة أسلحة ، والتخطيط لعمليات استشهادية ، وتنفيذ هجمات مسلحة ضد قوات الاحتلال .. وكانت سلطات الاحتلال قد أفرجت عن شقيقهم الخامس عمر..

وقبل وفاة الشيخ سعيد بأشهر قليلة سمحوا له بزيارة أبنائه ورؤيتهم لعدة دقائق .. وفي أجواء مؤثرة ، ضمّ الشيخ أبناءه الأربعة المعتقلين في سجون الاحتلال الإسرائيلي إلى صدره لأول مرّة منذ عشر سنوات كان خلالها ممنوعاً هو ووالدتهم من زيارتهم بقرار من سلطات الاحتلال ، ليتحقق الأمل الذي عاش سنين طويلة ينتظر تحقيقه .

وقد وافقت سلطات الاحتلال على طلب محامي الشيخ ، التقاط صورة له مع اثنين من أولاده وهم داخل المعتقل ، فيما لم يسمح لوادتهم بالاقتراب منهم واكتفت برؤيتهم من خلف الشّبك والقضبان حيث ردّ مسؤولوا السجن على طلب المحامي السماح للأم بتقبيل أولادها الذين لم تراهم منذ عشر سنين بالقول :

" إنّ أمامها أربعة شهور أخرى حتى تبلغ الستين وبعدها ربّما يسمح لها بذلك "(١) .

ونختم هذه المقدّمة بأبيات شعر صادقة تنبض من قلب مفعم بالإيمان يحملها الوالد إلى فلذات كبده .. أبنائه الخمسة ، فيقول :

---

(١) السبيل — العدد ٦١٤ ، في ١٨ تشرين أول ٢٠٠٥ .

نجمٌ خماسيٌّ أضاء بلادي		بسهولها وجبالها والوادي
هذا عليٌّ أو عبادة إنّه		من أكرم الأشبال والآساد
رغبَ الرُّجولة مركباً يعلو به		آماله تسمو إلى استشهاد
عثمانُ قدوته وقدوة غيره		لا ينحني من سطوة الجلاد
ومعاذٌ لا يخشى لقاء عدّوه		بل مغرمٌ بالطّعن في الأكباد
عمرٌ لعمري قائد لرفاقه		قد ساسهم في حكمة وسداد
ومثابرٌ لا ينثني عن عزمه		وعن الطريق وكثرة الإجهاد
سل في مجدّ وكيف كان صموده		تعرفه من خصم ومن أنداد
لا تعجبوا فأخوهمُ بكرُ الذي		جعلوه مسؤولاً عن الإعداد
فأعدّ جيلاً من شباب محمّدٍ		سيواجه الأعداء يوم جهاد

وفي عام ١٩٩٥م توجّه الشيخ سعيد وزوجته " أم بكر " إلى عمان في رحلة علاج.. وكان اثنان من أبنائهما في المعتقل .. وفي فترة العلاج التي قضياها في عمان قامت السلطات الإسرائيلية باقتحام بيتهم في نابلس واعتقلت اثنين آخرين ، فصار في المعتقل أربعة من الأبناء .. وبقي الابن الخامس " الضرير " لوحده في البيت .. وكان اليهود قد قرّروا هدم البيت ..

ولما عاد الشيخ وزوجته إلى نابلس نظم قصيدة بعنوان : "معاناة .. وأمل (١)"، يخاطب فيها زوجته في بيتهم ، ويذكر فيها أحوالهم في الفترة الماضية ، والأحوال التي صاروا إليها فيما تبعها من أيام .. ثم نظم قصيدة ثانية بنفس العنوان .. فإلى القصيدتين :

أبيات القصيدة الأولى

معاناة .. وأمل

==========================

- ١ -

يـا شِـعرُ أنـت عـصارةُ الوجـدان ... ورســالة التــاريخ للأزمــان

وهديــةُ الإنــسان مــن إبداعــه ... وجمــال حكمتـــه إلى الإنــسان

يا شعرُ هـل أرَّخـت عـن أخبارنـا ... هــلاّ رسمــت بريــشة الفنّــان

صــوراً عــن الأجــرام في حاراتنـا ... وممارســات الظلــم والطغيــان

فأجـابني الـشّعرُ الحـزين بلهفـةٍ ... يـا صـاح إسْـمع منطـق الخرسـان

قـد أنطقـتهم شـدّةُ الظلـم الـذي ... قــد جــاوز الجلمــود بالــصّوان

مُلئت جبال القـدس باسـتيطانهم ... لم تنتفــع مــن كثــرة التيجــان

قـد كـان فـوج واحـد يكفـي لهـا ... لــو كــان فــوج كتائــب الإيمــان

ووقفــتُ مــشدوهاً وقلــبي فــارغٌ ... ومــشتّت الأفكــار والأذهــان

فالبيـت كـان يـضاء مـن أبنائـه ... نعـم الـشّباب الغـض كالريحـان

ضـاقت بهـم جنباتـه في بهجـة ... والبيــت كــان كحبــة الرّمــان

والأم تفخــر إذ تــرى أنجالهــا ... هـم خمـسة مـن خـيرة الـشبان

قــل أربــع ولهــم أُخَــيٌّ خــامس ... قــد زاد بلــوى ضــعفه عينــان

عالجتُهـا حتـى يئـستُ مـن الـشّفا ... قــال الطبيــب دعــوه للمنّــان

هــو طالــبٌ متفــوق بذكائــه ... نــال الرّضــى ومحبــة الأقــران

قـال الفتـى دعـني أعـيش مـسالماً ... في أســرتي وتــلاوة القــرآن

حمـداً لربـي إذ أُصبتُ بنـاظري ... لكـنّ تعـويض الإلـه أتـاني
هم قـوتي هـم عزوتـي هـم نـاظري ... هـم كـل شـيء إنهـم إخـواني
فـارقتهم بـل أُبعـدوا في قسـوة ... والـدّمع مـن عـينيَّ أحمـر قـاني
مَـنْ لـي سـواهم غـير شـيخ صـابر ... والأُم عـانق حزنهـا أحزانـي
يـا لائمـاً ضـعفي وقلـة حـيلتي ... وتـدفقاً للـدمع مـن أجفـاني
أتلـومني بعـد الـذي عانيتـه ... بمـرارة مـا كـان بالحسبان
ربّـاه خـذني فالحيـاة مريـرةٌ ... ربّـاه عفـوك هُـدِّمت أركـاني
لا (بكـر)يأخـذ في يـدي إن أظلمـت ... سـبل الحيـاة ولا (معـاذ) رعـاني
(عمـر) يـساق مكبـلٌ يـا حـسرتي ... لا أرتجـي الإسـعاف مـن (عثمـان)
أبتـاه هـل إن مـتّ أحظـى باللقـا ... مـع إخـوتي في جنـة الرضـوان

۞ ۞ ۞

مهـلاً بُـني فهـذه أوهـامكم ... ووسـاوس تـوحى مـن الـشيطان
لا تـنسَ أن الله عـدل دائـم ... واهـدأ بـنيّ فيـسرنا ربـاني
إن ضـاقت الـدّنيا فقـل يـا خـالقي ... رحمـاك يـا ذا الجـود والإحـسان
رِزقُ الإلـه مقـدّر لعبـاده ... سـبحانك اللـهم مـن نقـصان
حاولـت عـيني أن تجـود بدمعـة ... لكـنَّ دمعـيَ في الخطـوب عـصاني
يـا شـعر إنـك دمعـتي في محـنتي ... وذخيرتـي المثلـى لـدى الأشـجان
فلجـأت للـشعر المريـر أصـوغه ... ألم الـشَجيِّ يـصاغ مـن ألحـاني
يـا شـعر تلـك بدايـة لحكـايتي ... هـلاّ شـهدت بدايـة الطوفـان
قد ضـاق بحـر الـشعر في أحزاننـا ... فـافتح إلى الطّوفـان بحـراً ثـان

۞ ۞ ۞

أبيات القصيدة الثانية

معاناة .. وأمل

===========================

- ٢ -

يا أُم غفرانِ سوء الحال أعياني ... هاتي القراطيس أطليها بأشجان
يمناك تحضن بدراً دونه سحب ... سوداء تخفي جمالاً فيكِ رباني
لا تُطرقي هكذا والرأس مسدلة ... كفاكِ صمتاً فقد هيّجت أحزاني
يا أُختَ علانِ هل أرضعتهم لبناً ... أم أُرضعوا معه آيات قرآن
يا أُمَّ أربعةٍ كنا نداعبهم ... كانت لنا معهم ساعات رضوان
في كل أمسية كانت سعادتهم ... إذ كان مطلبهم ألعاب صبيان
كنا نوفرها إذ كان قيمتها ... في سوق حارتنا قرش وقرشان
قد زادني الله من خير ومن نعم ... فضل الإله لعمري دائم داني
لكنّ مَهْبطَ وحي الله محتجزٌ ... مسرى النبي وأَيم الله أبكاني
هذا المكان له قدسيةٌ فرضت ... فكان من حقدهم حرقٌ بنيران
قد أشعلوا النار في الأقصى وما فتئوا ... تخطيطهم دائماً تتبير بنياني
هدم البيوت وقتل في مرابعنا ... مستوطن غاصبٌ في أرضنا راني
هذي حقوقيَ في أرضي قد اغتصبت ... يُراد منّي فوق الأرض فداني
وإن تألمت من أفعالهم غَضِبَتْ ... كل العواصم كل الكفر عاداني
هذي حقيقة قولي لست مفترياً ... هلاّ يليق بنا أن نكرم الجاني ؟!
قال الشّباب ألا أماه يا أبتي ... لا أرتضي ترفاً فالله ناداني
هيا اتركوني فمرّ العيش أطيب لي ... هل تألمون وعين الله ترعاني؟!
ومَنْ أراد لقاء الله يتبعني ... فقد عرفت طريقي نحو رحمان
هذي الحياة بذُلٍّ لا تليق بنا ... فالموت أكرم في ساحات ميدان
ربيتماني على حبّ الجهاد فتىً ... لما بلغت أشدّي لا تلوماني

وكفكفـوا الـدّمع فالـدنيا مطلقـتي | وجنـة الخلـد بعـد اليـوم عنـواني
أنـا الـشهيد وإن لم ينتهـي أجلـي | فالـسجن والقـبر يـا أمـاه صـنوان
لست الوحيـد فعنـدي ناصـر وكفـى | عندي الرجال أسـود خلـف قـضبان
نحن انتصرنا على الـدنيا وزينتهـا | فـــلا مجـــال لـــذلّ أو لخـــذلان

۞ ۞ ۞

كـــلا بَنَـــيَّ فـــلا يـــأس ولا جـــزعٌ | فـــالله يحفظكـــم يـــا خـــير ولـــدان
لـــئن تغيّـــب يـــا أبنـــاء واحـــدكم | هـــابين أظهرنـــا آلاف عثمـــان
قد غاب يوسف عن يعقوب فـانتبهوا | كـــي لا يكـــرر مكـــر القـــوم مـــن ثـــان
بئـــر معطلـــة ألقـــوا الغـــلام بهـــا | وَلْيَبْـكِ والـدهم ، تبـيضُّ عينـان
فالـــذئبُ مـــتهمٌ في ســـوء فعلـــتهم | دم الأكاذيـــب مخلـــوط بقمـــصان
دار الزمـــان فـــصاروا ركّعـــاً لأخٍ | قـــالوا تفتـــت في أمعـــاء ذؤبـــان
الغـــدر طَـــبْعُهُم والـــذُّل ديـــدنهم | ســـوءٌ تـــآمرهم في كـــل أحيـــان
غيابت الجُبِّ ضجت مـن مكائـدهم | وقـال يوسـف لا تثريـب إخـواني
يا صبر يعقوب مـا زلنـا نلـوذ بـه | وصـبر يوسـف ممـزوجٌ بإحـسان
مليـار عبـدٍ ولا تُرجـى شـفاعتهم | قـــد فرقـــوهم لغـــسان وعـــدنان
عـــاد التتـــار وهولاكـــو يقـــودهم | أيـــن الجحافـــل مـــن نجـــد لعمّـــان
يا مصر يا شام يـا أتـراك يـا عـرب | نـدعو لوحـدة نَـيْجيري وأفغـاني
الغـــرب فرّقنـــا والحـــقُّ وحّـــدنا | فالقـدس موعـدنا في ظـل إيمـان
أيـن الخليفـة يُحيـي مجـد أمتنـا | فيحـزم الأمـر طاجيـكٌ وسـوداني
هـــذي مـــواعظ إيمـــان توحّـــدنا | فجـدّدوا العهـد يـا أبنـاء قـرآن
هـــذي مـــواعظ إيمـــان تثبتنـــا | فجـدّدوا العـزم يـا إخـوان عثمـان

أبيات القصيدة الثالثة

==========================

- ٣ -

معاذ .. ابن الشيخ سعيد بلال ، خرّيج كلية الشريعة من جامعة النجاح الوطنية بنابلس .. محكوم عليه في سجون الاحتلال الصهيوني بالسجن ٢٦ مؤبد + ٢٥ سنة + ٢٤ شهر . هذا هو الحكم كما صدر من المحكمة العسكرية الصهيونية ..

كتب إلى والده رسالة من سجن عسقلان في ثلاثة أبيات من الشعر ، فأجابه شعراً بنفس الوزن والقافية – وذلك بعد الحرمان من زيارته لأربع سنوات – وأرسل القصيدة إلى السجن في الشهر السابع من سنة ٢٠٠٠ ميلادية .

الرسالة

أبتاهُ نهجُكَ في الحياة حياتي ... نهجي بدين الله بالآيات
أبتاهُ عهدك لا يزال مقدّساً ... سأظلّ حراً أو يكون مماتي
القلبُ يا أبتاهُ حيٌّ نابضٌ ... رغم الدُّموع وشدّة الزفرات

وقال بعد الأبيات الثلاثة : وبعد .. فهذه كلمات حرّى خرجت من فؤاد اشتعل شوقاً لك والدي وأخي وشيخي وقدوتي .. فحقّ لمن كان له أبٌ مثلك أن يفخر بأبيه .. فوالله إني لأحبك حبّاً لا أخال أحداً يحبه إياك قدري ..

ليست مجاملة ابن لأبيه .. ولكنها همسات صدق من شفتي قلبي .. آه يا أبتي الحبيب لكم أتحرّق شوقاً للحديث إليك والسماع منك فكم أنا بحاجة إليك أكثر من أي وقت مضى .. وقد أكون أبتاه قد زدتُ إيلامكم ألماً على ألم عثمان ولكنها ضريبة الجهاد وقدر الله في التمحيص .. ووالله إني أرى يوم العودة بدت تباشيره تبدو خلف الأفق .. ولتعلمنّ نبأه بعد حين ، مع تحيات ابنكم وتلميذكم البارّ .. معاذ .

الجواب

نهجي عظيم مثل فرض صلاتي — نهجي بدين الله بالآيات
نهجي على درب النّبي وصحبه — سأصونه حتى تذوب رفاتي
عهدي مع الحسنين[1] أقدس بيعة — طوبى لها من دعوة ودعاة
سأظل أعطي ما حييت لدعوتي — روحي وعقلي أطلب الحسنات
عاهدت ماء الرافدين بأنني — مثليهما المعطاء للخيرات
نرجو الثواب من الإله وغيرنا — أموالهم تربو من السرقات
حوباً كبيراً يملأون بطونهم — لا يتّقون الله في الشّهوات
تلك المكاسبُ زائلاتٌ كلها — مال اليتامى مفسد الغايات
يا أهل سامراء[2] أين صفاؤكم — بل أين دمع العين في الصلوات
غسلوا قلوبهم بفيض دموعهم — زلفى إلى الرحمن في الظلمات
كانت دموع الساجدين لربهم — تُحيي القلوب وتمسح الزلات
كان التراحم والمودة بيننا — وكأننا جسد وحيد الذات
إن شيك منه خليّة مرضت لها — كل الخلايا تُصدر الآهات
وتهبّ مسرعة لنجدة أختها — لا تخش من ظلم وجيش عداة
غادرتُ بغداد الأحبة راغباً — لأعيش في بلدي وفي حاراتي
وسألتُ في عمان أين أحبتي — فوجدت ينبوعاً بأرض فلاة

---

(١) الإمام الشهيد حسن البنّا والإمام حسن الهضيبي .

(٢) تعرفت على دعوة الإخوان في سامراء العراق وعشت معهم ثلاث سنوات هي أجمل أيام عمري .

فجماعــة الإخــوان هــذي دارهــم　　　هــذي بيــارقهم علــى الــشرفات
كــانوا رجــالاً كنــت فــرداً مــنهم　　　كنّــا نحــس الحُــبّ في النظــرات
رُحمــاء فيمــا بيننــا لكنّنــا ...　　　كنّــا شــداداً للكفــور العــاتي
الرُّعــب مقــذوف بقلــب عــدوّنا　　　مــع قلـــة التعــــداد والآلات
لكـــنّ إخلاصـــاً تجـــرَّد أهلـــه　　　وتجمّلـــوا بـــأخوّة وثبـــات
المؤمنـــون الــصابرون علـــى الأذى　　　والقـــائمون بـــأكرم الـــدّعوات
هي دعـوة الإخـوان قـد نـادى بهـا　　　(حـسن البنـاء) بجمعـه اللبنـات
كتبــوا رســائله بــدمع عيــونهم　　　أقلامهـــم عـــزَّت علـــى الكلمـــات
الله غايتنـــا وهـــل مـــن قـــدوة　　　غـير الرسـول الرحمـة المهـداة ؟!
دســـتورنا القـــرآن يحكـــم أمـــة　　　بالعـــدل لا ظلمـــاً ووأدِ بنـــات
أمـــا الجهـــاد ســبيلنا للفــوز في　　　عـــدل يُفنِّـــد شـــرعة الغابـــات
هـــدفٌ لحـــسنى آملـــين بلوغـــه　　　أو بالـــشهادة نبلـــغ الجنـــات
هـــذي مبادؤنـــا عليهـــا عهـــدنا　　　والنـــاس بـــين تثـــاؤبٍ وســـباتِ
طـول الطريـق أكّـل بعـض شـبابنا　　　فتوزعـــت أهـــدافهم لـــشتات
قُلنـــا لهـــم مهـــلاً ولا تتعجّلـــوا　　　وترقبـــوا إشـــعاع فجـــر آتِ
لـــسنا فـــصيلاً مثلمـــا رغبـــوا لنـــا　　　أو هيئـــةً تُـــدعى مـــع الهيئـــات
مـــا نحـــن إلا نبتـــةً شـــرعيةً　　　نُرضـــي الإلـــه ونرفـــع الهامـــات
والنبـــتُ يـــسمو للعـــلا بفروعـــه　　　بلـــغ الـــسّماء ورتّـــل الآيـــاتِ
كـــلاّ ورب البيـــت لا نرضـــى ســـوى　　　نهـــجُ الجماعـــةِ مـــصدر الرحمـــات
نهـــج الأئمـــة واضـــح ومـــدوّن　　　قـــد ســـطّروه بأوضـــح الـــصفحات

هي صِبغة الرحمن عدلٌ كاملٌ وردت مع الإنجيل والتوراة

عاش النصارى واليهود بأرضنا براً وقسطاً دونما ثغرات

حَكموا فساد .. فسادُهم في موطني فتخيروا التّقتيل والثروات

وتغطرسوا وتآمروا كي يطمسوا إسماً وأعلاماً لخير هداة

واسم الجماعة قائم لا يختفي وبحفظه فيضٌ من البركات

واعلم بأن الله بالغ أمره لا بد للفرسان من كبوات

لكنّ صبر العارفين بربهم يُسْعِفْهُمُ بعد الأذى بنجاة

فاصبر لعل الله يجعل مخرجاً وادعو الإله يفرج الكربات

والصّبر مُرٌ يا بنيّ مذاقه لكنه من أعظم القربات

عند الإله ثوابه يجزى به فوق الذي يجزى على الطاعات

وارجع لسورة يوسف الصّدّيق في آيات سورته كثير عظات

فالسجن كان طريقه لكرامة ما كان يبلغها بلا عقبات

يا فلذة من كبد شيخ صابر وأميمة صنو الصحابيات

هذا أبوك مصابه مثل الذي لاقاه يعقوب من المحنات

لله يشكو ما اعتراه من النّوى ومع الأحبة دائم البسمات

ولداه غابا فاستدار لربّه يشكو يبث الحزن في الخلوات

يعقوب كان بصبره متفائلاً فاستبدل المحنات بالمنحات

أعظم بها من منحة يعلو بها الصّبّار عند الله في الدّرجات

وأرى بعين بصيرتي قرب اللّقا لا أدّعي علماً لغيبيّات

لا تعجبوا إن قلت أقسم أنني أشتمّ ريحكما مع النسمات

فـأقول يـا ربّـاه عجّـل في اللّقـا نـصفي سـجينٌ يـصدر الأنّـات
أمـا بقايـاي الـتي هـي حـرّة فـالأمن يمنعهـا مـن الحركـات
ولنـا التجـوّل في حـدود مدينـة وعلـى حواجزهـا نـرى الـويلات
نـصفٌ وراء الـشمس يجـترّ الأسـى ونظـيره يتجـرع الحـسرات
وشـعارنا القـرآن فاستمـسك بـه نـستبدل الحـسرات بالفرحـات

المصادر والمراجع

١- جريدة السبيل – العدد ٦١٤ ، في ١٨ / ١٠ / ٢٠٠٥م .
٢- جريدة السبيل – العدد ٦١٥ ، في ٢٥ / ١٠ / ٢٠٠٥م .
٣- مجلة نفحة – العدد الثاني ، إصدار جمعية أنصار السجين في فلسطين .
٤- مقابلة مع الشيخ حامد البيتاوي في عمان بتاريخ ٢٠ / ٢ / ٢٠٠٧م .
٥- مقابلة مع السيد حكم الكيلاني في عمان في أوائل الشهر الثاني ٢٠٠٧م .
٦- الشيخ نظمي حجة : كلمة بعنوان " دمعة وداع " في ٢١ / ١٠ / ٢٠٠٥م .
٧- ديوان للشاعر مخطوط .

صالح الجيتاوي

(١٣٦٢هـ - ....) (١٩٤٣م - ....)

* تقديم
* حياته و نشاطه
* شعره
* آثاره الأدبية
* قصائد مختارة من شعره

تقديم

المهندس صالح الجيتاوي شاعر من روّاد الشعر الإسلامي المعاصر . وأديب إسلامي .. بل هو مثال للأديب الإسلامي فكراً ، وشعراً ، وسلوكاً ، والتزاماً ..

إنه شاعر صادق العاطفة ، متّقد المشاعر في كل ما ينظم ويكتب ويعمل .. وإنّ ما نلمسه في الجيتاوي من إيمان صادق متين ، وعقيدة عميقة نيّرة ، وفهم صحيح لهذه العقيدة ، وواقع سلوكي وعملي منبثق عن الواقع النظري .. إنما يدل على معدن نفيس ، وعقيدة صافية ، وخلق رفيع .

حياته ونشاطه

ولد الشاعر صالح عبد الله الجيتاوي عام ١٩٤٣م ، في قرية جيت على بعد اثني عشر كيلومتراً إلى الغرب من مدينة نابلس بفلسطين .. وفي تلك القرية الوادعة الجميلة نشأ الشاعر في أسرة فلسطينية متديّنة ، وتلقى علومه الابتدائية في مدرسة القرية ، وواصلها ودرس المرحلة الإعدادية في مدارس القرى المجاورة ، وأتم دراسته الثانوية في مدارس مدينة نابلس – الجاحظ والصلاحية وكلية النجاح – ونال الشهادة الثانوية العامة عام ١٩٦١م . وغادر فلسطين بعدها إلى مصر والتحق بكلية الهندسة في جامعة القاهرة ، ونال شهادة البكالوريوس في الهندسة المدنية عام ١٩٦٦م . وعمل بوزارة الأشغال العامة في الأردن .. وعندما وقعت البقية الباقية من فلسطين عام ١٩٦٧م بيد يهود غادر الجيتاوي إلى السعودية ومكث فيها أربعة عشر عاماً عمل خلالها في و زارة المواصلات وشركات القطاع الخاص . ثم عاد إلى الأردن عام ١٩٨١م وقام بإنشاء مكتب هندسي خاص في عمان مارس من خلاله أعمال إنشاءات المباني ، ومازال يعمل فيه حتى اليوم ..

ولئن كان عمل الجيتاوي يرتبط بإقامة المباني من القواعد والارتفاع بها في أشكال منتظمة تسرّ الناظرين ، وتدفع ساكنيها إلى التمتع بما يحيط بها من مناظر

خلابة وجو ساحر لطيف .. فإن له مع هذا العمل نشاط آخر ، يقوم على البناء الفكري ، حيث ينظم لأبناء أمته قصائد وأبيات من الشعر يُطلّون من خلالها على الواقع المرير الذي تعيشه الأمة الإسلامية في هذا الزمان ، ويجدون في هذه الأشعار ما يرتفع بالأخلاق ويبني القيم ويعالج النفوس .. وهذا شأن المسلم الملتزم بإسلامه ، الذي لا تُقعده عمارة الأرض والبنيان عن عمارة مكوّنات الإنسان .

ولهذا فإن للجيتاوي نشاط أدبي في المجتمع الذي يعيش فيه .. شارك من خلاله في عدد من الندوات الشعرية التي تُقام في المدن الأردنية وخاصة في رابطة الأدب الإسلامي بعمّان . كما نشر مجموعة من قصائده الشعرية في عدد من الصحف والمجلات ، ومازال يواصل نشر إنتاجه الجديد .

شعره

الجيتاوي شاعر آمن بالإسلام فكراً وعقيدة ، والتزمه منهجاً وسلوكاً .. بدأت رحلته مع الشعر منذ السنة الثانية عشرة من عمره ، إلا أن انشغاله مع الهندسة – دراسة وعملاً – لم يعطه الفرصة لنشر أشعاره في وقت مبكر ..

هذا الشاعر آمن بالشعر رسالة وموقفاً والتزاماً ، ونبذ المذاهب الأدبية الوافدة، التي لا تناسب نقاء الدين وسلامة القيم والتقاليد . وبيّن الغرض من شعره في قوله : "أنا لا أقوله متاجراً ولا مفاخراً ، ولا أنشده لاهياً أو لاغياً ، ولا ضالاً أو مضلاً ، ولكني آتي به مستغفراً ، وساعياً راجياً ، وحادياً مستنفراً" (١) .

من خلال دراستنا لشعره الذي بين أيدينا وجدنا له شعراً في كثير من أغراض الشعر ومجالاته .. فقد طرق في شعره مواضيع دينية ووطنية واجتماعية ، عالج فيها ما آل إليه حال الأمة الإسلامية بجرأة وصدق وأمانة ..

---

(١) ديوان "صدى الصحراء" ص٢١ .

والقارئ لشعر الجيتاوي يرى أنه قام على الالتزام بعقيدة التوحيد ، وانطلق من الفكر الإسلامي السامق الذي يبدو الاعتزاز به والانتماء إليه في كل قصيدة من قصائده..

يقول شاعرنا في قصيدة له بعنوان "القسم"[1] :

قسماً لن نحيدْ   عن كتاب مجيدْ
من حكيم حميدْ   عن رسول رشيدْ
قسماً لن نحيدْ
إنْ سُلِبنا الدّيارْ   أو فَقَدْنا الدِّثارْ
اشهدي يا قِفارْ   يا سَمَا يا بحارْ
قسماً لن نحيدْ

ويقول في قصيدة "معالم" [2] :

الله ربي والرسول إمامي   لا أنتمي إلا إلى إسلامي
أنا لست أحمل شارة إلا التي   أثر السجود يقيمها في هامي
من أمة الإسلام عنواني ولن   تلقاه بعد مميزاً بأسامي

والجيتاوي شاعر أسلم زمامه لمولاه وعاش يرجو رحمته و يطمع في هداه .. يقول في قصيدة بعنوان "مع الله" [3] :

---

(١) ديوان "صدى الصحراء" ص١٠٩ .
(٢) ديوان "صدى الصحراء" ص١٠٥ .
(٣) مجلة الأمة – العدد الثلاثون عام ١٤٠٣هـ ، ص٢٧ .

ربّ أسلمت زمامي لرضاكْ ... ربّ أوثقتُ عقالي في حماكْ
لا يُنيرُ الدرب إلا من سناكْ ... ما بقلبي غيرُ فيض من هداكْ
إن دجا الليل وغارت أنجُمُ ... إن فشا الداء ولانت أعظُمُ
إن رمى الدهر بسهم نافذ ... إن قسا العيش وشحّ المطعَمُ
إن هَوَتْ آمال عمرٍ كادح ... إن جفا الناسُ وإن هم لوّموا
إن طغى الظّلمُ وأبدى سيفه ... وتراءى في خيالي المأتمُ
ما لقلبي سيّدٌ أو قيّمٌ ... غيرُكَ اللهم أو مُسْتَلْهَمُ

وهو يلجأ إلى الله سبحانه بالصلاة والدعاء – وخاصة وقت الشدائد – اقتداء بالرسول القائد عليه السلام الذي كان إذا اشتد كربه قال : "أرحنا بها يا بلال" .. فيقول في قصيدة بعنوان "في صحبة السجادة" (١) :

أبُنَيّة هاتي السجّادةْ ... فإليها قد تاقَتْ نفسي
أجلو أحزاني بعبادَهْ ... أتضَلّعُ من فيض الأُنسِ
عهداً من خير وسعادَهْ ... مع ربّ السّدرة والكُرسي

ويخاطب اللاهين الذين غرتهم الحياة الدنيا وألهتهم عن الآخرة ، فقنعوا بالمناصب والمتاجر ، وقصروا عن القيام بواجباتهم نحو دينهم وأمتهم ووطنهم .. فيقول في قصيدة بعنوان "نذير" (٢) :

يا من رضيتَ من الحياة بمنصب أو متجَرِ
وبمركب أعددْتَهُ لوجاهة وتكَبُّرِ

---

(١) صدى الصحراء ص٨١ .
(٢) صدى الصحراء ص١١٥ .

وبمنـزل زخرَفْتَـهُ مـن كـل لـون مُبْهِـر
هل يا تُرى إنْ فاجأتْكَ يدٌ مـن الُمستعمِر
تحمي متاعَكَ أم تصيرُ لخيمةٍ في مَهْجَرِ !؟

ثم يخاطب هؤلاء الذين لم يعتبروا بأحداث الزمان ، ولجّوا في العتوّ والضلال، وران على قلوبهم ما كسبوا ، فغدوا في عمه وعماية :

يا من يعيش على الضلالة مُمْعِناً في غيّه
يُملـي لـه شيطانه يُنـسيه هَـدْيَ نبيّـه
أحلامُهُ شطحات مطموس الفـؤادِ عَمِيِّـه
وخُطـاهُ صـدٌّ وانتكـاس وابتعـادُ هَويّـه
أأمِنْتَ مكْرَ شديده في صُبْحِهِ وعشيّه !؟
من رجْفَةٍ أو خَسْفَةٍ أو صاعِقٍ بدَويّهِ !؟
تُنسي النّعيم كأنه ما قـد مـضى بـسِنيّهِ

والجيتاوي شاعر عاش قضايا أمتـه معايـشة حيـة صادقة ، فانفعـل بهـا ، وصوّرها فأحسن التعبير عنها .. ومن يتـصفح ديوانـه "صـدى الـصحراء" يـدرك أنـه شاعر حيّ الفؤاد ، رقيق الإحساس ، يحسن التعبير عما يختلج في صـدره مـن آلام ، فعندما وقعت نكبة فلسطين الأولى ، وتم تشريد مئات الآلاف من أبناء فلسطين نـرى شاعرنا الجيتاوي ينظم قصيدة بعنوان "زفرات لاجئ يتيم" يجـري فيهـا علـى لـسان طفل لاجئ يتيم ، كلاماً يعبّر عن مدى الشقاء الذي يعانيه ، والحرمان الذي يكابده، فيقول :

أيُّ دربٍ فرشُـهُ شـوكٌ وآلامٌ كـدربي !؟
أيُّ قلـبٍ دَفْقُـهُ سِـلٌّ وتـبريحٌ كقلـبي !؟

أيُّ داءٍ مثلُ دائي يتأبّى كلَّ طِبٍّ !؟
أين في الدنيا كتشريدي وحرماني وكربي!؟

واقرأ معي قصيدته "رسالة الدم المطلول" التي اشتملت على ما يقارب المائة بيت ، وجاءت من أجود ما يصوغ شاعر قوة سبك وجزالة لفظ وحسن أداء . نظمها في شهر حزيران ١٩٨٢م عندما احتلت إسرائيل جنوب لبنان حتى بيروت ، وضربت حصاراً حول بيروت ونكّلت بعشرات الألوف من المسلمين واستخدمت جميع أنواع الأسلحة الفتاكة دون أن يتحرك العرب والمسلمون لنجدة إخوانهم المحاصرين بأكثر من الاستنكارات .. يقول الجيتاوي في هذه القصيدة [1] :

بئس الذّمام وبئس الأهل والعصب ... بئس النِّفارُ وبئس الحَشْدُ والجلَبُ
ويا هوانَ الذي في الخَطْبِ عِزْوَتُه ... أنْتُمْ ، وضيعةَ من فيكُم له النّسَبُ
إني لأسألُ في شكّي وفي ألَمِي : ... أكان يربطُ حقاً بيننا سبَبُ !؟
ناديتُكم وفؤادي حُرْقَةٌ وأسى ... ناشدتُكم كُلّ عِرق حقّهُ يَجِبُ
حتى الجلاميدُ قد رقّت لما سَمِعَت ... والطير والبُهْمُ والأشجار تنتحب
إن كان ذبحيَ لا يُذكي أُخُوّتكم ... فما الأخوّة إلا الغشُّ والكذب

ويقول في نفس القصيدة :

حلّت على القلب آلام تمزّقُهُ ... وضاقت الروح من همّ له ذنب
تاه القريظ وهذا الخطبُ حيّره ... فليس يدري المعاني كيف تُكْتَتَبُ
لكنها غصّة في الصدر باقيةٌ ... للروح كاوية نارٌ لها شُعَبُ
من كُلّ طفل على النيران مضطجع ... له نشيش له في القلب مُصْطَخَبُ

---

(١) صدى الصحراء ص٦٣ .

والأُمُّ نائحـــة والـــشيخ مُنكـــسرٌ والأخت مسبيّة والعِرضُ مُغتَـصَبُ
والجند شاكية في الـساح ، واأسـفا على الأسود غـداة الوثـب تَحْتَجِـبُ
وعُــدّة ألقِحَــتْ بــالموت مــشرعةٌ لكنهـــا منـــزل الأغمـــاد تَنْعَطِـــبُ
وإخــوةٌ مــا عنــاهم مــن مــصائبنا إلا بمقدار ما احتجّـوا ومـا شجبوا
نهـــارُهم في بيانـــات مُلَفّقَـــةٍ ولَــيْلُهم مُتْــرَعُ الأقــداح والحبَــبُ

ولما حاول اليهـود اغتيـال المجاهـد خالـد مـشعل – رئـيس المكتـب الـسياسي لحركـة حمـاس – أمـام مكتبـه في شـارع الجـاردنز بعمـان .. وهاجمـه عمـيلان مـن "الموساد" بجهاز يضخ السم في الجسم ، ونفّذا العملية وهربا .. ولحـق بهمـا مرافقـه الخاص المجاهد البطل محمد أبو سيف ، وطاردهما وتمكّن من اللحاق بهما وتعـارك معهما ، وتمّ القبض عليهما ..

نظم شاعرنا الجيتاوي قصيدة طويلة بعنوان "خيّال الجاردنز" تحدّث فيها عن عملية الموساد الدنيئة ، ووصف بطولة محمد أبو سيف .. وقال فيها [1] :

أنــت رفيــعُ القــدرِ (أبــو ســيفْ)
وأنــا شــاعِرُكَ الهيمــانُ (أبــو كيــفْ)
أيقظــتَ بلابــل روحــي بعــد ســنينْ
تأخُــذُ مــن عُرْسِــكَ فرحــاً للأجيــالْ
أهزوجــــــةَ عيــــــدٍ للأطفــــــالْ
عِطــراً للــسُّمارْ .. معراجــاً للأقمــارْ
ستظلُّ على شفَةِ الوطنِ (عتابا ومواويلْ)

(١) ديوان "قناديل على مآذن القدس" ، ص٦٥ .

يرفعُها (الكرملُ) و(المنطارُ) و(جـرزيمْ)
سَـــتَظلُّ مواســـمَ فــرحٍ وقناديـــلْ
ســـيظلُّ اسمُـــكَ شُـــرفَةَ أمـــلٍ
(لأبـــو غنـــيمَ) (وبـــاب الـــوادْ)
سيظلُّ ربيعاً .. يتجدَّدُ في روض الأمجـاد
وستبقى ، ما بقيَ الفَلَكُ .. كتـاب وفـاءْ

ويعرّج شاعرنا الجيتاوي خلال مسيرته الـشعرية علـى المواصـفات الـتي يـرى أنـها يجب أن تتوفر في الشاعر المسلم ، وهـو وإن وضـع هـذه المواصـفات في إطـار بـوح ذاتي إلا أنه في الحقيقة يريد أن يقدّم إضاءة لما ينبغي أن يكون عليه الشاعر الإسلامي الملتزم .. فيقول في قصيدة بعنوان " الشاعر " [1] :

على مـشكاة ديـني صغتُ شِعري ... عـــزائِمَ بـــين أَشـــواقي وَجَمـــري
بيـــارقَ للـــسُّراة علـــى نجـــومٍ ... طَوالِــعَ مــن ســنا الفجــر الأَبــرِّ
صَـــواهلَ للربـــاط مُـــسَوَّماتٍ ... مَنَاصِــلَ حيــثُ جَــدَّ الجِــدُّ تَفْــري
رَواعِــفَ بــالهوى القدســي إمــا ... جَلَــوْنَ حِــسانهنَّ ســداد ثغــرِ
وقفــت وجــوههن علــى المعــالي ... فلــم أَحفِــلْ بزيــدٍ أو بعمــرو
ولم أَعبــثْ بعقــلٍ أو بحــسٍ ... لأُبهجــهُ بنــشوةِ ذكــرِ خمــرِ
ومــا رَوَّجــتُ بْــامرأةٍ قريــضي ... فيــبرقُ مــن علــى نهــدٍ وثغــرِ
ومـا قرزمـتُ مبنـى الـشعر ضـعفاً ... وَطَلْـسَمْتُ الـرُّؤى لِيقـالَ : عـصري

(١) ديوان " قناديل على مآذن القدس " ، ص١٤ .

ولم أَصطدْ من الإغريقِ رمزاً ... لِيحملَ بُعْدَ إيمائي وَسِرِّي
أَلملمُ عن جبين البدر حرفي ... لِيطلُعَ في سماء الشعر بدري
وأُرسلُ في تخوم العقل خيلي ... فتعنو كلُّ شاردةٍ لأمري
وفي غاب البيان أُقيمُ صرحي ... أُمارسُ نشوتي وطقوسَ سحري

۞ ۞ ۞

سبيلي كلّه جِدٌّ وحزمٌ ... أَصونُ القول عن لغوٍ وهَذْرِ
فما للضائعين أُقيمُ ليلي ... ولا للعابثين أَصوغُ دُرِّي
أَذودُ الشعرَ عن تدليسِ رهطٍ ... سَعَوْا بالبُهْتِ وائتمروا بمكرِ

وفي قراءة للواقع المُرّ الذي تحياه الأمة وما تتعرض له من هجمات خارجية ومصاعب ، واستشراف للمستقبل القريب المملوء بالكوارث مع التشبث بالأمل الذي تبعثه في القلوب البدايات الجهادية الصادقة في كل من فلسطين والعراق واستنهاض للهمم والعزائم للبناء على هذه البدايات لاستكمال المسيرة المظفرة بعون الله .. نظم قصيدة بعنوان " وطني أنت لها " قال فيها :

المدى ريح الليالي المدلهمة ... تحرق الأنفاس في خمر المهمّة
لم تعد وهماً ، وقد يوقظ وهمه ... آرق يستودع الأغلال همّه
إن أَمضّته شهود الحال ضمّه

غائر جرح الندى والصمت ذله ... وبيوع الصدق غابت أن تقله
كيف ترعاه مواقيت الأهلة ... بعد أن ألقى عليها الوهنُ ظله
فغوت بين المعاذير المضلة

رفـع الجـرح علـى الآفـاق رايـة | مـن صـبا دجلـة مـن وهـج البدايـة
شمـسها بغـداد للـسهران آيـه | إن دجـا الليـل عليهـا فهـي غايـة

مشرقُ الفتح وبرهانُ الولاية

مـن طيـوف الفجـر يـستفتح ربـه | فهـو في الـردة محـراب وقبـة
ناشـراً جنحيـه في روض الأحبـة | أن رأى (سعدا) رمى في الحـال قلبـه

يا عيون الفتح هاتي اليوم شربه

عُـروةَ الـروح الـتي صـارت أُوامـا | فتجليـتِ حـساما وغمامـا
تمطـرين الوعـد أطرافـا وهامـا | يرتـوي الظمـآن فيهـا مـستهاما

ها هنا المؤمن قد زكى وصاما

من (جنين العـز) أطلقـت الهويـة | صـيحة لله لا ترضـى الدّنيـة
عقـد (القـسام) فيهـا خـير نيـة | في سـبيل الله نـصراً أو منيّـة

هي للأقصى منارات السّرية

هلَّ (ياسـين) بهـا مـن نخـل غـزة | هـزه الإيمـان والظلـم اسـتفزه
لبّـت الأكنـاف تكـبيراً وعـزّة | وتـداعت هـزة مـن بعـد هـزة

الحماسيُّ أتى الذل فجزّه

الطيـور الخـضر حامـت في ربانـا | تـوقظ الليـل علـى وقـع خطانـا
هانـت الـدنيا ومولانـا دعانـا | فاتخـذنا لفتاوانـا دمانـا

هتف المسرى وحيتنا سمانا

كـبر الأقـصى علـى جـرح العـراق | وسـقى دجلـةُ قنـديلَ الـبراق
الجـوادان علـى سـوح الـسباق | يرسمـان الـدرب للخيـل العتـاق

فاشربي يا قدس فنجان التلاقي

ليس بعد اليوم نوم أو سكينة ... نهض الإسلام يستوفي ديونه
منذ قرن والثعابين اللعينة ... تنفث السّم بأعراق المدينة

آن للمؤمن أن ينصر دينه

وطني أنت لها والعز غالي ... لم تزل في الدهر قيدومَ المعالي
شامخاً بين جمال وجلال ... عافيا بين غلال ودِلال
زادك الله شموخا وجلالا ... ورعاك الله يا كَرْمَ الرجال

وترى في شعره ومضات مشعة من الأمل ، وتطلعات إسلامية إلى مستقبل مشرق، وعودة إلى الله تأخذ بالأيدي المتوضئة إلى سواء السبيل . ومن ومضات الأمل المشعة قوله [1] :

لئن طال ليلي ستشرق شمسي ... وتجلو هُمومي وتمسح بؤسي
وتصفو حياتي على نهج ربّي ... وتغدو صفاتي مناط التأسّي
ويشتدُّ عودي وأحمي حُدودي ... ويخشى الأعادي نزالي وبأسي
وفي كلّ مِضمار فنّ وعِلْم ... سيشدو يراعي ويسطعُ طِرسي
وفي كل سهل وفي كل تلٍّ ... سَيُمْرِعُ زرعي ويَخْضلُّ غرسي

وللجيتاوي شعر اجتماعي جيد النظم ، منتقى الألفاظ ، جلي المعاني ، إسلامي الموضوع ، موفق الأداء لفظاً ومضموناً .. له أثر في النفس أيّ أثر .. استمع إليه في قصيدته الرائعة "الجلباب" التي نظمها بمناسبة انتشار الزي الإسلامي المبارك بين المسلمات ، فيرى فيه لباساً للطهر والفضيلة ، ويحث البنات على التمسك به وعدم خلعه .. ويصف هذا اللباس الشرعي فيقول [2] :

---

(١) صدى الصحراء ص٥١ .

(٢) صدى الصحراء ص١٤٨ .

حيّـــاك المـــولى مـــن منظـــرْ | يـــا ذاك الجِلبـــاب الأخـــضرْ
يـــا حـــصناً يحـــرس مُؤمنـــة | مـــن عـــين الرّيبـــة والمُنكـــرْ
يعلـــوكَ جـــلالٌ ووقـــارٌ | يغـــشى الإنـــسانَ إذا أبـــصرْ
فـــيغُضُّ الطـــرفَ علـــى رَغَـــبٍ | أنْ يَنْظُـــرَ في حُـــسنِكَ أكثـــرْ

ويتحدث في نفس القصيدة عن الفتاة المسلمة التي تعتز بإسلامها وتحسن تربية أبنائها ، وتفخر بهذا اللباس ، فيقول :

أنـــا بنـــت مـــن صُـــنع القـــرآن | يُـــسدِّدُني خـــوف المَحْـــشَرْ
خطـــواتي يحرســـها الإســـلام | فمـــا تكبـــو أو تتعثّـــرْ
مـــن مـــصنع (أحمـــد) جلبـــابي | أفمـــا يجْـــدُرُ بـــي أن أفخـــرْ ؟
مـــن وشـــي الجنّـــة منـــسوجٌ | وبـــريح الفـــردوس مُعطّـــرْ
التقـــوى لابنـــة عمـــران | والـــسّيما مـــن بنـــت الأزورْ

وله شعر في الوجدانيات يُنبئ عن قلب كبير نابض بالحب والمودة والصفاء .. شعر يسكبه شذاً عطراً ويرسله أغاريد عذبة حين يتحدث عن بناته مثلاً .. فنراه يخاطب ابنته "ميسون" بقوله [1] :

ميـسون تيهـي في ثيابـك وانعمـي | تغذوك من قلبي الحشاشة فاسلمي
إنـي وهبتُـكِ مُهجـتي مـن قبـل أن | أهَـبَ الثيـاب فـسيطري وتحكّمـي
أنـا إن نظـرتُ إليـك سـاعةَ شـدّة | تنـأى الـشدائدُ إن لمحْتُـكِ تَبْـسِمي
وإذا سمعتُـكِ تُنـشدين حَـسِبْتُ أنّ | الكـون جمعـاً آخـذٌ يتَـرَنُّمِ
إن ترتـدي (المريـولَ) أدعـو الله أن | يحميك مـن عـين الحـسود المجـرمِ
وإذا (الإشـارُ) عـلا جبينَـكِ خلتُـهُ | قد صيغَ من روحي وزُرْكِشَ من دمـي

---

(١) صدى الصحراء ص١٧٨ .

والجيتاوي أب تراوده آمال عذبة ، فهو يطمح للأبناء أن يحققوا ما عجز عنه الآباء .. وهو يريد لولده أن يكون ولداً صالحاً عالماً بالقرآن ، وأن يرفع راية التوحيد لإعلاء كلمة الحق ، فيقول [1] :

عبد الرحمن أيا ولدي ... يا أملاً يكمُنُ في خَلَدي
أأنال من الدنيا أرباً ... وأراك تدَرَّجُ في صُعُد ؟
أتكون عليماً بالقرآن ... تدُلُّ الناس على السّدَد ؟
وحديث (محمد) تُخرجُهُ ... وتُمِدُّ الفقه بمستَنَدِ
وأراك تَرَسّلُ في الفتوى ... في ثوب فقيه مُجْتَهِدِ ؟
وتَحُثّ الناس على الإحسان ... وهجر المنكر والفَنَدِ
شيخُ الإسلام وعالِمُهُ ... ومنارُ الحكمة في البَلَدِ
وأموت وتحمل في نعشي ... وتَؤُمُّ الجمعَ على جسدي
وتنافح عني تدعو لي ... بالرحمة والعفو الأبدي
وأقول لدى العرض لربّي ... ها قد قدّمْتُ ليوم غَدِ

ثم يدعو للأبناء بهذا الدعاء الصادق :

بارك يا ربّ مساعيهم ... واحفظهم وانصرهم وَذُدِ
عن شرّ الخلق وعن غَسَق ... وعن النّفاثةِ في العُقَد
وأعِذْهُمْ يا ربّ وصُنْهُمْ ... من شرّ الحاسدِ والحَسَدِ

(١) صدى الصحراء ص١٢٢ .

ومن شعره الرائع قصيدته "مع الطبيب" التي أبدع فيها في التعبير عن خلجات نفسه .. وهو يرى طفله في حالة مرض شديد فلا يقرّ له قرار ، ولا تهدأ له نفس ، ويودّ لو استطاع إمداده بدم الفؤاد .. فهو يحمل طفله إلى الطبيب ويقول [١] :

أتيتك يا طبيب بصنو روحي ... فضمّد إذ تُداويه جُروحي
أتَيْتُكَ بادِيَ الحسراتِ تُغني ... مُشاهَدَتي وحالي عن شروحي
عليل النفس مسلوب التأسّي ... وشيكَ اليأس مُنحسِرَ الطّموح
كأني في ذهول اللُّبّ عني ... نَهلْتُ من المدامة في صَبوحي

وللجيتاوي شعر في مجالات أخرى من الشعر غير التي ذكرناها ..

له في الرثاء شعر فيه عاطفة صادقة .. كقصيدته "في وداع المرحوم الأستاذ حسن الهضيبي" التي يقول فيها [٢] :

أدّى أمانة دينهِ بجهاده ... وبصبره في كل خطب مُفْجع
ومضى على النهج الرشيد صلابةً ... وتُقىً ومن نوع الثبات الأرفع

وله في المناسبات الإسلامية .. كقصيدته "في ذكرى مولد الرسول" التي يقول فيها [٣]:

سيّدي : قد صدقتنا القول ... والنّصح وأنت الصّدوق ما من جدال
كل ما خفته تحقق فينا ... خطوة خطوة وحالاً لحال

---

(١) صدى الصحراء ص١٧٦ .

(٢) صدى الصحراء ص١٢٧ .

(٣) جريدة الرأي الأردنية في ١٣/٢٣/١٩٨٣م .

زارنـــا الجهـــل واســـتراح بنـــا   دينـــاً علـــى فـــرط فتنـــة ودلال
وارتـضيناه أمــراً فأرانــا العــرف   نكـــراً والزيـــغ صـــنو الكمـــال
وعمهنــا فمــا نميــز مــن المــشرق   غربـــاً أو يمنـــة مـــن شمـــال
فغـــدونا نـــستنبت الـــشوك   والحنظـل في حقلنـا مكـان الـدوالي
وهـــدمنا حـــصوننا ونـــضونا   درعنـــا بـــين غفلـــة واحتيـــال
فاســـتبانت عوراتنـــا ورمانـــا   كـــل ذي مطمـــع قـــديم النبـــال
وفقــدنا (الأقــصى) وهانــت بنــا   الأوطـان في موجــة مــن الترحـال
وتركنا الفقيـد في (مجلـس الأمـن)   رهـــين النـــسيان والإهمـــال
وأضـــعنا ثمالـــة مـــن عقـــول   وفقـــدنا الإحـــساس بـــالإذلال
(مـن يهـن يـسهل الهـوان عليـه)   مـــا لجـــرح بميـــت مـــن نكـــال

وله في الوصف .. كقصيدته "ذكرى معركة الكرامة" التي يصف فيها ثبات المجاهدين وأثر المعركة على المسلمين في ميدان القتال ، والتي يقول فيها [١] :

يـوم الكرامـة يـومٌ كـان مطْلَعُـهُ   قـدومُ سـعدٍ علـى الإسـلام والعـرب
عُقبى ليال مضت باليأس مترعـةً   أعــاد آمالنــا والــشمسُ لم تغـب

ولشاعرنا قصائد من الشعر الحديث [الحر] .. ومع ما لنا من ملاحظات على الشعر الحديث لا نرضاه بسببها بديلاً للشعر الأصيل إلا أن قصائد الجيتاوي جاءت دفقة شعرية معبّرة لما يعتمل في النفس من عاطفة ووجدان ..

---

(١) صدى الصحراء ص١٠٢ .

يقول الشاعر في قصيدة عن الأقصى [1] :

يا مسجدي ... إن يحرقوك ويهدموكْ
يا مسجدي ... إن يخذلوك ويُرخصوكْ
فلقد أقمتُك في فؤادي
وصهرتُ غضبتَك الرهيبة في مدادي
وسفحتُ فيك مدامعي
وجعلت تُربَكَ من رمادي
من مقلتي ... من أعظمي
ونقعت غُلّتك الأبية من دمي
وشببت نارك في النجوم وفي الذرا
لأنير درب السائرين
وشدوت باسمك في الصباح وفي المسا
لأثير وجدَ العاشقين
وقرعتُ طبل الهول من ألم النوى
فلعلني أنهي سُباتَ النائمين

ويقول في قصيدة بعنوان "دعاء" [2] :

سَل عن مصائب أمتي تلك القِلاعْ
أصل المآسي والضّياع .

---

(١) صدى الصحراء ص٣٠ .

(٢) صدى الصحراء ص١٩٢ .

ويتساءل فيها عن قلاع الإسلام الشامخة التي تدل على عز مضى ، وسؤدد ضاع، وكرامة دُفنت .. يزورها الناس وهم لاهون ، لا تنبعث في قلوبهم حسرة ، ولا تتحرك في نفوسهم نخوة .. فيصف هؤلاء الناس الذين تبلّد إحساسهم بقوله :

شكلُ العيون ولا عيونْ
صُمٌّ وبُكْمٌ تائهون مُخدّرونْ
أولى بنا أن لا نكون
من أمة الأنعام تحسَبُنا خُلِقنا للحلائب والرُّكوب
وإذا تململنا سُحِقنا
صِرنا تماثيلاً وأشباحاً تَدِبُّ على الدروبْ

ويتحسر على الشباب الذين تتلمذوا على الغرب وأخذوا من الحضارة كل ساقط وهزيل ، وانصرفوا عن الخير :

وصنائع الغرب الحقود كأنهم زُمَرُ القرودْ
حسبوا الحضارة في مُحاكاة البرودْ
تركوا الأصالة والفضيلةْ
وتنكّبوا درب الهُدى
واستحسنوا عيش الرذيلةْ

وفي آخر القصيدة يعيب الشاعر على الطبيعيين الذين تتلمذوا على موائد الإلحاد وقالوا إن الطبيعة هي التي خلقت الإنسان .. فهم بعلمهم هذا لم يبلغوا علم الأعرابي القائل : البعرة تدلّ على البعير ، وآثار الأقدام تدل على المسير .. فسماء

ذات أبـراج ، وأرض ذات فجـاج ، وبحـار ذات أمـواج .. أفـلا تـدلّ علـى اللطيـف الخبير.

يقول الجيتاوي [1] :

وبني الطبيعة ، ويحهمْ !
أيشكُّ في الله العظيم سوى الذي فقَدَ الحجا ؟
وغدا من الأحياء مَسخاً شائهاً لا يُرتجى ؟
أهيَ العمالة والمكابرة العميّة ؟
أهي الخيانة والمروق ؟
أهي انتكاسُ العقل والفطر السويّة ؟
الشهب في عليائها
والطير في أجوائها
والبهم في بيدائها
والهائمات على هواها
والشمس في إشراقها
والليل لما أنْ تلاها
كلُّ يُسَبِّحُ للإله بحمده
كلُّ يُمَيِّزُ غيَّهُ من رُشدِهِ
إلا الطبيعي السّفيه

(١) صدى الصحراء ص١٩٥ .

آثاره الأدبية

١- صدى الصحراء – ديوان شعر ، [دار الفرقان : عمان] ، ١٩٨٣م .

٢- قناديل على مآذن القدس – ديوان شعر ، [دار الفرقان : عمان] ، ٢٠٠١م .

٣- قول متدارك على البحر المتدارك – بحث عروضي .

٤- له ديوان شعر مخطوط للأطفال بعنوان "روضة البلابل" ، وكتاب عن الشعر الحر .

قصائد مختارة من شعره

١

قناديل على مآذن القدس

القدس ... مدينة الأقصى .. وأرض الإسراء والمعراج .. وقبلة المسلمين الأولى .. مدينة سجد على أثرها أنبياء الهدى ، وملائكة الرحمن .. مدينة الجنة تحنّ شوقاً إليها ، بل إنها بقعة من بقاع الجنّة .

هذه المدينة عندما أشرق عليها نور الإسلام ، عاشت في عزٍّ وقوّة ومنعة .. وأصبحت مهوى القلوب المؤمنة ، ومعقل الأجداد الفاتحين ، وقلعة الرّباط الأولى .. ومنذ دخلها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاتحاً ، عَلاها صوت بلال رضي الله عنه مؤذناً : الله أكبر .. الله أكبر .. وتسابق إليها الصّحابة – رضوان الله عليهم – يهلّون منها بعمره ..

ولمّا تغيّرت عليها الأحوال ، وألّمت بها النائبات ورزحت في الاحتلال ، وخَفَت فيها صوت الأذان ... أخذت تستغيث شباب الإسلام ، وتترقب الخلاص من قيود الاحتلال ..

وهذه القصيدة التي نقدّمها نظمها شاعرنا الجيتاوي عام ٢٠٠١م ، ونشرها في عدد من الصحف ، وفي ديوان " قناديل على مآذن القدس " .. وقد هاله الواقع المرّ الذي تعيشه القدس في هذه الأيام .. فقام يذكّر المسلمين بأيام العزّ والمنَعَة التي عاشتها القدس في الماضي .. ويدعو أبناء الأمة الإسلامية لإعداد العدّة وتلبية النداء ، لإنقاذها من الأعداء ..

أبيات القصيدة(١)

لـي في هـواكِ مـدائنٌ ومرابـعُ ... وعلـى شَـجاكِ سـحائبُ تتـدافعُ
وعلـى جبينِـكِ قُـبلتي، وأَهلَّـتي ... للبُـشْرَياتِ عـزائمٌ وطلائـعُ
يا قدسُ يا فرحَ الحياةِ ، إذا ارتوى ... ظمـأٌ ، فمِـنْ عينيـكِ فيـه نـوازعُ
وإذا شـدا في الأيـكِ صَـبٌّ فهـو في ... سِـرِّ ابتـسامتِكِ الحزينـةِ خاشـعُ
أَرَقُ الوجـود علـى غِلالَتِـكَ الـتي ... تـسقي الخيـال ، شمائـلٌ وروائـعُ
رَسَـمَ الوجـودُ جمالهـا وكمالهـا ... وظلالهـا ، والحادثـاتُ ذرائـعُ
وأنـا علـى شـفة الخلـود مُعـاقِرٌ ... طِيـب اللَّمـا ، وفـمُ الأَثـيرةِ شـافعُ
وعلـى مـدى إيمـاءِ عينِـك قـائمٌ ... وعلـى شَـذاكِ مُـرابطٌ ومُقـارعُ
إن كـان حُبُّـكِ حَجَّـةً مـبرورةً ... يحـدو لهـا الحـادي ويهفـو السامعُ
فأنا ببابِكِ ناسكٌ ، وعلـى رُموشِكِ ... عاشـقٌ ، وعلـى بحـورِكِ ضـارعُ
رَوَّيـتُ شِـعري في صَـلاتِكِ مُثخَنـاً ... والقلـب في سُـبُحاتِ وجهِـكِ راكـعُ
والبـيضُ تـسجدُ في أُرومتِـكِ الـتي ... وَطِـفَ الغمـامُ لهـا وأوفـى الـزارعُ
في راحتيـكِ حمـائمٌ وولائـمٌ ... وكتائـبٌ ومواكـبٌ ومَـصارعُ
حَـلاّكِ بَـدْرٌ ، والبـدورُ أَهِلَّـةٌ ... حَـدِبَتْ عليـه ، مُبـارِكٌ ومُبـايعُ
حَفَلَـتْ بـه الـدنيا لـديكِ ، وأشـرقَ ... المـسرى وقامـت للخيـال مَجـامعُ
جَلَّى جبينُكِ ما الخيالُ وما الـسُّرى ... صَـنَعا ، فما بخـلا ، وجَـلَّ الـصانعُ
وَهَـجُ الكرامـةِ كَعبـةٌ للعاشـقين ... إقامـةٌ وشـفاعةٌ ومـدامعُ

(١) ديوان " قناديل على مآذن الأقصى " ، ص ٩ — ١٣ .

فَضْلُ العليِّ على الصفيَّ ولايةً ... والكون بالأمر المهيمنِ صادعُ

تَبقى القلوبُ حِيالَها مَشبوبةً ... وإذا غَفَتْ فعلى رُؤاكِ هواجعُ

۞ ۞ ۞

يا قدسُ مالي في هواكِ تَقِيَّةٌ ... فالعمرُ دونكِ أَجْدُبٌ وبَلاقِعُ

يَرضَى الذي يَرضَى،ويسخطُ ساخطٌ ... سِيَّان عندي ، لستُ فيك أُصانعُ

ما ظَلَّ غيرُ حُشاشةٍ أُرْمَى بها ... وَلَئِنْ رُميتُ بها فإني بائعُ

حَطَمَ الزمانُ عمودَ روحي ، وانثنى ... لِضُلوعِ مملكتي ، وَلَجَّ الطامعُ

فأنا الغريب على حِياضِكِ ، والمدى ... لَمْعُ السراب ، وأَعْبُدٌ تتصارعُ

جاسوا بأَنفاس الصدورِ وما رَعَوْا ... إلاًّ ، وأوحى شيخُهم فتبايعوا

مِنْ تاجرٍ شَربَ الدماء رواحلا ... أو خانعٍ أدمى قَفاهُ الصافعُ

أو فاجرٍ أَلقَتْهُ أقبيةُ الرَّدى ... بين الضلوع ، وما عساهُ الضالعُ

سَكرانُ ما عرف الصلاةَ ولا الهُدى ... واليومَ عن عَتَباتِها يترافعُ

هَزُلَتْ على سُوحِ الطِّماحِ قَضِيَّةٌ ... فُرسانُها عُوَّارُها المُتَدافعُ

قالوا السلامَ ، قُلِ السلامُ على ... السلامِ ، وقل على هذا السلام زَعازعُ

أَأَنا الملومُ إذا رفعتُ عَقيرَتي ... فَهَفَتْ إليَّ بلابلٌ وَسَواجعُ

أأنا الملومُ إذا رَجَمْتُ خَطِيئَةً ... أَطَّ الحطَيمُ لِهَوْلها والجامعُ

القدسُ قدسي والقِبابُ صوامعي ... ولهم كهوفٌ للخَنا وصوامعُ

۞ ۞ ۞

يا قدسُ لا تَهني ، فأنتِ حَظيَّةٌ ... الدنيا ، وللبَشرى عليكِ طوالعُ

كفِّي الدموعَ فما المُريدُ بكاذبٍ ... كلا ، ولا ساري الشهادةِ راجعُ

في جِيدِكِ العشاقُ عِقدُ مآثرٍ ... خَشَعَ الزمان لحُسْنها يتواضعُ

تلك المهورُ على هُتافِكِ تنتخي ... جُنَّ الهُيام فَحَمْحَمَتْ تتسارعُ

شَدَّتْ (حَماسُ) سُروجَها فكأنها ... قَدَرٌ يمـوجُ وأَنجـمٌ تتـدافعُ
هِمَمٌ على هامِ النجومِ عَجاجُها ... تَتَثاءبُ (الزهراءُ) ، وهي طوالعُ
تَسْتَنْبِتُ الحسناتِ في نار الرَّدى ... والمُرْجِفون على الهوانِ أَشايعُ
تَتَربَّصُ الأيامَ وهي كَواسِرٌ ... وتُصايرُ الأحلامَ وهي مدامعُ
ترنو لموعدها وتزرعُ طِفْلَها ... نَخْلاً ، ويرعاهُ الخيالُ الواقعُ
اليومَ للغد آيةٌ ، فإذا استوى ... قَدَرٌ ، فَلِلزَّفَراتِ بَوْنٌ شاسعُ
وَعْدٌ على الأَحداق يرسُمُ ظِلَّهُ ... ما شَدَّ طفلٌ أو تفجر يافعُ
صِدْقٌ ، وتعرفهُ اليهودُ وإنه ... رُعبٌ يُهيمن في القلوبِ مُضارعُ
يحدو له حجرُ الطُّفولةِ في المدى ... نَهَدَتْ إليه سَوادِسٌ وسوابعُ
هذي الدماءُ عُجالةٌ ، أو (جاهةٌ) ... والملتقى يا قدسُ بحرُكِ واسعُ
فيكِ الرِّضا ولكِ الرِّضا ، ولِكُحْلِ ... عينيكِ الفضاء ، جَماجِمٌ وأَصابعُ

قصائد مختارة من شعره

٢

الغضبة القدسية

كانت القدس ومازالت تحتلّ مكانة خاصة عند العرب والمسلمين ، فهي بلد الإسراء والمعراج ، وفيها المسجد الأقصى المبارك ، أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ..

وقد ارتبط المسجد الأقصى بعقيدة المسلم حينما ربطه القرآن الكريم بمكة المكرمة في سورة الإسراء ، وغدت حمايته والدفاع عنه ، وتحريره من أيدي الغاصبين واجباً على كل مسلم ومسلمة ..

وفي عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م قام اليهود باحتلال مدينة القدس ، واحتلال جميع فلسطين .. ووقع المسجد الأقصى أسيراً في أيديهم ، وقاموا بالاعتداء عليه مرات ومرات ، وحرقوا منبر صلاح الدين .. والعرب والمسلمون ينظرون إليهم في ذلّ واستكانة ولا يتحركون ..

ولما رأى شاعرنا الجيتاوي هذا الحال ، ولاحظ أن مشاعر اليأس قد استبدّت بالناس .. انبرى يشجع أبناء أمته ، ويدعوهم إلى خلع أردية الغفلة ، وأثواب اليأس والقعود ، ويدعوهم إلى مجابهة الباطل ومقارعة العدوان ، وتحرير القدس الشريف..

فجاءت هذه القصيدة عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م نابعة من أعماق نفس معذّبة ، وفؤاد مكلوم ، بذكر القدس وفلسطين في كل نبضة من نبضاته و كل خلجة من خلجاته .. وهو يتطلع إلى أرض مباركة وشعب مؤمن وغد مشرق .

أبيات القصيدة (١)

دع عنـــكَ خادِعـــة الأمـــاني	وانهَـــضْ فمـــا هـــذا التّـــواني
تمـــضي الـــسِنونَ تلـــي الـــسنينَ	وأنـــتَ معقـــولُ الحِـــصانِ
تُـــصغي لأخبـــار الطِّعـــانِ	تَظُـــنُّ ذاك مـــن الطِّعـــانِ
هـــذا ســـبيلُ العـــاجزينَ	ومَـــذْهَبُ الغيـــدِ الحـــسانِ
ومَحَـــطُّ آمـــال الـــضعيف	وخُطَّـــةُ النـــذل الجبـــانِ
النَّـــصرُ والتثبيـــتُ تُطْلَـــبُ	في لَهيـــب المَعْمَعـــانِ
بالهـــامِ والمُهَـــجِ الغـــوالي	والـــسواعِدِ والقـــواني
بالنـــارِ بالإعـــصارِ	بـــالزلزالِ تَتَّـــضِحُ المعـــاني
عَقْـــدٌ ونِـــصْفُ العَقْـــدِ	والأقـــصى يَـــئِنُّ مـــن الهـــوانِ (٢)
المـــشرقان تَنـــوحُ مـــن	مأســـاتهِ والمغربـــانِ
القـــومُ قـــد خَـــذَلوهُ	مـــا وَفَّـــى الـــصَّريخُ ونَجْـــدَتانِ

طاشـت حُلـومُهمُ ومـا ثبتـوا علـى قَـرْعِ الـشُّنانِ
وتبَعثَـرَ الزحفـان وانكـشَفَت غيابـاتُ الـدُّخانِ
أبْخِـسْ بـه ثمنـاً لِفخـرِ عُـصورنا : إعْـذارُ جـانِ
قـد كـان أولى أن نَبيـدَ فِـدَىً ولا يَعنُـو لِـشانِ

---

(١) صدى الصحراء ص٢٥ .

(٢) وقع المسجد الأقصى في أيدي اليهود سنة ١٩٦٧م ١٣٨٧هـ .

إيهٍ صلاح الدين : هل من مِنبرٍ للعِزِّ ثـان [1] ؟!
القومُ صاروا مثلَ أهلِ الكهـفِ في فيـهِ الزَّمـان !
تَتَقلّـبُ الأجـسادُ لكـن أيـن يَقظـانُ الجنَـان !؟
يا ويحهـم أيَظَـلُّ مـسجدُهُم بمحنَتِـهِ يعـاني !؟
ويكـون . غايـةُ ردِّهِـم أنـشودةً في مهرجـان !؟
ومَذلَّةَ الشكوى لمجلسِ ما يُسمّى بالأمـان [2] !؟
تَمحو سخائِمَهُمْ [3] فتصفو جلـسة أو جلـستان !
شـجباً ، فينقلِبـون مـا بـين المرابـعِ والمغـاني !
يتفـاخرون ويمرحـون كـأنَّهم نـالوا الأمـاني !
(ويعيِّدون) ويرسلون لبعـضهم حُلـوَ التَّهـاني !
إن يغضَبوا يا حُـسنَهم أقـصى مَـداهُم ساعتان !
هانوا فهم (تَيْمُ) [4] المحافِلِ في الغيابِ وفي العيان !
يا ليتَهُم كانوا (تميماً) [5] في الطِّرادِ وفي الحِـران

---

(١) عندما زحف صلاح الدين بجيوشه لاسترداد الأقصى من الصليبيين كان قد صنع منبراً في حلب وأخذ يحمله معه في تنقلاته إلى أن دخل القدس وركب المنبر في المسجد الأقصى وأوفى بنذره وقد أحرقه اليهود في حادث اعتداء واضح سنة ١٩٦٩م .

(٢) أي مجلس الأمن التابع لهيئة الأمم المتحدة .

(٣) سخائمهم : المقصود غضبهم .

(٤) إشارة لقول جرير :

ويُقـضى الأمـر حـين تغيـب تَـيْمٌ ولا يـستأمرون وهـم شـهود

(٥) إشارة لقول جرير :

يا ليتَهُمْ (مُضَرٌ) [1] بغَضبتهم تـرَدَّدَت الأغـاني
أهـل الـسماحة والبـشاشةِ والـتحلُّم والليـان !
سُـحقاً لكُـلِّ سماحــة الـدنيا وأنعــمْ بالـسِّنان
قم يا أخا الإسلامِ جرِّدْ مَشرَفِيَّكَ [2] واليمـاني [3]
ودَع الملاهــي هَــمَّ خِــلاَّن الأرائِــكِ والــدِّنان
والمُترَفـينَ المُـتْخَمين يُزاحِمـون علــى الجِفـان
مــا عــادَ يُقبَــلُ أن تُجالــدَ باللـسان وبالبنــان
صِــرنا عبيــداً لا عِبـاداً في شـريعة كُــلّ جــان
أسـرى نعـيشُ كأننـا مِـن أمـةٍ أخـرى عـوان [4]
وحقوقُنا ضـاعت علـى عَبَـثِ المجـالس واللِّجـان
قُمْ يـا أخـا الإسـلام لـيس سـواكَ يُنـدَبُ للطِّعـان
العِــزُّ مَعقـودٌ علـى الهـامِ الـذي يتلـو المثـاني
والمجـدُ أنـت لــه وفي يُمنـاك تحقيـق الأمـاني
لله دَرُّكَ يـا فتـى يـا فـارسَ الحـرب العـوانِ [5]

---

(1) إشارة لقول بشار بن برد :

إذا غــضبت عليــك بنــو تمــيم حــسبت النــاس كلــهم غــضابا
غــضبنا علــيهم غــضبة مــضرية هتكنـا حجـاب الـشمس أو قطـرت دمـا

(2) من أنواع السيوف .

(3) من أنواع السيوف .

(4) عوان : أسيرات .

(5) العوان : الشديدة المستمرة .

قم تاجر المولى ببَيع (الـصَّفِّ) [1] مـن آي البيـانِ

لا ترتضي غير النَّجيع [2] مُهورها حورُ الجِنـانِ

يـا (قـدسُ) صـبراً للزمـان فـإن نـصرَ الله دانِ

إنـي لألَمحُ فـارسَ الغمـراتِ [3] يُمـسِكُ بالعِنـانِ

في صـدرهِ القـرآن في يُمنـاهُ سـيفٌ هِنـدُواني

آتٍ يكـادُ يطـيرُ ينتهـب المفـاوزَ في ثـوانِ

تحْدو له (الأنفالُ) و(الإسراءُ) ، نِعْمَ الحاديـانِ

يا قـدسُ أنـتِ الـروحُ أنـتِ القلـبُ أنـت المُقلَتـانِ

أنتِ الهـوى ، أنـتِ الحيـاة بعِزِّهـا والـصّولجان

أرواحنـا تَفـديكِ خالـصةً ومـا مَلَكَـت يـدانِ

تـبقينَ في أيامِنـا شمـساً تـراءَى بافتِتـانِ

تبقـى مآذِنُـكِ النجـومُ الزُّهـرُ تـصدَحُ بـالأذانِ

ويَظـلُّ محـرابُ الـنبيِّ مُكرَّمـاً في كُـلِّ آنِ

(١) إشارة للآيات الأخيرة من سورة الصف .

(٢) النجيع : الدم .

(٣) الغمرات : الشدائد .

قصائد مختارة من شعره

٣

وللعامل وسام

لقد كرّم الإسلام العامل ، ورفع من شأنه ، وعلّمه الأمانة والإخلاص وإتقان العمل .. يقول رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام : "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه" ، ويقول : "مَنْ أمسى كالاًّ من عمل يده أمسى مغفوراً له" ..

ولكن هذا العامل الذي يبني بعمله المجتمع ، وتقوم على نشاطه نهضة الأمة، ويسعد بإنتاجه الناس .. أغفله المجتمع في هذه الأيام .. وكانت لفتة طيّبة من شاعرنا الجيتاوي بأن ينظم قصيدة جميلة رائعة عام ١٩٨٥م ، يمجّد فيها العامل ، ويعلي من شأنه ، ويشركه في بناء الوطن ، ويصف ألواناً كثيرة من نشاطه المتعدّد الذي يبدأه كل يوم باسم الله ، وفي طاعة الله ومراقبته ، بعد أن يصلي الفجر و يقرأ القرآن ، وينطلق إلى عمله بهمة ونشاط و إيمان ..

هذه القصيدة التي استهلها الجيتاوي بقوله :

رُشوا الطريق ندىً وزهرا لفتى يغذّ السّيرَ فَجرا
عَقَدَ الرّشادَ ليومه مع ربّه آياً وذِكرا

إنّ فيها من التكريم والتمجيد والتوجيه للعمل والعمال بما يدفعهم إلى الرضا عن أنفسهم ، والاعتزاز بعملهم ، والثبات على الإيمان .

وقد لقيت هذه القصيدة ثناءً واستحساناً عند الذين اطلعوا عليها .. ومن ذلك أنها تُدرّس في مدارس المملكة العربية السعودية للذكور والإناث .. ومن ذلك أيضاً اختيار الأستاذ الأديب أحمد الجدع لها ، والكتابة عنها في الجزء الأول من كتابه : " أجمل مائة قصيدة في الشعر الإسلامي المعاصر " .

أبيات القصيدة [1]

رُشّوا الطريق ندى وزهرا لفتى يغذّ السير فَجرا
عقدَ الرّشادَ ليومه مع ربّه آياً وذِكرا
ومضى على درب الرّضى تدعو له (بشرى) و(يسرى)
في صدره تتماوج الآمال والأشواق تترى
والأرض تهتف للخطى الشمّاء ترحيباً وفخرا
أنعم به من فاتح قهرَ الصعاب وعاش حرّا

يا فارس العصر المجلّى دمت للأوطان ذخرا
هي قصة الحب الكبير تصوغها سطراً فسطرا
فوق الجبال على السهول حروفها تهتز خضرا
وعلى المدائن والقرى تختال معماراً أغرّا
في كل شبر من ربوع بلادنا لك حسن ذكرى
بيد الرجولة صغتها وجلوتها فنّاً وفكرا
حتى بدت كعرائس الأحلام ألواناً و عطرا
تعنو لفتنتها القلوب فتنحني وتقول : شكرا

قم وارق عرش الجدّ وترا واسْب النفوس هوى وشعرا
إني لأقرأ في عيونك سورة الإخلاص جهرا
وعلى جبينك آية القدّيس إيماناً وطهرا

---

(١) ديوان "قناديل على مآذن القدس" ، ص١٩-٢١ ، والدستور الأردنية – أيار ١٩٨٥م .

هـــذا قـــصيدي في ركابـــك ... يزدهـــي ألقـــاً وســـحرا
مــن نــور وجهــك قــد أضــاء ... ومــن زنــودك جــاء تــبرا
إنـــي لأقـــسم والمـــزاعم ... جمّـــة والحـــق يُـــدرى
"قبـــل الجميـــع لـــك الوســـام ... وأنـــت بـــالقبلات أحـــرى"

يـــا معـــبر الأمـــل القـــصي ... وقـــد ذوى كمـــداً وقهـــرا
يجتـــاحني بـــوح الجـــراح ... واســـتميحك فيـــه عُـــذرا
همّـــي وهمّـــك والهـــوى ... بـــيني وبينـــك لـــيس ســـرّا
ذاك الحبيـــــب إلى متـــــى ... يمتـــدّ في الخفقـــات جمـــرا
تلـــك الربـــوع المـــستغيثة ... والـــصّدى يرتـــدّ ذعـــرا
أفمـــا شـــجاك أنينهـــا ... أفمـــا توقّـــد فيـــك ثـــأرا
أتقـــرّ والأرحـــام مـــضرمة ... الحـــشا نزفـــاً وأســـرا
أفمـــا لهـــا يـــوم أغـــرّ ... يغيّـــر الحـــال الأمـــرّا
قـــسماته نبويّـــــة ... عمريـــة صـــدقاً وصـــبرا
ألقـــت عليـــك ظلالهـــا ... فـــارْعَ الظـــلال جزيـــت خـــيرا

المصادر والمراجع

١- ديوان "صدى الصحراء" ، عمان ، ١٩٨٣م .
٢- ديوان "قناديل على مآذن القدس" ، عمان ، ٢٠٠١م .
٣- المِذَرَّة (رحلة أدبية نقدية) بقلم الدكتور زكي الشيخ حسين كتانة .
٤- رسالة شخصية وقصائد مخطوطة موجهة للمؤلف .
٥- قصائد منشورة في الصحف والمجلات .

صالح جرّار

(١٣٥٠ هـ - ....) (١٩٣١ - ....)

* تقديم
* حياته ودراسته
* آثاره الأدبية والعلمية
* شعره
* نكبة فلسطين في شعره
* شاعر أبّ
* قصائد مختارة من شعره

تقديم

صالح جرّار أديبٌ ومُربّ من روّاد التربية والتعليم في الأردن وفلسطين .. وشاعر وطني إسلامي حمل قضية وطنه فلسطين ودافع عنها ، ونظم معظم أشعاره فيها ، وشجّع الشباب على مقاومة الغزاة الذين اغتصبوا أرض فلسطين وأشاعوا فيها الفساد..

حياته ودراسته

ولد الأستاذ صالح بن محمد بن محمود جرّار سنة ١٩٣١م في قرية " برقين " التابعة لمحافظة جنين بفلسطين ، ونشأ في أسرة ريفية متديّنة .. وتلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة القرية ، والثانوي في مدرسة جنين الثانوية ، ونال شهادة الدراسة الثانوية عام ١٩٥٠م . وعمل معلماً في وزارة التربية والتعليم الأردنية من سنة ١٩٥١ – سنة ١٩٨١ ، كما عمل أمين مكتبة في مدارس تلك الوزارة . وحصل في أثناء عمله على شهادة الليسانس في اللغة العربية من جامعة بيروت العربية سنة ١٩٧٥م بتقدير " جيد جداً " . كما حصل على مؤهلات في التربية والتعليم ، وفي علم المكتبات..

وبعد تقاعده من العمل بوزارة التربية والتعليم ، عمل معلماً في ثانوية جنين الشرعية ، وعمل مدرساً للغة العربية في مدرسة الإيمان التابعة للجنة زكاة جنين .

آثاره الأدبية والعلمية

١- ديوان شعر بعنوان " رحلة الأيام " ، صدر عام ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

٢-ديوان شعر بعنوان " جهاد وشهادة " ، صدر عام ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .. سجّل فيه جوانب مشرقة من بطولة وجهاد الأهل في فلسطين ، وبخاصّة بطولة الفتية المؤمنين .

٣- مجموعة شعرية مخطوطة ، نشرها في عدد من الصحف في الضفة الغربية، والبلدان العربية ، منها صحيفة " هدي الإسلام " و " النهار " و " الدستور" الأردنية، وصحيفة " الشهاب " و " المجتمع " اللبنانية ، و" المنتدى " الخليجية ، و "الصراط " ، و " صوت الحق " ، و " الحرية " الصادرة في الأرض المحتلة عام ١٩٤٨م.

٤- كتاب مخطوط في علم المكتبات ، بعنوان " وقل ربِّ زدني علماً " .

٥- كتاب مخطوط بعنوان " مقالات ورسائل أدبية " .

شعره

الأستاذ صالح شاعر ملتزم بالإسلام في حياته وسلوكه ، وفي تربيته لأسرته وتلاميذه .. شاعر أحب الشعر ونظمه ، وجعل منه وسيلة للدفاع عن وطنه وأمّته .. نظمه في مجالات عدّة ، في مقدّمتها الدعوة إلى الإسلام وحض الشباب على الالتزام بتعاليمه .. ونظمه في المناسبات الإسلامية ، في ذكرى المولد النبوي الشريف ، وفي ذكرى الإسراء والمعراج وغيرها .. ونظمه في أحداث العالم العربي والإسلامي ، وفي مآسي المسلمين المعاصرة .. ونظمه في أمور الحياة والسلوك الاجتماعي الذي يمارسه الناس في حياتهم اليومية .. وكان لفلسطين وطن الشاعر النصيب الأوفى من شعره ، وكان للنكبات التي حلّت بها ، وللجهاد الذي خاضه شبابها ، الكثير من شعره .. وقد رسم في شعره صورة صادقة لحياة أبناء جنين وأبناء فلسطين الذين وقفوا في وجه

المحتل الغاصب ، وتحمّلوا الأذى والاعتقال والتعذيب والاستشهاد دفاعاً عن أرض الرّباط .. وكانت له مساهمات ومشاركات شعرية وتربوية في جنين وغيرها في الأحداث والمناسبات الوطنية والاجتماعية ..

وكان لشعره دور في تجديد الهمم ، وتثبيت العزائم ، والحث على المكرمات ، والحضّ على الجهاد ، والدّفاع عن المقدّسات ..

انطلق شعره من تصوّره الإسلامي ، ومن فهمه لرسالة الشعر . .فهو يرى أن الشاعر المسلم لا بد أن يسخّر شعره في سبيل دعوة الإسلام ، وأن يذبَّ بشعره وبيانه عن عقيدته ودينه ، وعن قِيَمِهِ ومُثُلِه ، وعن فضائله وأخلاقه ، وأن يرعى الفطرة السليمة ونقاءها ، والوجدان الطاهر وبهاءه ..

استمع إليه وهو يصف الشباب الذين تربّوا على الإسلام ، والتزموا هدي القرآن، فقد نظم لهم قصيدة بعنوان " شباب الإسلام " ، وألقاها في احتفال أُقيم في مسجد جنين الكبير سنة ١٤٠٧هـ ، لتكريم الطلاب المتفوقين الذين أنهوا الدراسة الثانوية في تلك السّنة ، وقد ألقى ولدُ الشاعر كلمة الطلاب إذ كان الأول في لواء جنين ومن العشرة الأوائل في الضفة الغربية ..

يقول شاعرنا في تلك القصيدة[١] :

ألا إنّ الهداية في كتابٍ ... به عَزَّ الأوائلُ والجَنابُ
ألا يا ذا الجلال وذا العطايا ... ببابِكَ قدْ وقفْتُ فهلْ أُجابُ؟
فحين سألتُ ربِّي عِزّ ديني ... إذا هذا الشبابُ هو الجوابُ
فها إنّي أرى غُرّاً كِراماً ... من الشُّبّان جمّعَهُمْ كتابُ
أراهُمْ يرفعون لواء دينٍ ... هو الإسلامُ ما فيهِ ارْتيابُ

---

(١) ديوان " رحلة الأيام " ، ص٤٤ .

أراهــم يرتـــدون ثيـــاب طُهْـــرٍ ... وغيرُهــــمُ تُتَيّمـــــهُ الكَعـــابُ
تـــراهُم يحملـــون العلـــمَ نـــوراً ... ونـــورُ العِلْــم للـــدُّنيا شـــهابُ
وغـــايتُهم رضـــا الرّحمـــان حقـــاً ... وأُسْـــوتُهم مـــن الرُّســل اللُّبــابُ
فهيّـــا يـــا فتـــى الإســـلام سَـجِّلْ ... بـــأنّ الحـــقَّ يحميـــه الـــشّبابُ

ولمّا كان الشباب يفارقون الأهل بعد الانتهاء من دراسة المرحلة الثانوية ، حيث يذهبون للدراسة الجامعية في بلدان بعيدة .. وهذا مما يسبب للأهل ألم الفراق وشدّة الشوق والحنين .. فإننا نجد شاعرنا صالح ينظم قصيدة مليئة بالنصائح والتوجيه للأهل وللأبناء بعنوان " ورقةٌ من امتحان الحياة " ، يقول فيها (1):

ألا إنّ المـــشُوقَ بـــلا جَنـــاحٍ !! ... فأقْصِرْ ، ياحنينُ ، عن الجماحِ !
فعـــالج نـــار شَـــوْقِكَ باصـــطبارٍ ... ودَعْ لله أَمْـــــرَ ذوي الـــصَّلاحِ!
علـــى تقـــوى الإلـــه بنـــوكَ شـبّوا ... وتقـــوى الله عُنـــوانُ الفـــلاحِ !
فَـــدَعْهُمْ يطلبـــوا العِلْـــمَ بجـــدٍّ ... وبعـــدَ الجِـــدِّ أفـــراح النجـــاح
ألا فلْتـــصْبِرَنّ علـــى فـــراقٍ ... فـــإنّ الغـــائبين لَفـــي كِفـــاحِ
فمـــا خُلِـــق الـــشّبابُ لغـــير عِلْـــمٍ ... وتحقيـــــقٍ لآمــــال فِـــساح
ألا فاصْـــبرْ ، فـــإنّ الـــصّبْرَ دِرْعٌ ... تُحَطّـــمُ دونهـــا صُـــمُّ الرّمـــاح
بـــذكْرِ الله عَـــالِجْ نـــارَ شَـــوْقٍ ... فـــذكرُ الله طِـــبٌّ للجـــراح
ولا تجـــزع ففـــي كَبَـــدٍ خُلِقْنـــا ... ولم نُخْلَـــق لِلَهْـــوٍ أو مِـــزاح

وكان الأستاذ صالح يهتم بلغة القرآن الكريم ، ويحضّ طلابه وجميع الناس على التّكلّم بالفصحى .. ولما رأى تهاوناً في المحافظة على اللغة .. تارة بإشاعة

---

(1) ديوان " جهاد وشهادة " ، ص ٩٨ .

العاميّة وترك الفصحى ، وتارة بإشاعة اللسان الأجنبي بدلاً من العربي .. نظم قصيدة بعنوان "عربيةٌ صفحاتُ مجد تراثكم " ، حذّر فيها من التّهاون بالعربية ، فقال [1]:

يا ويحكُمْ ! حتى لسانُ نبيّكم ... أضحى غريباً دائم الحَسَرات
ذاكَ اللّسانُ لسانُ وحْي إلهكم ! ! ... لا تهجروهُ ففيه عِزُّ حياةِ
قرآنكم بلسانكم مُتَنّزل ... هذا – لعمري – أعظم النّفحات
عربيةٌ صفحاتُ مجد تراثكم ... هيا احفظوها رغم أنف دُعاةِ
ماعزّ أقوامٌ بموت لسانهم ... فلِسانكُم رمزٌ لكلِّ ثبات

ونرى شاعرنا المربّي يخصّص شيئاً من شعره للمعلم .. المعلم الذي يربّي الطلاب على الفضيلة والخلق القويم ، ويفتح أذهانهم ويُرغّبهم في طلب العلم النافع ليكونوا قادة الأمة وبناة النهضة ، في كل مجال من مجالات الحياة .. فيقول في قصيدة بعنوان " إلى كل معلم فاضل "[2] :

ما كنتُ أنسى جُهدَكَ المبذولا ... في بعث أجيال تكونُ عُدولا
كم زهرةٍ في الرّوْض فاحَ أريجُها ... بجهود جَنّانٍ يكدُّ طويلاً
"شوقي" أصابَ بقوله في حقكم ... كادَ المُعلّمُ أن يكون رسولا
حقّاً فإنك يا مُعلِّمُ باعِثٌ ... في الناس خُلقاً طيّباً وعُقولا..
كم عالِمٍ قد كُنتَ ناسِجَ مجْدِهِ ... من خيط عُمْرك تبتغيه جليلا
كَمْ قائِدٍ ! كم صانِعٍ ! كم مُنْتجٍ ... صَنَعوا بجُهدِكَ أمّةً وقبيلا

---

(١) ديوان مخطوط .

(٢) ديوان " رحلة الأيام " ، ص٨٨ .

لـولا المعلّـمُ مـا انْبَـرَتْ أقمـارُهُم	تغـزو الـسّماء لتكـشفَ المجهـولا
هذي الحضارَةُ أنـتَ باعِـثُ خيْرهـا	مـا اسْترشـدوك وجُنِّبـوا التـضليلا
بوركْـتَ يـا عـزْمَ المعلّـم بانيـاً	هذي النُّفوس علـى الهُـدى تنـزيلا
سيظلُّ قدْرُكَ في القُلوب علـى المدى	نـوراً يُشعْـشِعُ بُكْـرَةً وأصـيلا

أما الأمَّ المؤمنة .. نبع الحياة الطاهر ، التي يشعّ قلبهـا هـدى ونـورا ، والـتي عرفت مهمّتها الأساسية في تنشئة الأبناء وتربيتهم على الإسلام ، وفي إعداد الأبطال وبناء الرجال ، فقد نظم لها شاعرنا قـصيدة بعنـوان " الأمّ تـصنع المـستقبل " ، قـال فيها[1] :

أُمّاهُ يـا قلـبَ الحيـاة وخـير هـادٍ للحيـارى
المجدُ قد ضلَّ الطريق فهل أضأتِ له المنارا؟
قد لفّه اللّيلُ البهيمُ فهل بَعَثتِ له النّهارا ؟
قد كان حِجْركِ صانعَ الأمجاد عزّاً وازدهـارا
فعلامَ يبـدو مجـدنا وكأنّـه طيـفٌ تـوارى ؟
هلاّ سلكتِ سبيلَ أُختكِ حين عَزّ القـومُ دارا
هيّـا فغـذّي الطّفـلَ بالإيمـان تَلْقيـهِ المنـارا
هيّـا فحِجْـرُ الأُمّ يبعـثُ للعـلا نـوراً ونـارا

وللأستاذ صالح شعر اجتماعي جميل ، فيه لمسات إنسانية ، وتوجيـه تربـوي .. نظمـه في أمـور الحيـاة وفي الـسلوك الإجتمـاعي الـذي مارسـه ويمارسـه النـاس في حياتـهم اليومية .. ومن ذلك قصيدته التي بعنوان " وداع الأبناء " .. والأبناء هبة من

---

(١) ديوان " رحلة الأيام " ، ص ١٠٢ .

الله للإنسان ، وهم ثمرة الحياة ، ومعقد الآمال .. والأبّوة رحمة وعطف وحنان .. ويشاء الله سبحانه أن يسافر أبناء شاعرنا جميعاً في منتصف عام ١٩٧٧م سفراً طويلاً، ويبقى صالح في جنين وحيداً .. فجاءت هذه القصيدة تصويراً صادقاً لمشاعر الأبّوة ، ولتجمع إلى صدقها عذوبة اللفظ ويسر التعبير وجمال التصوير .. يقول شاعرنا في هذه القصيدة[1] :

ما كُنتُ أُحسَبُ أنّني سأُلاقي ... مسَّ الجُنون بفُرْقَة الأحداق
ما أنتِ يا أحداقُ إلاّ صِبْيَتي ... وبحُبّهم يجري دمُ الأعراق
" فمحمّدٌ " عقلي وحبّةُ مُهجتي ... وكذاكَ "إسلامٌ" دم الخَفّاق
والرّوحُ "نِسْرينٌ" أعيش بِسرِّها ... وَهُمو الوديعةُ في حِمى الخَلاّق
كيفَ الحياةُ تكونُ بعد فِراقِهمْ ... أيعيشُ إنسانٌ بلا أرزاق ؟
ما كان يومُ البَيْن إلا طعْنَةً ... نجلاءَ قد نَفَذَت إلى الأعماق

۞ ۞ ۞

لا حولَ لي يا قومُ في هذا الجَوى ... فلَقدْ رُزِقْتُ أحِبَّتي برَواق
رُبّوا على حُبِّ الإله وهَدْيهِ ... فَتزّينوا بمكارم الأخلاق
فَهُمُ الكبارُ بفَهْمِهم لكنّهم ... ما شبَّ أكبرهم عن الأطواق
أنسى بهم همَّ الحياة وضيقَها ... مع أنّهم سَيْلٌ من الإرهاق

ثم يصف لحظة سفرهم فيقول :

ركضوا إلى سيارة السَّفرِ البهيج ... بعَيْنِهم ، ولدَيْهمُ أرماقي
ناديتُهم : مهلاً بَنيَّ ! ! فإنّني ... مُتساقطٌ كتساقُطِ الأوراق

---

(١) ديوان " رحلة الأيام " ، ص٢٤ .

فَهلُـمَّ أولادي! وخفقـةِ مهجـتي ... أُحْـي الفُـؤاد بـضمّةٍ وعِنـاق
فَلثمـتُهم! وضـممتُهم! وشممـتُهم! ... وَذخـرْتُ ذلـك في دم الأعْـراق
إن الحيـاة تعاسـةٌ وبـشاشةٌ ... وكـذا الحيـاةُ تباعُـدٌ وتـلاق
ودّعـتُهم والنـارُ تحـرق مُهجـتي ... وتـركتُهم في صُـحْبة الخَـلاّق

وفي ذكرى المولد النبوي الشريف نظم قصيدة عام ١٤٠٨هـ قال فيها(١) :

وُلِـدَ الحبيـبُ محمـدٌ ببهائِـهِ ... مـيلاد فجـر بعـد طـول رجـاءِ
وُلَـدَ الـذي غـرَسَ الحيـاة فـضائلاً ... واخـتطَّ دَرْبَ رشـادها بحـراءِ
وُلـدَ الـذي لـولاهُ مـا خفقَـت لنـا ... هـذي القُلـوبُ بخـشية ورجـاء
هيّـا اشـكرُوا ربّ الوجـود فإنّـهُ ... رَحِـمَ الوُجـودَ بـسيّدِ الرُّحَمـاء
صـلّى عليـكَ اللهُ يـا عَلَـمَ الهُـدى ... مـا أَشْـرقَت شمـسٌ مـن العليـاء
قـد شـاء ربُّـكَ أن تكـون مبـشّراً ... للمـؤمنين ومنـذرَ الـسُّفهاء
وحبـاكَ مـن خُلُـق الـسَّماء رفيعهـا ... حتـى عُرفـت بأشـرف الأسمـاءِ

وله شعر قاله في مآسي المسلمين المعاصرة ، ومن ذلك قصيدته التي نظمها عام ٢٠٠٣ م بعد قيام قوّات بوش بغزو العراق ، وكانت بعنوان " عراق المجد " ، فقال:

ذاكَ العـراقُ عـراقُ المجدِ والـشِّيَمِ ... ذاكَ العـراق عـراق الـسّيف والقَلَـمِ
مِنـهُ الرّشـيدُ ومَـنْ كـانوا أئمتَنـا ... في الـسّلم والحرب،فـاذكرْ قَـولَ معتَـصِمِ:
لبَّيكِ أُختاه ، قـد أسْمَعْتِ مُعتـصِماً ... بـالله ، منتـصراً للحـقّ والقـيم
فكان ما كـانَ مـن فـتحٍ ومـن عَجَـبٍ ... في عُقْـرِ روميَّـةِ الأوغـاد واللّمَـمِ

۞ ۞ ۞

(١) ديوان " رحلة الأيام " ، ص٩ .

لا غــروَ أنــتم بنــو أُسْــدٍ غطارفــةٍ ففي "جنين" لكم صولاتُ كُـلِّ كمـي
قـد هـالَ أعـداءَنا رايـاتُ مجـدكُم فلــم تقــرّ لهـــم عـــينٌ ولم تـــنمِ
حتـى غلـى بهـمُ حقـدُ القـرون فمـا نسوا صلاحاً ، وذي تكريـتُ كـالأجم
فــأجْمعوا أمــرهم ألا يــروا شُــهَباً في أفـق بغـدادَ تمحـو وحـشةَ الظُّلَـمِ
فــشُهْبُ بغــدادَ لا تُبقــي صــهاينةً في ظلّ مـسجدنا الأقـصى وفي الحـرم

نكبة فلسطين في شعره

الأستاذ صالح شاعر من فلسطين ، عاش قضية شعبه ووطنه منذ كـان طالبـاً في مدرسة جنين الثانويـة وحتـى أصـبح شـيخاً يـدلُف نحـو الثمـانين .. فعاصـر نكبـة ١٩٤٨، ونكبة ١٩٦٧م ، وانتفاضة الشعب الفلسطيني عام ١٩٨٧ ، وانتفاضة الأقـصى وما بعدها .. وعاصر مذبحة المسجد الأقصى وإحراقه ، ومجزرة الحرم الإبراهيمي .. وشاهد ما تعرّض له أبناء فلسطين مـن العنـت والقهـر والـسجن والتعـذيب والقتـل ، وهدم البيوت ، وتجريف الأرض ، وقلع الأشجار ، وغير ذلك من أساليب العدوان .. فتوجّع وتألم ، وعبّر في شعره عن معاناة وهموم هذا الـشعب الـصابر المـرابط ، فكـان شعره وسيلة إعلامية صادقة ، سجّل فيها مشاهداته اليومية في جنين وغير جـنين .. فرثـى الـشهداء الأبطـال الـذين كـسروا حـاجز الخـوف ، ووصـف حـال الأسـرى والمعتقلين، ودعا أمته العربية لإنقاذ الأقصى وفلسطين .. ونظم شعراً يدمي القلوب ، ويهز الضمائر ، ويحرّك الأموات ، ويثير الجبان .. ولكن لا حياة لمن تنادي ! ! !

نظم قصيدة في أواخر عام ١٩٧٧م بعنوان " انصروا الله تنالوا نصره " ، استنجد فيها بصلاح الدين محرّر القدس من الصليبيين ، فقال[١] :

---

(١) ديوان " جهاد وشهادة " ص٨٠ .

قـــمْ صـــلاح الـــدين فـــانظرْ حالـــة الأقـــصى الحـــزينْ
لم تعُـــدْ تخفـــق فيـــهِ رايـــةُ الفـــتح المـــبينْ
دعـــوة الحـــقّ بـــه قـــد لبـــست ثـــوب المنـــون
لم يعـــد منـــبرُكَ الهـــادي تُناجيـــــه العيـــــون
أحرقـــوه بلظـــى العـــدوان والحِقـــــد الـــــدّفين

۞ ۞ ۞

قـــمْ صـــلاح الـــدين أذّنْ لجهـــــادِ المعتـــــدينْ
لـــيس في العُـــرْبِ ســـوى هَمْهمـــةِ الـــنّكسِ المهَـــين
هـــم يَـــرَوْن القبلـــة الأولى بأيـــــدي الكـــــافرين
غـــير أن القـــومَ هـــانوا وارتـــضوا ذُلَّ الـــسّنين
لـــو تـــراهم قـــذفوا الأعـــداء بـــالقول الرّصـــين
لـــو تـــراهم حـــين جـــدَّ الجِـــدُّ ولّـــوْا مـــدبرين

وفي جنين تجمّع فتية التيّار الإسلامي ليلة الجمعة المباركة ١٣ ربيع الأول سنة ١٤١٠هـ الموافق ١٩٨٩/١٠/١٣م ، للاحتفال بذكرى مولد المصطفى ﷺ ، تجمعوا في خلّة الصّوْحَة ، الحي الغربي الجنوبي من جنين ، متحدّين أوامر العدو بمنع التجوّل ، وقاموا باستعراض حماسي ، واستعدّوا لمواجهة العدو بالحجارة والزجاجات الفارغة .. فسمع البغاةُ صوتهم الشامخ ، فهرعوا لمواجهتهم بالسلاح الفتّاك .

وفي الساعة السابعة والربع من تلك الليلة المباركة ، احتفلت السماء والأرض بعرس شهيد بطل من أولئك الفتية المؤمنين ، هو الشهيد البطل " مجاهد شحادة " ، الذي كان يسكن في خلّة الصوحة ، وكان عرساً ليس كأعراس الناس .. إنه عرسٌ ،

شهوده ملائكة الرّحمن ، وأرواح الشهداء ، ورفقاء الجهاد من صحبة الأبرار ، وقلوب المؤمنين ، ودموع المحبين ! !

وقد بدأ موكب عرسه من سور مسجد " عمر بن الخطاب " في خلّة الصوحة .. وعند شجرة زيتونة مباركة خرّ " مجاهد " ساجداً ، يروّيها بدمه الزكي الطاهر ! برصاص غادر من عدو لئيم كامن عند سور المسجد ، مترقباً مجيء الشبّان ! !

وكان دور شاعرنا صالح تسجيل هذا الحدث بقصيدة رثاء لهذا الفتى الشهيد "مجاهد شحادة " ... فقال[1] :

دربُ المجاهد شائكٌ وطويل ... لا يرتضيه العاجزُ المهزولُ
بل يرتضيه مجاهدٌ حمل اللّوا ... والحسنيان خيارُهُ المقبول
فإذا أراد الله نال شهادةً ... وبها الشهيدُ مُكرَّمٌ موصول
أو أن يعودَ مُظفّراً قهرَ العِدا ... ويكرُّ أخرى فالجهاد طويل
فينالُ رضوان الإله بصدقه ... في حرب قوم دأبهم تضليل
لكن منزلة الشهادة هُيّئت ... للمصطفَيْن فليس ثمَّ هزيل
فهو المُقامُ يضم صفوةَ أمّتي ... فمع النّبي شهيدنا المقبول
باع الإله شبابَهُ وحياته ... أبشر "مجاهدُ" فالإله كفيل

۞ ۞ ۞

المسجد الأقصى يئنُّ بقيده ... والمسلمون مخبَّلٌ وذليل
حمل اللواء "مجاهد" وصِحابُهُ ... كيف القُعودُ وإنّه لأُفول
لكنّنا عُزْلٌ وغاصبُ أرضنا ... مَلكَ السّلاح وإنّه لمهول
وسلاحُنا حجرٌ وهمّةُ مؤمنٍ ... ودعاء ربّ الكون والتهليل

---

(١) ديوان " جهاد وشهادة " ، ص٢٤ .

حجـــرٌ يقـــاومُ مـــدفعاً وقـــذائفاً — يـــا للـــشّجاعةِ سـرُّها التنزيـــل
فاعْجَـــبْ لمعركـــة تبـــايَنَ رميُهـــا — رَمْـــيُ الرّصـــاص ورمْيُنـــا ســـجّيل
لا لـن يظـلَّ علـى المَدى جـبروتهم — فـــالله ينـــصُرُ جُنْـــدَهُ ويُـــديلُ

وعندما انفجر بركان الانتفاضة المباركة في وجـه الاحـتلال في ١٩٨٧/١٢/٧م ، لجأ الاحتلال وبشكل هستيري إلى انتهاج شتى صنوف القمع والتنكيـل والعقوبـات الجماعيـة .. وبتـاريخ ١٩٩٢/١٢/١٦م ، قـام بتجميـع أكثـر مـن (٤٠٠) مـن قـادة ورجالات وكوادر حماس والجهاد الإسلامي من السجون والمنازل .. وقام بنفيهم نفيـاً قسرياً عبر الجنوب اللبناني المحتل مساء ١٩٩٢/١٢/١٧ في حافلات حملت المبعـدين معصوبي الأعين وموثوقي الأيدي ومكبلي الأرجل . وكان هذا نوعاً من النفي والإبعـاد الذي يهدف إلى النيل من أكثر الشباب حيوية في صفوف الـشعب الفلـسطيني .. وقـد طال المئات من النخب النضالية والسياسية والثقافية والاجتماعية ..

وإلى هؤلاء الأبطال " فرسان مرج الزهور " الذين سطّروا ملحمة جهادية خالدة أعادت إلى الأمة شيئاً من عزَّتها وكرامتها ، نظم شاعرنا صالح جرار قصيدة بعنوان : " صبراً أحبّتنا " ، قال فيها :

وأنتمُ ،يا ذوي الإيمـان، فاصـطبروا — فالـصّبرُ جنـتُكم في المـوطن العـسر
لعـلّ إخـراجكم مـن قلـب مـوطنكم — هـو البـشير لعـزّ الـدين والظّفـر
قد أُخرج المـصطفى مـن ساح كعبتِـهِ — فكـان إخراجُـه درسـاً لمعتـبر
والله يعلـــمُ أن النّفـــي أعنـــتكم — لكـنّ حكمتَـهُ تخفـى علـى البـشر
وارحمتـاهُ لكـم ، أُبعـدتُم سـخطاً — وذقـتُمُ المُـرَّ مـن بـؤس ومـن ضَـرَرِ
أُبعـدتم عـن تُـرابٍ فيـه مغرسُـكمْ — وغـرسُ آبـائكم في سـالفِ العُـصُرِ
أبعـدتُم عـن غـراس الـدّار وا أسـفا — كيف النَّمـاءُ لهـذا الغـرس والزَّهـر
أبعـدتُم عـن رحـاب القـدس أُمّكُـمُ — بـلا وداعٍ، فعـيشُ الأُمّ في كَـدَرِ

أبعدتمُ عن ثرى الأقصى الذي شرُفَتْ أنحــاؤُه بإمــام الأنجــم الزُّهُــر
شُـدّت إليــه رحــالُ المـسلمين كمــا سُـلّتْ إليــه سـيوفُ الفـتح والظَفـر
فهـل لــه مـن صـلاح الـدّين ثانيـةً؟ وهل له بعد هذا الجـدْب من مَطَـرِ؟!

۞ ۞ ۞

والآن يا إخـوتي ، كونـوا علـى ثقـةٍ مــن أنّ صـبركُم دربٌ مــن الظّفَـر
ونحــن إخــوتكم – والله يحرسُـكم– نبقى على العهـد في يُسْرٍ وفي عُسُر
نــدعو القــدير بأسمــاءٍ لــه عَظُمـتْ ألاّ يُــرى لطغــاةِ الأرض مــن أثــر
وأن يُعيـــدَكُمُ للأهـــل في شمَـــمٍ وتلبس الـدّارُ مـا يحلـو مـن الحِبَـرِ
وأنتِ يا قُدسُ ، يا مسرى النبيّ ، غـداً يُؤذّن النّصرُ في أقصاكِ ، فـانتظري

وفي يوم الجمعة ١١ صفر ١٤٢٢هـ ، الموافق ٢٠٠١/٥/٤م أُصيب ابن شقيقته نصر جرار (أبو صهيب) بعبوة ناسفة مع ثلاثة آخرين على طريق مستوطنة شمال شرق جنين ، فقد انفجرت بهم ، فأحرقت يد " نصر " اليمنى ورجله اليسرى ، وأجزاء أخرى من جسده .. فنظم شاعرنا قصيدة بعنوان " يا نصر " ، قال فيها :

يــا نــصرُ قــلْ للعــزم أن يتكلّمــا عَيــيَ اللّــسان فــلا يجيــدُ تكلُّمــا
يــا نــصر إنّــك في العــرين مجاهــدٌ فلِـواكَ يبقــى في الجهــاد مقــدّما
كـم وقعـةٍ قـد كنـت فـارس سـاحها كـم خطّـةٍ قـد كنـت فيهـا الملـهما
عمــلٌ بــلا قــول ، فتلـك شـريعة نزلـت بهـا الآيـات مـن ربّ الـسّما
صــبراً أخــي فــإنّ أجــرك دائــمٌ صــبراً أخــي فأنــت نلــتَ المغنمــا
فلقـد ظفـرتَ أبـا صـهيب بالرِّضـا بجهــادِكَ المحتــل ذاك المجرمــا
رضــوانُ ربّــك غايــة نــسعى لهــا مهمــا ألمّ بنــا ومهمــا أبرمــا
فاصبر كـصبر الـسّائرين علـى الهـدى مــن قبلنــا كيمــا تظـلّ الأحزمـا

ولشاعرنا قصيدة رثاء نظمها في الذكرى الأولى لاستشهاد زميله في مدرسة الإيمان الأستاذ " نزيه أبو السّباع " الذي استشهد يوم السبت ٢٠٠٢/٢/١٦ بعد خروجه من الحصة الأخيرة في المدرسة ، وذلك عند مروره في الشارع الفرعي بين مسجد النور والحسبة ، فقد أُعدّت له سيارة ملغومة ، فانفجرت به عند وصوله إليها .. يقول شاعرنا في قصيدته :

سكت البيانُ فلا يقولُ قصيدا ... فلقد تلا قولاً أغرّ مجيدا
هو قولُ ربّي في الشهيد وقد نضا ... ثوب الحياة مجاهداً صِنْديدا
لا تحسَبَنْهُ الميْتَ في جوف الثّرى ... فهو الذي مُنِحَ الحياةَ خلودا
هو في مقام الصّدق ينعمُ بالرّضا ... مُتهلّلاً يلقى النبي سعيدا
هو ذا نزيهٌ ، ثم قيسٌ بعدَهُ ... وأبو صُهيبٍ ، قد لقوا الموعودا
هو ذا نزيهٌ ، والصّحابُ جميعهُم ... أفلا ترى عِقداً أغرّ نضيدا؟!
حبّاتُه الشّهداءُ في ساح الوغى ... والحمزةُ المغوارُ زان الجيدا

۞ ۞ ۞

فلئِن بَكَتْ عيني نزيهاً ، إنها ... تبكي الوفاء وفعلَهُ المحمودا
تبكي مُحيّا أشرقتْ قسماتُه ... كشروق إيمان يُظِلُّ سجودا
تبكي رفيقاً في أداء مهمَّةٍ ... في معهد الإيمان يقطُر جودا
ما إنْ ترجَّلَ عن جواد عطائِه ... حتى ارتقى عرش الجِنان خلودا

شاعرٌ أبّ

تحدّثنا عن مجالات عديدة نظم فيها صالح شعره .. وما أكثرها وما أوقعها في النفس .. والآن جاء دورنا لنستمع من هذا الشيخ الوقور ، المؤمن بقضاء الله وقدره ، إلى شعره الذي نظمه بعد اعتقال ولده إسلام ..

إنّ حديث شاعرنا عن ولده إسلام حديث طويل .. طفلاً ، ويافعاً ، وشابّاً ، والذكريات عن هذا الابن حلوها ومرّها عديدة في المنزل وفي كل مكان حلّ فيه وكل بقعة شهدت آماله وآلامه .. فإسلام شابٌّ في مقتبل العمر ، وفي ريعان الشباب .. شاب نشأ وتربى في بيت التزم الإسلام عقيدة وسلوكا ومنهجاً في الحياة ، فكان نعم الابن لأب أديب صالح ..

هذا هو إسلام .. شاب مؤمن خلص إيمانه من كل شائبة ، وتحرّرت نفسه من كل خوف .. شابٌّ وطّن نفسه على الصبر والتضحية ، وثبت على طريق الحق ، وأقبل على سلعة الله الغالية ، وأخلص النّية وربأ بنفسه أن يكون مع الغاوين .

وقضى الله سبحانه بأن يقع إسلام أسيراً في أيدي الأعداء الصهاينة ، وذلك في ٢٠٠٢/٨/١٦م .. أما والده الوقور ، المؤمن الصابر ، الذي لا يعرف اليأس ، وإنما ينتظر إشراقة الفجر ، فقد احتسب وصبر . ولما اشتد به الحنين إلى ولده الأسير ، وإلى إخوانه من الشباب الذين دافعوا عن وطنهم وأمتهم ، نظم قصيدة بعنوان "حصاد عُمْر" ضمّنها نجاوى فكره ، وذوب نفسه المحترقة . فكانت هذه القصيدة تعبيراً عن خلجات نفسه ، وتصويراً لومضات مشاعره وصدق عاطفته .. يقول فيها :

مَنْذا الذي تبكيه بعد فراقِهِ؟ ... مَنْذا الذي ابيضّت له العينان؟!
منذا الذي ودّعت بعد غيابه ... طِيبَ الحياةِ ، وعزّة السلطان؟
منذا الذي قد غاب بعد رحيله ... صِدْقُ الوفاء، ومَنهلُ الظّمآن؟
منذا الذي يفديه كلُّ مجاهدٍ ... بالرّوح كي يبقى على الأزمان؟

هوَ أنتَ يا وطني ، ومعقِلَ عزّتي		هو أنت يا أقصى ، وقلبَ كياني
كم من شهيد قد قضى من أجلِهِ		كم من جريحٍ خرّ كالبنيان
ومُهَجّرٍ حُرِمَ الحياة بأرضه		ومشرّدٍ قد تاه في البلدان
كم مِن أسيرٍ راسفٍ بقيوده		قد خانه الأوغادُ في الميدان
حمل الأمانةَ في الجهاد وإنّهُ		يبغي حياةً للثّرى الظمآن

۞ ۞ ۞

وقال فيها :

أتُرى تعودُ إليَّ إسلامَ النُّهى		ببشاشةِ الوجهِ الجميل الهاني ؟
أتعودُ يا إسلامُ تروي سمْعَنا		بنَدَى الحديث وطُرفة الشُّبان ؟
أتعودُ تمسحُ بالحنان جراحنا		أتعودُ تُبْصِرُ بَدْرَكَ العينان
أتعودُ كلُّ الذّكريات حقيقةً		وتُنيرُ بالحُبّ الجميل كياني
أنا بالسّنين الغابراتِ مولّهٌ		إذ أنتمُ في الحِضن نبضُ جَناني
أنا بالعهود الخالياتِ مُتيّمٌ		والوُلْدُ حولي، والحَنينُ عناني
حتى قضى الدّيّانُ أن نشقى بهم		فأصابهم سهمُ الزمان الجاني

۞ ۞ ۞

منذا سِواكَ إلهنا يَهَبُ المُنى		منذا يخلّصنا من العُدوان
لاهُمَّ قد ماتَتْ شهامةُ ساسةٍ		من مسلمينَ ويَعْرُب الخُذلان
لم يبقَ إلاّكَ الرّحيمُ فهبْ لنا		نصراً يعزُّ به ذوو الإيمان

وبعد مرور سنتين تقريباً من اعتقال إسلام حكم عليه الصّهاينة الحاقدون بالسجن تسعة مؤبّدات وفوقها سبع سنين ، وذلك في ٢٠٠٤/٨/١٣م .. فنظم الوالد الحزين قصيدة بعنوان " إلى ولدي الحبيب إسلام " فجاءت تصويراً صادقاً لمشاعر

أُبُوّة، تنفذ إلى أعماق النفس مع يسر التعبير وجمال التصوير .. فكانت تصويراً لفتراتِ حياة عاشها ، ونبضات قلب سجّلها ، وومضاتٍ عاطفية غمرته ، وفاضت على كل أب عاش هذا الشعور .. وكانت تجربة قاسية خرجت به من حدود الذات إلى أبناء المجتمع الذي يعيش فيه .. فكأنه حين خاطب ابنه إسلام ، ناصحاً ومرشداً ومُسدّداً ، إنما خاطب كلّ ابنٍ نيابة عن كل أبٍ .. فقال :

أنا ما ولدتُكَ ، يا بُنيَّ ، لكي تُعذَّب في السّجونْ ! !
أنا ما ولدتُكَ ، يا بُنيَّ ، لكي تزيدَ ليَ الشّجون ! !

* * *

أنا ما غرستُ الوردَ في الأحشاءِ كي أجنيه شوكا ! !
أنا ما حَيَيْتُ العيشَ في البستانِ كي أحياهُ ضنكا ! !

* * *

كيف الطّيورُ تطيرُ، يا ولدي ، ولم تُؤتَ الجناحا؟
أنت الجناح،بُنيَّ، للشيخِ الذي لقيَ الجراحا !
مَنْ لي لُمرِّ العيش . يا إسلامُ؟هل ألقاكَ شهْدا؟
مَن لي إذا هوجُ الرّياح تَهُبُّ ؟ هل ألقاكَ سَدّا ؟

* * *

إنّي انتظرتُ شبابك الرّيّانَ ، يا إسلامُ ، دَهْرا
كيما أرى في روضك الأطيار تغريداً وذكرا



لكـنّ ذا الحلـم الجميــل ، مـع الـشروق ، تبخّــرا
يــا أيهــا الحلـمُ الجميــلُ ، ألا تعــودُ مُبــشّرا ؟!

۞ ۞ ۞

أنا في انتظـارك ، فلْتعُـدْ بـدراً يُـنير لـيَ الطريـقْ ! !
أنا في انتظارِك، فلتكُن حبـل النجـاةِ لـذي الغريـق! !

۞ ۞ ۞

وإذا أراد الله أمـــــراً لا مَـــــرَدَّ ولا هُـــــروبْ
نحـن العبـادُ ، ورحمـةُ الـدّيّان ترجوهـا القلـوبْ! !

۞ ۞ ۞

يــا ربّ فــرّجْ كربَنــا ! وارْحَــم إلهــي ، ضــعفنا
أحــسنْ خــلاصَ أحبّــةٍ فهــمُ منــائرُ دَرْبنــا ! !

ولما سُمح له بزيارة ولده إسلام لأول مرة في سجن جلبوع ، يوم الأربعـاء الأول من محرّم ١٤٢٦هـ الموافق ٢٠٠٥/٢/٩م ، نظم له قصيدة قال فيها :

وأطـلّ إطـلال الرّبيـع بوجهــه الحــسن الجميــلْ
تــتلألأ الأنــوارُ فيــه فــلا غــروب ولا أفــولْ
مــا هــذه الأنــوار تــشرق رغــم عــدوان وبيــلْ
هــي شمـس إسـلام البطولـة ، شمـس إيمـان أصـيل
هــي شمـس مَـنْ قهـر الظـلامَ بدرْبـه النّكـد الطويـل

هــي طلعــة رقــصت لهــا الأشــواق في الحلــم الجميــل
وجـــهٌ توضّـــأ مـــن عـــبير الـــذّكر فاتّـــضح الـــدّليل
هـــذي ســـبيل الحـــقّ للأحـــرار لا تـــسمع لقيـــل
مـــن رام علّـــيين فلْيـــسلُك كمـــا ســـلك الرّســـول

۞ ۞ ۞

أبُـــنيّ ، لا تحـــزن فهـــذا الكـــرب آخـــره ظليـــل
أبُـنيّ ، لا نـدري تقـادير الإلـه ولا خيـار ولا بـديل
فلتَـــصْبرَنّ علـــى قـــضاء الله فـــالأجر جزيـــل
أبُـــنيّ ، إن عـــزّ اللقـــاء ففـــي النّعـــيم لنـــا مقيـــل
فهنـــاك نـــسعدُ باللقـــاء الحلـــو في كنـــف الجليـــل
لكـــنّني أدعـــو الإلـــه لقاءَنـــا قبـــل الرّحيـــل

قصائد مختارة من شعره

١

إيه يا أقصى

المسجد الأقصى .. مسجد مبارك تُشدُّ إليه الرّحال ، فهو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .. أرضه أرض رباط ، قضى الله سبحانه وتعالى بتقديسها ، وبارك فيها وفيما حولها .. هذا المسجد أكرمه الله تعالى بكرامات لم يُكرمها مسجداً غيره .. فمن صخرته الشمّاء عرج رسولنا ﷺ إلى السّماء ، وعلى أرضه المباركة أمّ محمد ﷺ الأنبياء ، وفي أروقة الأقصى وساحاته أقام الصحابة دروسهم وحلقاتهم لنشر الإسلام في بلاد الشام ، ومن السّنن الجليلة التي دأب الصحابة على القيام بها ، الإكثار من زيارة الأقصى ، والإهلال منه بعمرة ..

هذه الأرض المباركة تآمر عليها الأعداء على مرّ الأيّام والسنين .. وفي عام ١٩٦٧م وقع الأقصى أسيراً في يد يهود ، فعاثوا في حرمه الفساد ، وقاموا بإحراقه ، وأخذوا يتآمرون لهدم بنيانه لإقامة هيكلهم المزعوم ..

وكان للشعراء الإسلاميين دور محمود في الدّفاع عن هذا الصرح المقدس ، وإثارة الهمم لإنقاذه .. ومن هذا الدور قصيدة شاعرنا صالح التي نظمها في ١٩٩٠/٥/٢١م ، بعنوان : " إيه يا أقصى "

أبيات القصيدة (١)

إيـه يـا أقـصى فمـا أقـسى البليّـة فَنُيـوبُ الغَـدر مـا أبقـت بقيّـهْ
عَجَـزَ الـوحشُ عـن الـبطش الـذي مارسـسَتْه طَغْمـةُ الخَـصم الدّنيـهْ
طُغَمــةُ الكفــرِ الـتي مـا عَرَفـت غـير أحقـادٍ علـى خَيَـرِ البريّـهْ
أرْجَعَــت عهــدَ "هُلاكــو" لابــساً كــلَّ زيــفٍ مِــن خــداعِ المدنيّــه
زرعوهــــا في فلـــسطين وهـــل يَــزْرع المجــرمُ إلاّ الهَمَجيّــهْ ؟
هـــم أقاموهـــا علـــى أشـــلائنا فتمزّقْنــا ، ومِــن غــيرِ هَويّــهْ
ســـرطانٌ هـــيَ في مَقدِسِـــنا يَبْعــثُ الهــولَ وأطيــافَ المنيّــهْ
آخـــذٌ في المـــدِّ لا يوقِفُـــهُ أيُّ طـــبٍّ في القـــصورِ العربيّــهْ
فقُــصُورُ العُــرْبِ غــشّاها الخَنــا فتباهـــتْ بهَـــوان التَبعيّـــهْ
مَــلأتْ أيامَهــا – يــا ويليهــا– بفجـــورٍ وفُـــسوقِ الجاهليّـــهْ

۞ ۞ ۞

إنّ هـــذا الـــدّاءَ لا يَحْـــسِمُهُ غــيرُ طِــبٍّ يــصْنَعُ الـنّفْسَ الأبيّــهْ
إنّـــه القُـــرآنُ يَـــبْني أمّـــةً تــسْحَقُ الباطــلَ والــنّفس الغويّــهْ
إنّـــه القـــرآنُ يُعلـــي رايـــةً لــبني الإسـلام في القـدس الـشجيّهْ
فـــأجيبوا داعـــيَ الله لكـــي تــصنعوا النّــصرَ وأمجــاداً عليّــهْ
اسـألوا التـاريخَ عـن عـزٍّ مَـضى فعـــلامَ اليـــومَ ترضَـــون الدنيّـــهْ
فـاخلعوا يـا قـوم ، أثـوابَ الخَنـا والْبـــسوا للعـــزِّ أثوابـــاً نقيّـــهْ
لا تكونـــوا مِـــن هـــوانٍ وتـــداً لا تكونــوا لــبني الكفــرِ مَطيّــهْ

۞ ۞ ۞

(١) ديوان " جهاد وشهادة " ، ص٦١ – ٦٥ .

أيّهــا الــساسةُ مــن أمّتنــا … طُغْمــةُ الكفــرِ ، ذئــابٌ بَــشَريّهْ
أنْـــشَبُوا المِخْلـــبَ في أحـــشائِنا … ثــم هــاجوا بــرؤوس بَرْبَريّــهْ
خَلَـــتْ الـــسَاحة مـــن مُعتـــصمٍ … يَــدفعُ المكــروه عــن طُهْــرِ الزّكيّــهْ
غـــيرَ فتيـــان تنـــادوا للفـــداء … وبأيـــديهم كتـــابٌ وَوَصـــيّهْ
لـــيس في الجُعْبـــةِ إلاّ حجـــرٌ … تقــذفَ الخــصمَ بــه كــفٌّ أبيّــهْ
فاســألوا غــزّةَ عــن جيــلِ الفــدا … في فلـــسطينَ وأرضٍ مَقْدســـيّهْ
اسْـــألوا كُـــلَّ بـــلادي عـــنهمُ … فهــمُ الرايــةُ في جيــلِ القــضيّهْ
بـــذلوا الـــرُّوحَ ليحيــا شــعْبُنا … في ظِــلالِ العــزِّ والأرضِ الــسخيّهْ

۞ ۞ ۞

أيّهـــا الـــساسة مـــن أمّتنـــا … هل سَمِعْتم صَرْخة الأقصى العليّـهْ
إيــهِ يــا أقــصى ، فهــل أسْـمَعتَهُمْ … شَــهْقةَ الطفــلِ علــى صَــدْرِ الوفيّــهْ
إيـــهِ يـــا أقـــصى فهـــل حَـــدّثتَهم … عـــن ضـــحايانا وأجيـــال فتيّـــهْ
إيــهِ يــا أقــصى ، فهــل خَبّــرتَهُمْ … كيــف قــادَ العِلــجُ للــسِّجنِ صــبيّهْ
إيـــهِ يـــا أقـــصى ، فهـــل أنبـــأتَهُم … كيــف ذاقَ الأهــلُ ألــوانَ المنيّــهْ
كــم ألــوفٍ جُرِّعــوا كــأسَ الــردى … بيــدِ الأوغــاد ، أشــرارِ البريّــهْ
وبيـــوتٍ أُخْمِـــدَت أنفاسُـــها … بيــدِ الإجــرامِ ، يــا هــولَ البليّــهْ
يـــا لهـــا مجـــزرةً قـــد صَـــعَقتْ … كُـــلَّ راءٍ بعيـــون الآدميّـــهْ
أيُّ صَـــخْرٍ صـــنع القلـــبَ الـــذي … رضـــيَ التمزيـــق للـــنفْسِ الزكيّـــهْ
أيهـــا المجـــرم لـــن تنجـــوَ مِـــن … قبـــضةِ اللهِ وأبنـــاءِ القـــضيّهْ
لـــك يـــوم فيـــه تجـــني علقمـــاً … ونجازيـــك علـــى قـــدْرِ الرّزيّـــهْ

٢

تعلّموا المجد من أحجار فتيان

المتتبّع لحركة أمّتنا عبر تاريخها الطويل يلاحظ أنّ قوّتها الكامنة تظهر على شكل انفجارات عاصفة تعصف بحالات الوهن والإعياء ، وتلقي عن كاهلها أشكال الظلم والاستبداد .. وهذه الميزة في الأمة الإسلامية لا تتوافر في غيرها لارتباطها بكتاب الله تعالى وقدرته المعجزة على بعث الحياة في موات النفوس ..

هذه القوّة الكامنة ظهرت في أرض الإسراء والمعراج ، عندما قامت الانتفاضة العارمة والثورة الشاملة التي شهدتها ساحة الصراع في أرضنا المباركة .. فكانت ثورة شاملة أيقظت النيام وحركت الغافلين ، وهزّت من نكصوا على أعقابهم وغدروا بالقضية .. هذه الثورة انطلقت من عرين غزة ، وعلت صيحتها فوق صخرة القدس ، وتأججت نارها في جبل النار ، وثارت ثائرتها في مثلث الرّعب ، وعمّت أرجاء فلسطين من أقصاها إلى أقصاها .. ثورة خطّط لها العلماء ، وقادها الشباب ، وأشعل فتيلها الفتيان ، وهتف لها الشيوخ ، وزغردت لها النساء .. إنها عزيمة من عزمات الإيمان ، وحالة من حالات النضج الجهادي الذي هو نوع من التجديد لشباب الأمة..

وهذه القصيدة نظمها الشاعر صالح جرّار – ابن جبل النار – في ١٩٨٨/١٠/١٥م، ووجهها إلى فتيان الحجارة الذين فجّروا هذه القوّة ، وسطروا أسطورة المجد لأمتنا في هذا الزمان ، وردّوها إلى نهجها الأصيل ، وقادوها نحو غايتها النبيلة .

أبيات القصيدة [1]

تلفّـت الـدهرُ في زهْـو فحّيـاني ... أنـا المـدافع عـن ديـني وأوطـاني
وراح يَنْظُـرُ في سِـفْرِ الخلـودِ فمـا ... تبـيّن الـدهرُ فيـه غـيرَ عُنـواني
عنـواني القمـة الـشَّمَّاءُ تعْـشقهُا ... كـلُّ النـسورِ! فَمـن يرضـى بقيعـانِ
قـد سـطَّر الـدهرُ عنـواني وزّينـهُ ... بهالـةِ النـورِ مـن آيـات قـرآنِ
حروفُـهُ مِـن دَمِ الأبطـال قـد كُتبـتْ ... هل يُكتـبُ المجـدُ إلاّ بالـدمِ القـاني

۞ ۞ ۞

يـا مَـن تُـؤرِّخُ أمجـادَ الـشعوب ألا ... تُلقـي عـصاكَ لـدى ثـورات بركـاني
فـالظلمُ فجّـر بركـاني وأطلقَـهُ ... كيف السكوت على تحطيم أركـاني
كـم عـشتُ في بلـدي حُـرّاً بـلا كـدَر ... أعـانقُ النـورَ في حقلـي وبُـستاني
حتـى أتـتْ دُولُ الطغيـان تـسلبُني ... حـقَّ الحيـاة علـى أرضـي وبُلـداني
وتـدّعي أنّهـا للحـقِّ حارسـةٌ ... مَـن ذا يـصدِّقُ قـول الظـالم الجـاني
فذي بلادي ، بقهر الحقّ ، قد سُلِبتْ ... وسـلمّوها لـشذاذٍ وقُرصـانِ
يـا وَيلـهم مَزّقـوا أهلـي ومـوطنهم ... والعـرْبُ لا هـون في أكنـاف شيطانِ

۞ ۞ ۞

هذي فلسطينُ نـارَ البغـي تُحرقُهـا ... أمالهـا نجـدةٌ مـن غيـثِ عـدنانِ
عـاد التتـارُ ولكـن لا أرى قُطـزاً ... هـل أقفـر العُـرْبُ مـن راعٍ لأوطـاني
يـا ليـتَ معتـصماً بـالله تبلُغُـهُ ... هـذي النـداءاتُ مِـن أُمٍّ وفتيـانِ

---

(١) ديوان " جهاد وشهادة " ، ص٨ — ١٣ . .

يا ليتَ فينا صلاحَ الدينِ ممتطياً خيلَ الجهادِ لفكّ المسجدِ العاني
ما بالُ قومي قد سدّوا مسامعهمْ واغمضوا العينَ عن إنجادِ إخوانِ
ما بالهم فقدوا ميراثَ نخوتِهم فاستعذبوا العيشَ في ذلٍّ وطُغيانِ

۞ ۞ ۞

لا تدّعوا أنَّ سيفَ البطشِ أفسدكمْ فدونكم في بلادي ألف برهانِ
هذي انتفاضة شعبي ذروة شمختْ تَرَبَّع المجدُ أعلاها بسلطانِ
تلك البطولات في الأقصى وجيرتهِ هلاّ رفعتم لها راياتِ عرفانِ
من ذا رأى الفتية الأبطال تدهمُهمْ عصابةُ الهُودِ من قاص ومن دان
مُدَججين سلاحَ الفتك تأكلهم نارٌ من الحِقد تشبو مُنذُ أزمانِ
لكن فِتْيتنا الأبطال في هِممٍ مثلُ الجبالِ ، فإنَّ العزمَ ربّاني
فتيانُنا في حِمى الرحمان ثورتُهم شتّانَ ما بين رحمانٍ وشيطانِ

۞ ۞ ۞

سلاحُهم حجرٌ من قُدْسِ أرضِهِمُ وساعدٌ قد نما في ظِلِّ إيمانِ
يا للحجارةِ ترميها سواعدُهم فتستحيلُ كمقذوفات بُركانِ
تناوبوا الرميَ حتى كنتُ أحسبُهم طيراً أبابيل ترمي جيش عدوان
هذا يُلوّح بالمقلاع منتظراً جمعَ اليهودِ فيرميهم بإتقانِ
وهذه امرأةٌ من فوق منزِلها تفاجيءُ الهودَ إن لاذوا بجدرانِ
وذا فتىً في زُقاق الحيِّ مرتقبٌ بالمولوتوف لحرق الخصم والجاني
أين التفتَ رأيتَ الشعبَ منتفضاً مثلَ النسورِ !! فهل نسرٌ كبغثانِ
هذي فلسطينُ قد ماجتْ مدائنَها وذي قُراها تبدّت مثلَ طوفانِ
فسلْ "جنين" وسل شتى شوارِعها كم من شهيدٍ قضى في صدِّ عدوانِ

وسائل القدس أقصاها وصخرتَها وغــزّةَ الأمَّ عـــن أمجـــاد شُــبّانِ
وطـفْ بنـابُلُسٍ وأذكـر بلاطتَهـا كــذا الخليـلُ ومـا ضّـمتهُ أوطـاني
فيهـا العجائـبُ يرويهـا لكـم حَجَـري فيهـا البطـولات هـزّت كُـلَّ طُغيـانِ
أحجارُنـا بجنـاحِ الحـقِّ نَطْلقُهـا فـأين مـن حَقِّنـا أهـواءُ شـيطانِ
أحجارُنـا بـاركَ الرحمـان رميتَهـا وَرَمْيَـةُ الحـقِّ تعلـو كُـلَّ بُهتـانِ
فقل لمن يـدّعي الأمجـادَ من عَـرَبٍ تعلّمـوا المجـدَ مـن أحجـار فتيـانِ
فحّبـذا المجـدُ تبْنيـه سـواعدُنا وتعتلـي فوقَـهُ رايـاتُ قُـرآنِ

قصائد مختارة من شعره

٣

في ظل الحضارة الزائفة

إننا نعيش في زمن طغت فيه حضارة الغرب على حضارة الإسلام .. حضارة الغرب التي تعتمد المادة أساساً لقيمها ، وتهتم بتغذية الجسد والنّفس ، وتنحرف بهما إلى المتع والشهوات .. أما حضارة الإسلام فتقوم على التوازن بين حاجات الرّوح والجسد والعقل ، وتعتبر الطهارة ، وتزكية الأنفس ، وتهذيب الأخلاق أُسُساً رئيسية من قيمها ..

وشاعرنا صالح الذي عاش حياته معلّماً ومربيّاً وموجّهاً للشباب ، كان له دور كبير في توجيه الأجيال التي درّسها وربّاها على الفضيلة وغرس فيها الأخلاق القويمة .. ومن توجيهاته الكريمة ، هذه القصيدة التي نظمها في ١٩٨٦/١/١٤م ، لتنبيه المسلمين إلى شرور هذه الحضارة الزائفة ..

أبيات القصيدة [١]

هذي الحضارةُ في أدنى معانيها ... تعطي الجسومَ وتنسى جوهرا فيها !
تُقيمُ للجسم سلطاناً وهيمنةً ... وتنبري لعذاب الروح تشقيها !
وآزرتْها نفوسٌ ضلَّ هاجسُها ... فزيّنت في دهاءِ سُوءَ حاديها !

وشِقوةُ الناس ، مُذْ كانوا ، نفوسُهُمُ ... تؤُزُّ أجسادهم شرّاً فتُرْديها !
بئس الحياةُ إذا كانت توجّهُها ... تلك النفوسُ ، وقد نامت نواهيها !
فتستحيلُ حياةُ الناس مجزرةً ... ويمخُرُ الشرُّ في شتى نواحيها !



(١) مجلة الأدب الإسلامي – العدد التاسع عشر – ١٤١٩هـ ، ص٩٦ وديوان " رحلة الأيام " ، ص١٩-٢٣ .

يا حسرتاه على الإنسان قد عَمِيَتْ منه البصيرةُ وامتدتْ غواشيها!
يعمى عن الرشد في القرآن وا أسفا!! ويُبصر الغيَّ في دنياه تنزيها!
سَمّى الفواحشَ فنّا من سفاهته وراح يسفك طُهْرَ الغيدِ حاميها!
وأين ما كان من أخلاق مؤمننا يروي طهارتَها التاريخُ تنويها؟!
وأين أجنحةٌ طِرنا بها شُهُبَاً فدانت الأرضُ قاصيها ودانيها؟!
أين الأُلى حملوا القرآن في رَشَدٍ فعمَّ نورُهُمُ الدنيا وما فيها؟!
همُ الأباةُ، وربُّ الكونِ أرسلهم ليغسلوا الأرضَ من أدران طاغيها!
شقّوا الطريق، ونورُ الله مرشدُهم وسُنّةُ المصطفى تجلو خوافيها!
هذا قتيبةُ،شرق الأرض حرّرهُ! وطارقُ الفتحِ ،أرض الغرب يهديها!
حتى استقام لهم ما شاء ربّهُمُ من الأمور! !تعالى الله مُجريها!

۞ ۞ ۞

فأين نحن من الماضي المجيدِ؟وهل صُنّا الأمانةَ؟أم ضاعت غواليها؟!
خُنّا الأمانة والأخلاق وا أسفا!! فاجتاح دولتَنا الإعصارُ مُنْهيها!

۞ ۞ ۞

لو غيّر القومُ ما في النفسِ لانكشفتْ هذي المفاسدُ،وانجابت طواغيها!
وبُدّلوا بهبوط العيشِ أجنحة تسمو بأمّتِنا،والله راعيها!!
فبالصلاحِ يظلُّ القومُ في شمَمٍ!! وبالذنوب يُذِلُّ الله جانيها!!

المصادر والمراجع

٦- ديوان شعر بعنوان " رحلة الأيام " ، ١٩٨٩م .
٧- ديوان شعر بعنوان " جهاد وشهادة " ، ١٩٩٠م .
٨- مجموعة شعرية مخطوطة ، نشرها في عدد من الصحف .
٩- رسالة شخصية من الشاعر إلى المؤلف في ١٩٩١/٨/٤م .
١٠- مجلة الأدب الإسلامي – العدد التاسع عشر ١٤١٩هـ .

عبد الرحيم محمود

(١٣٣١ - ١٣٦٧هـ) (١٩١٣ - ١٩٤٨م)

* تقديم
* حياته ونشاطه
* شعره
* شعره الوطني والسياسي
* شعره الديني
* شعره الاجتماعي والإنساني
* آثاره الأدبية
* قصائد مختارة من شعره

تقديم

الشاعر الأديب عبد الرحيم محمود .. مجاهد تربّى على حب الدين والوطن منذ نعومة أظفاره ، وعايش الأحداث الدامية التي شهدتها فلسطين منذ أن حل بها بلاء الاستعمار إلى أن وقعت فريسة بأيدي يهود .. كانت حياته سلسلة مضطردة من العلم والعمل والجهاد .. جاهد بالكلمة والتربية ، وثار على الظلم والاستعمار.. فكان رمزاً من رموز البطولة والتضحية والفداء في منطقة جبل النار..

كان أديباً وشاعراً موهوباً ، وبطلاً من أبطال الكفاح الصادقين الذين ربطوا الكلمة بالجهاد ، والقصيدة بالبندقية .. إلى أن سقط شهيداً في ميادين القتال .

حياته ونشاطه

ولد الشاعر عبد الرحيم محمود في بلدة عنبتا – قضاء طولكرم بفلسطين سنة ١٩١٣م ، ونشأ في أسرة اشتهرت بالعلم والفقه ، فأبوه الشيخ محمود عبد الحليم عالم أزهري من علماء الفقه واللغة الذين عرفوا بين الناس بالتدين والتقوى .

درس علومه الابتدائية في بلدته عنبتا ، وأتمها في مدرسة طولكرم سنة ١٩٢٩م ، وتابع تحصيله العلمي في كلية النجاح الوطنية بنابلس . وأنهى المرحلة الثانوية فيها سنة ١٩٣١ . والتحق بمدرسة البوليس الفلسطينية في بيت لحم لمدة عام واحد (١٩٣١–١٩٣٢) وعمل في سلك الشرطة ، ثم استقال من الخدمة ، نظراً لرفضه الإذعان لأوامر مدير البوليس البريطاني الرامية إلى ملاحقة الثوار . وعاد إلى نابلس عام ١٩٣٣م ، وعمل مدرساً لمادة الأدب العربي في كلية النجاح الوطنية ، وساهم في إذكاء الروح الوطنية و كرْه الاستعمار لدى الطلاب . وظل في عمله هذا حتى أواخر عام ١٩٣٧م .

ولما انطلقت شرارة الثورة الفلسطينية الكبرى سنة ١٩٣٦ شارك في أحداثها منذ البداية . وفي سنة ١٩٣٧م انخرط في فصائل الجهاد تحت قيادة القائد "عبد

الرحيم الحاج محمد" وأصبح قائد فصيل . وبعد توقف الثورة سنة ١٩٣٩م طورد عبد الرحيم مع رفاقه المجاهدين من قبل حكومة الانتداب ، فغادر البلاد إلى دمشق ثم إلى بغداد ، وهناك اتصل بسماحة الحاج أمين الحسيني الذي ساعده في دخول الكلية العسكرية ببغداد ، فمكث فيها عاماً واحداً حيث تخرّج فيها برتبة ملازم ثان عام ١٩٤٠م . وعمل مدرساً في مدرسة "المقام بالبصرة" في عام ١٩٤٠-١٩٤١م ، وكان له في تلك المدرسة نشاط وطني بارز .. يقول المستشار الشيخ عبد الله العقيل الذي كان تلميذاً في مدرسة المقام في ذلك الوقت عن هذا النشاط[1] : "كان عبد الرحيم محمود مشرفاً على طابور النظام الصباحي في المدرسة ، فكان يقدّم الطلاب لإلقاء الخطب والقصائد الحماسية ، سواء من نظمه أو نظم غيره ، وكلها تحث على الثورة على الاستعمار البريطاني ، وتحرير أوطان العروبة و الإسلام من سيطرة النفوذ الأجنبي ، وكان يكره الإنجليز واليهود كرهاً شديداً ، فلا تخلو قصائده وكلماته ، بل وحتى دروسه العربية وأمثلته النحوية من غمزهم بالسخرية بهم وإيغار القلوب ضدهم . وكثيراً ما كان يقدّمني في طابور الصباح لإلقاء كلمة أو إنشاد قصيدة ويطلب مني إعادتها لإثارة حماس الطلبة ، ويضيف عليها من شعره ما يلهب المشاعر ..

ولما غادر المدرسة ترك غيابه عنها فراغاً كبيراً جداً ، وتأثر الطلاب على فراقه غاية التأثر ، فقد كان محبوباً من الطلاب والأساتذة لصراحته وصدقه وإخلاصه وتدينه وصلاحه وتقواه وشجاعته وغيرته ومروءته" .

ولما قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق في منتصف عام ١٩٤١م التحق عبد الرحيم محمود بالثورة .. وعندما فشلت الثورة عاد إلى فلسطين قاطعاً الصحراء العراقية السورية ، وانخرط في سلك التعليم ثانية ، فعمل مدرساً للغة العربية

---

(١) المستشار عبد الله العقيل : من أعلام الحركة الإسلامية ، ص٢٥٨ .

والتاريخ العربي في كلية النجاح الوطنية بنابلس . وكانت فترة ١٩٤١-١٩٤٧ من أخصب سنيّ حياته ، حيث نضجت شاعريته .

وبعد قرار تقسيم فلسطين أواخر عام ١٩٤٧م ، واندلاع الجهاد مجدداً عام ١٩٤٨م قدّم استقالته من التدريس و ترك كلية النجاح ، والتحق بجيش الإنقاذ ، وتولى قيادة سرية من سرايا فوج حطين ، وخاض مع إخوانه الثوار معارك ضارية ضد اليهود في منطقة طولكرم والرملة والناصرة .. وفي معركة الشجرة يوم ١٩٤٨/٧/١٣م أصابته شظية من شظايا قنابل اليهود في عنقه ، فنال الشهادة ، ودفن في مدينة الناصرة .. وترك الشهيد تاريخاً مسطراً بالدماء ، وسيرة عطرة مليئة بالإخلاص والوفاء لأرض الإسراء والمعراج .. وفي حفل تأبين أُقيم له عام ١٩٥٦م، أبّنه الدكتور إسحاق موسى الحسيني في احتفال عام ، فقال : "أطأطئ رأسي مرة أمام شعرك ومائة مرة أمام دمك الزكي الذي بذلته في سبيل الوطن الغالي" [(١)] .

ولو قال : أرفع رأسي فخراً مرة ... ومائة مرة ... لكان أفضل ، ولكان أقرب إلى روح العزة التي يغرسها الإسلام في نفوس رجاله . أما الانحناء وطأطأة الرأس فهي دخيلة على أدبيات المسلمين تسللت إليهم من أدبيات الغرب !

شعره

كان عبد الرحيم محمود يتيمز بشاعرية فذة صادقة ، غذّتها عوامل كثيرة نفثت في شعره سحراً أخاذاً وبياناً رائعاً كان ومازال يبعث الإعجاب في نفس كل من يقرؤه ويطّلع عليه .. وفي مقدّمة هذه العوامل :

١- الموهبة الفطرية : والتي ظهرت في بواكير حياته ، وهو مازال طالباً في كلية النجاح الوطنية ، مما كان يلفت إليه الأنظار من مدرّسيه وزملائه ، فكان محط

(١) د. عز الدين مناصرة : مشروع الأعمال الكاملة للشاعر عبد الرحيم محمود .

إعجابهم جميعاً .. وقد أخذت هذه الموهبة الشعرية تكشف عن نفسها -فيما بعد- بقصائده الرنانة التي قالها في الأغراض المختلفة .

٢- بيئته العلمية ودراسته : عبد الرحيم محمود من أسرة اشتهرت بالعلم والفقه والشعر ، فوالده الشيخ محمود عبد الحليم كان عالماً وشاعراً ، عمل بالقضاء الشرعي والتفتيش والمحاماة .. ولا شك أن هذه الأسرة التي عاش عبد الرحيم في كنفها قد أثّرت فيه تأثيراً بالغاً ، وجعلته ينحو بشعره منحى وطنياً ذا نكهة خاصة..

أما دراسته فقد تلقى تعليمه وثقافته في مدارس عنبتا وطولكرم ، وأتم المرحلة الثانوية في كلية النجاح بنابلس .. وقد كانت المناهج الدراسية في فلسطين في عهد شاعرنا على درجة كبيرة من القوة والتنوع ، فقد غرست تلك المناهج في نفوس الطلاب حب العلوم والآداب ، وحبّبت إليهم تراثهم العربي و الإسلامي ، فعشقوا وطنهم وشعروا بانتمائهم الصادق إليه ، في حين توفر لكلية النجاح الوطنية نخبة من الأساتذة الأكفاء من أمثال الشاعر إبراهيم طوقان ، والشاعر محمد العدناني ، والدكتور عمر فروخ ، وكانت تتمتع بمكانة علمية وأدبية جعلت منها مركز إشعاع فكري ، فتخرج فيها عدد من أدباء فلسطين وعلمائها ومؤرخيها ومجاهديها..

وفي رحاب هذه الكلية تلقى عبد الرحيم محمود دروس الوطنية والجهاد ، وعبّ من معين الثقافة ، وعرف الحياة بالممارسة والخبرة .

٣- ثقافته الدينية والاجتماعية : تربّى شاعرنا تربية وطنية إسلامية منذ نعومة أظفاره ، فدرس القرآن الكريم والحديث الشريف وأفاد منهما ، وانعكس تأثيرهما في شعره ، كما درس التاريخ وتعرّف على سِير قادته .

وكان لحياته التي توزعت بين القرية والمدينة أثر واضح في تكوين شخصيته.. فقد اكتسب من القرية التي عاش فيها البساطة والطيبة وا لجرأة ، وتعلّم من جبالها العالية الشموخ والإباء ، ومن سهولها الخضراء صفاء السريرة والقدرة على العطاء..

وكان لاتصاله بمجتمع المدينة إضافات جديدة لحياته ، فقد اطلع على الشرائح البشرية فيها ، واتصل بالمثقفين ممن يقيمون بها أو يختلفون إليها .

٤- ثقافته الأدبية واللغوية : إذا أضفنا التحصيل العلمي الذي ناله شاعرنا من دراسته إلى قراءاته الأدبية واللغوية ، فإننا نرى إلى أي حد توسعت ثقافته وتعمقت .. فقد قرأ لشعراء العربية القدامى والمحدثين ، وتأثر بهم ، وا طلع على مؤلفات أعلام الأدب ودواوين فحول الشعر .. أما ثقافته اللغوية فقد اتسعت بفضل قراءاته واتصالاته بالحياة والمجتمعات البشرية والفكرية ، بالإضافة إلى تحصيله اللغوي وممارساته في كتابة الشعر .

٥- ثقافته السياسية والعسكرية : لقد عاصر أحداث القضية الفلسطينية ، وعايش الأحداث الدامية التي أحاطت بفلسطين منذ وقعت فريسة بيد الاستعمار البريطاني بعد الحرب العالمية الأولى .. وشارك في تلك الأحداث ، وحضر عدداً من المؤتمرات الوطنية الفلسطينية ..

وكان قد زوّد نفسه بثقافة عسكرية منذ تخرّجه من المرحلة الثانوية ، فعمل في سلك الشرطة وألمّ بطرف من القوانين العسكرية . وفي العراق دخل الكلية الحربية و تخرّج فيها ضابطاً ، وأتقن التدريبات العسكرية ، وأجاد استخدام السلاح، وشارك عملياً في ثورة رشيد عالي الكيلاني المناوئة للاستعمار البريطاني ، فاكتسب ثقافة حربية . وحين عاد إلى فلسطين اتسعت معلوماته العسكرية والحربية بالخبرة والممارسة ، فحمل السلاح ثائراً مع الثوار ، وشارك في ثورة فلسطين الكبرى ١٩٣٦-١٩٣٩م إلى جانب القائد الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد .

وكانت مواقف الشاعر السياسية والوطنية مشرّفة .. ونظرة إلى شعره الوطني والسياسي ترينا مدى وعيه السياسي ، وتضعنا أمام مواقفه الإيجابية الجريئة ، من وعد بلفور ، ولجنة بيل الملكية وغيرها ..

وكانت له رؤية مستقبلية يرى من خلالها ما تؤول إليه البلاد ، استناداً على ما تعانيه في حاضرها .. فحين زار الأمير سعود بن عبد العزيز فلسطين عام ١٩٣٥م، ومرّ موكبه بعنبتا في طريقه إلى القدس ، ألقى عبد الرحيم محمود قصيدة في مهرجان الاستقبال أعرب فيها عن قلقه على مصير الشعب والبلاد ، وجسّد مشاعره بنبوءة القلق بقصيدة قال فيها :

يا ذا الأمير أمام عينك شاعر ضمّت على الشكوى المريرة أضلعه
المسجد الأقصى أجئت تزوره أم جئت من قبل الضياع تودّعه

لقد وعى شاعرنا الظروف السياسية التي اجتاحت فلسطين منذ الحرب العالمية الأولى حتى نهاية عام ١٩٤٨م ، وشعر بالخطر المحدق ببلاده ، وبالمحاولات الاستعمارية الرامية لاغتصاب أرض فلسطين ، وتهجير أهلها ، وإقامة وطن قومي لليهود عليها . و لاحظ تدفق موجات الهجرة الصهيونية إلى فلسطين ، وتألم من مواقف بريطانيا العدائية من القضية الفلسطينية ، فسخّر شعره لتسجيل ذلك ، في محاولة وطنية صادقة لتوعية أبناء فلسطين ، ومحاولة تغيير الأوضاع .. ومن هنا فقد امتزج وعيه السياسي بنضاله العسكري .

٦- الظروف العامة والأحداث التي عاشها في فلسطين : والتي تركت بصمات واضحة في شعره .. ومن هذه الظروف : المؤتمرات الوطنية التي كانت تعقد في مدن فلسطين لتناقش قضايا البلاد السياسية والاقتصادية وغيرها .. وكان شاعرنا يسهم كغيره من الشعراء فيلقي القصائد اللاهبة التي تحث الشباب على الجهاد ، فكان بشعره الثائر وعزمه المتوقد ، يثير الحمية في القلوب و يلهب في النفوس حب الشهادة ، وافتداء الوطن بالمهج والأرواح ..

كما أن الثورات الجهادية كثورة الشيخ القسام ، وثورة فلسطين الكبرى التي امتدت حتى عام ١٩٣٩م ، ومواقف المجاهدين وفي مقدمتهم الشيخ القسام ، قد

تركت آثاراً في نفس شاعرنا وفي شعره ، حين استقال من وظيفته لينخرط في صفوف المجاهدين .. وإن غربة الشاعر في العراق ، واشتراكه في ثورة رشيد عالي الكيلاني ، والتقائه بنخبة من شعراء العراق ، تركت في نفسه أيضاً أثراً لا ينمحي.. فجميع هذه المؤثرات كان لها أثر كبير على شاعرنا وعلى شعره .

۞ ۞ ۞

لقد نظم عبد الرحيم محمود شعراً في أغراض متعددة .. فله شعر وطني وسياسي وشعر ديني وشعر إنساني واجتماعي ، وله شعر وجداني ..

شعره الوطني والسياسي

الشعر الوطني عند عبد الرحيم محمود يمثّل القدر الأكبر من شعره ، ويكاد يكون هو سرّ شهرته بين شعراء زمانه وبين الواعين والمثقفين من أبناء أمته .. وقد كان هذا الشاعر يعي المفهوم الوطني الكريم للوطنية ، وكان يعرف الأعباء التي ينبغي على الإنسان الوطني أن يحملها ليكون بطلاً من أبطال الكفاح .. فقدّم أعز ما يملك من أجل الوطن .. قدّم روحه وشبابه ، حتى رأى رجال الأدب والنقد والمؤرخون فيه ، "شاعر الوطن والبطولة" [1] .

عمل عبد الرحيم محمود في مهنة التعليم حتى عام ١٩٣٦م ، حيث بدأت الثورة الفلسطينية الكبرى التي امتدت ثلاث سنوات ، تخلّلها أطول إضراب عرفه تاريخ فلسطين استمر ستة أشهر .. وفي هذه الأثناء شعر عبد الرحيم بنداء الوطن ، فترك التعليم ، وانضم إلى صفوف الثوار في جبال نابلس تحت لواء القائد "عبد الرحيم الحاج محمد" ليؤدي واجبه الوطني .. وكانت رغبته في معانقة الموت ونيل

(١) د. شوقي ضيف : البطولة في الشعر العربي ، ص١٤٣ .

الشهادة تراوده في كل حين ، لأنه يرى في ذلك حياة جديدة .. وفي تلك الفترة اندفع الشعر الثوري على لسانه ليكون زاداً له في ثورته ، فكتب قصيدة بعنوان "الشهيد" قال فيها : [١]

سأحمل روحي على راحتي وأُلقي بها في مهاوي الرّدى
فإما حياة تسرّ الصديق وإمّا ممات يغيظ العدا
ونفس الشريف لها غايتان : ورود المنايا ونيل المنى

فمنذ بدأت الثورة الكبرى بدأ شاعرنا يشارك في الجهاد ويدعو إليه بصدق ، لأن الجهاد واجب مقدس وأمانة يحملها الشاعر أمام أبناء وطنه ، و أخذ ينادي بقيّة أبناء الوطن لتلبية دعوة الجهاد فيقول : [٢]

دعا الوطن الذّبيح إلى الجهاد فخفّ لفرط فرحته فؤادي
وسابقت النسيم -ولا افتخار- أليس عليّ أن أفدي بلادي ؟

هذه الاستجابة الواعية لنداء الوطن تبيّن مدى العلاقة الحميمة بين الشاعر والجهاد ، فهو يبدأ بنفسه ، ليكون قدوة لغيره ..

وهو حين يرى من البعض تقاعساً وجبناً ، نراه يسخر من الجبناء ، ويدعوهم إلى الانخراط في صفوف الثوار ، بل ويدعو جميع بني قومه لأداء هذا الواجب .. ويشيد بمواقف الأبطال من ثوار فلسطين الذين يلاقون الصعاب في عزم وجلد ، فيقول: [٣]

---

(١) د. وليد جرار : شاعران من جبل النار ، ص٢٤٥ .

(٢) ديوان عبد الرحيم محمود ، ص١٤٠ .

(٣) ديوان عبد الرحيم محمود ، ص١٤١ .

وقلـــتُ لمـــن يخـــاف مـــن المنايـــا   أتفـــرقُ مـــن مجابهـــة الأعـــادي
فـــدونك خـــدر أمّـــك فاقتحمـــه   وحـــسبك خـــسّة هـــذا التهـــادي

ويقول أيضاً :

فللأوطـــــان أجنـــــاد شـــــداد   يكيلـــــون الـــــدّمار لأي عـــــاد
يلاقـــون الـــصعاب ولا تـــشاكي   أشـــاوس في ميـــادين الجـــلاد
تـــراهم في الـــوغى أســـداً غـــضاباً   مغـــاويراً إذا نـــادى المنـــادي
بـــني وطـــني دنـــا يـــوم الـــضحايا   أغـــرّ علـــى ربـــى أرض المعـــاد

ويعتزّ شاعرنا بمواقف الشباب ، وبدورهم في مواجهة الأعداء ، فهم طليعة الشعب في قتال الأعداء ، فيقول : (١)

فمـــن كـــبش الفـــداء ســـوى شـــباب   أبـــيٌّ لا يقـــيم علـــى اضـــطهاد ؟
ومـــن للحـــرب إن هاجـــت لظاهـــا   ومـــن إلاّكُـــمُ قـــدح الزّنـــاد ؟
فـــسيروا للنـــضال الحـــق نـــاراً   تـــصبُّ علـــى العـــدا في كـــل واد

ويتوجّه إلى بني قومه يوقظهم ، ويحرضهم على الجهاد والثبات في وجه المعتدين ، ويحثهم على الوحدة والثبات ، ويحذرهم من اليأس والتخاذل ، ومن ضياع فلسطين .. ويحمّل العرب تبعة التقصير والتهاون ، فينادي بصوت الغيور الناصح الصادق ، فيقول : (٢)

بـــني وطـــني أفيقـــوا مـــن رقـــاد   فمـــا بعـــد التعـــسّف مـــن رقـــاد

---

(١) د. محمود الشلبي : عبد الرحيم محمود شاعراً ومناضلاً ، ص٤٢ .

(٢) د. وليد جرار : شاعران من جبل النار ، ص٢٥٠ .

قفــوا في وجــه أي كـــان صــفاً ... حديـــــداً لا يـــؤول إلى انفــــراد
ولا تجمــــوا إذا اربــــدّت سمـــــاء ... ولا تهنــــوا إذا ثـــــارت بـــــواد
ولا تقفـــوا إذا الـــدنيا تـــصدّت ... لكـــم وتكـــاتفوا في كــــل نـــاد
إذا ضـــاعت فلـــسطين وأنـــتم ... علـــى قيـــد الحيـــاة ففـــي اعتقـــادي
بـــأنّ بـــني عروبتنـــا اســـتكانوا ... وأخطـــأ ســـعيهم نهـــج الرشـــاد

ويقول محذراً شعبه من تقليد الأمر لذوي النفوس الضعيفة : [١]

يـــا شـــعبُ يـــا مـــسكين لم ... تنكـــب بنكبتـــك الـــشعوب
قلّـــدت أمـــرك مَـــنْ بهـــم ... لا يرجـــع الحـــق الغـــصيب
لهفـــــي عليــــك ألا تــــرى ... يـــا شـــعب حولـــك مـــا يُريـــب ؟

لقد كان النضال في حياة هذا الشاعر مطمحاً يسعى إليه ليخلص به الوطن من الظلم والعبودية .. ولهذا فقد كان يحب النضال وأيامه ، ويحنّ إلى الحرب باستمرار، لأن فيها تحقيقاً لأمانيه ورغباته ، وكثيراً ما عبّر عن ألمه لبعده عن ميادين القتال ، وعن حرصه على خوض المعارك والشهادة .. إذ يقول : [٢]

كـشّري مـا شـئت يـا سـود الليـالي ... فـــأبو الطيـــب لا يخـــشى العـــوالي
إن تقاعـــستُ عـــن الحـــرب فـــإني ... مجـــرم يقعـــد عـــن شـــأو المعـــالي
غـــايتي ألقـــى المنايـــا عـــاجلاً ... في مجـــال العلـــم أو ســـاح النـــضال
فابْـــسمي يـــا أمّ عبـــد إنـــه ... زفّ للحـــور وولى وهـــو عـــال

(١) المستشار عبد الله العقيل : من أعلام الحركة الإسلامية ، ص٢٦٢ .

(٢) ديوان عبد الرحيم محمود ، ص١٤٥ .

ويقول في قصيدة أخرى : [1]

وما العيش لا عشتُ إن لم أكن مخوف الجناب حرام الحمى
إذا قُلتُ أصغى لي العالمون ودوّى مقالي بين الورى
ونفسُ الأبيّ لها غايتان ورود المنايا ونيلُ المُنى
لعمرك إني أرى مصرعي ولكن أغذُّ إليه الخُطى
أرى مقتلي دون حقّي السليب ودون بلادي هو المبتغى

ولشاعرنا مواقف جهادية تشهد له بالجرأة والمواجهة ووضوح الهدف ، قرنَ فيها بين القول و الفعل ، وطرحَ الخوف متخذاً من قوة العقيدة والسلاح سبيلاً للنصر وتحقيق الأمل واسترداد الحقوق .. ولقد تفجّر صوته بالغضب والثورة ، وهو يترسم خطى الشهيد عز الدين القسام ، ويطلب من أبناء شعبه أن يتخذوا ذلك منهجاً يستند إلى القوة و الجهاد .. استمع إليه وهو ينظم شعراً صادقاً كان من أكبر الحوافز في تحريك الجماهير نحو الثورة العامة .. لقد كان عزيزاً شهماً وهو يدافع عن فلسطين، ويصرخ بصوت الحق فيقول : [2]

قلْ لا وأتبعها الفعال ولا تخف وانظر هنالك كيف تُحنى الهام
اصهرْ بنارك غلّ عنقك ينصهر فعلى الجماجم تركز الأعلام
وأقم على الأشلاء صرحك إنما من فوقه تبنى العلا وتقام
واغصب حقوقك قط لا تستجدها إنّ الأُلى سلبوا الحقوق لئام
هذي طريقك في الحياة فلا تحدْ قد سارها من قبلك القسّام

(١) المستشار عبد الله العقيل : من أعلام الحركة الإسلامية ، ص٢٦٢ .

(٢) ديوان عبد الرحيم محمود ، ص٢٥ .

ويتوجه الشاعر إلى الزعماء العرب ، منتقداً مواقفهم من القضية الفلسطينية، الدامية .. فهو يدعو الناس إلى أن يتمثلوا مواقف أمتهم في أيام مجدها وقوتها ، فإذا ابتليت هذه الأمة بتخاذل الزعماء و انهزامهم ، فما ينبغي لها أن تقنط .. فشاعرنا يحمل صوت الأمة المناضل الرافض كل أشكال المساومة واليأس ، فأمله في أمته العربية كبير ، وإحساسه بأصالتها يغمره بالثقة بأن هذه الأمة عندها ما يمكنها من النهوض والاستمرار مهما توالت عليها الضغوط وآلمتها الضربات ، فيقول :

أمّتي ، إن تجر عليك الزعاما ت فلا تيأسي ذريها و سيري
إنها إن تسؤ تشلّ قوى الشعب وتبل الأقوام بالتأخير
كنت خير الوجود قد شهد الله وأحرى الأنام في أن تصيري
القديم الجميل ريش جناحيك فرفّي في العالمين وطيري
رتّلي سورة السلام على الأرض وغنّي أنشودة التحرير

هذا هو شاعرنا الشهيد عبد الرحيم محمود الذي ترك تاريخاً مسطراً بالدماء، وشعراً يفيض بالحماس ، وسيرة عطرة مليئة بالوفاء والإخلاص لأرض الإسراء والمعراج .

شعره الديني

نشأ عبد الرحيم محمود في بيئة دينية محافظة ، وتأثّر بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، وتثقف بالثقافة الإسلامية .. وقد أسرته بلاغة القرآن وشدّة بيانه المشرق، وراعه ما فيه من جمال التصوير ودقة التعبير ، وسموّ المعنى ، فقبس بعض نوره .. وحرص على التمسك بالتراث الديني ، والاعتزاز بلغة القرآن وما تتمتع به من بلاغة وفصاحة ، فكان لهذا كله أثر ظاهر في شعره ..

وقد نظم العديد من القصائد الدينية ، منها قصيدة بعنوان "ليلة ذات فجرين"، قالها بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف ، تُعدّ مثالاً حياً لاستنهاض الهمم العربية وشحذ الروح الإسلامية فيهم من جديد ، قال فيها : [1]

ليلــة هبّـت بهــا ريـح الخزامــى ... فــسَرَت راحــاً بــأرواح النّــدامى
نقلـــت بـــشرى بفجـــر طالمـــا ... قـــد تمنّتـــه الـــدياجير القـــدامى
جـــاء (طـــه) والليـــالي حُلّـــك ... فبـــدا في مبـــسم الـــدنيا ابتـــساما
قـــال : يـــا إنـــسان لا تزهـــد وكـــن ... بـــين أُخـــراك ودنيـــاك قوامـــا
وأحـــبّ الغـــير لا تغـــدر بهـــم ... إنّ مـــن يغـــدر بهـــم يلـــق أثامـــا
مـــن رأى مـــن قبـــل أسمـــى ليلـــة ... ذات فجـــرين بـــنيران الظلامـــا !؟

ونظم قصيدة بعنوان "ذكرى الهجرة النبوية" .. فكانت ذكرى للشباب المجاهد لحمل العبء الثقيل في الدفاع عن المقدسات .. ولاشك أن يوم الهجرة هو من أجلّ الأيام في تاريخ الإسلام ، إذ استطاع المجاهدون الأوائل أن يحطموا قيدهم ويبنوا دولتهم الفتية ..

والهجرة النبوية لم تكن هروباً من الظلم ، بل كانت خطة مدروسة للكرّ ، ودرساً وعبرة لنا حتى لا يتطرق إلينا معها اليأس ، فالحق لا يحميه الاستسلام ، وإنما يحميه الشباب المجاهدون والإيمان القوي .. يقول في هذه القصيدة :

يـــوم مجـــد فـــات مـــا أجمـــل ذكـــره ... فيـــه لـــو ينطـــق آيـــات وعـــبرة
لم تكـــن هجـــرة (طـــه) فـــرّة ... إنمـــا كانـــت علـــى التحقيـــق كـــرّة
ورمـــى في الـــساح أبطـــالاً لـــه ... فـــوق هـــام الظلـــم تـــزدان بكـــبره

---

(١) د. وليد جرار : شاعران من جبل النار ، ص٢٦٩ .

فمـــشوا في النـــاس نـــوراً وهـــدى وبـــدوا فـــوق جـــبين الـــدّهر غـــرّة

وله قصيدة بعنوان "كتاب أضاء دياجي الظلم" ، نظمها عندما ظهرت في وطننا دعوات مسعورة للتخلي عن اللغة العربية الفصحى (لغة القرآن) ، وترك الحكم بكتاب الله العزيز ، والأخذ بالقوانين الوضعية التي خطط المستعمر لغرسها بين العرب .. فقد هبّ شاعرنا للدفاع عن تراث العرب المتمثل بالقرآن المجيد و لغته العظيمة .. ونظم هذه القصيدة وألقاها على خريجي كلية النجاح الوطنية بنابلس سنة ١٩٤٤/٤٣م ، وقال فيها : [١]

كتـــاب أضـــاء ديـــاجي الظّلَـــم ودلّ الأنـــــام لأهـــــدى الأمـــــم
وألقـــى الـــسلام علـــى العـــالمين فـــذاقوا حـــلاوة طعـــم الـــسلم
وصـــحّى النيـــام ، نيـــام القلـــوب فقـــــام الأذان وخـــــرّ الـــــصنم
أقـــام الـــسيوف بوجـــه البغـــاة فلمـــــا أنـــــابوا أقـــــام القلـــــم
وقـــاد الرّعـــاة ، رعـــاة الـــشياه فـــصار الرّعـــاة رعـــاة الأمـــم

۞ ۞ ۞

كتـــاب تركنـــاه يـــا حـــسرتا فـــصرنا نعـــضّ بنـــان النـــدم
وكانـــت لنـــا عـــزّة المـــؤمنين فـــصرنا العبيـــد وصـــرنا الخـــدم
فلمـــا عـــصينا كـــلام الإلـــه جنينـــا الفـــساد وشـــوك النـــدم
فيـــا قـــوم عـــودوا إليـــه يعـــد إلينـــا الفخـــار ومجـــد القـــدم

(١) د. وليد جرار : شاعران من جبل النار ، ص٢٦٧ .

شعره الاجتماعي والإنساني

لابد لنفس حساسة متوثبة رقيقة المشاعر كنفس شاعرنا أبي الطيب من أن تتأثر بما حولها من أحداث اجتماعية ، وأن تثور على ما يحيط بها من أوضاع بائسة، وما تراه من أهوال الحرب وكل ما يصيب المجتمع من أحداث ومصائب .. ولا غرو أن انفعلت شاعريته بهذه المؤثرات وانتحت هذا الاتجاه ، فقد تفتّح شبابه أول ما تفتح على أهوال الحرب ، فعايش ويلاتها في خضم حياته اليومية ، ورأى ما تخلل الحرب من مآس إنسانية وفجائع أخلاقية ، فصور كل ذلك في قصائده التي روى فيها أقاصيص مختلفة من هذه الفواجع .

كان عبد الرحيم محمود يدرك الخطر الذي يهدد الأمة من البطالة والكساد ، فكرّس جانباً من شعره للحديث عن الفقراء والعمال .. وكان يؤمن بأن الطبقة العاملة هي التي تضطلع بأكبر الأعباء في الحياة اليومية والحياة النضالية على حد سواء .. ولذا فإننا نجده يخاطب العمال ويحثهم على العمل والجهاد في آن واحد ، فيقول في قصيدة على لسانهم [1]:

نحـــن المـــصادر والمـــوارد	وســـــلاحنا فتـــــل الـــــسواعد
هاماتنـــــا نبـــــع المكـــــارم	لـــــيس ينـــــضب ، والمحامـــــد
ودماؤنـــــا الحمـــــراء للحـــــر	يــــــة العليـــــــا روافــــــد
ولنـــــا الأيـــــادي البـــــيض	لا ينـــسى الأيـــادي غـــير جاحـــد
وبنـــــا إذا دهـــــت الـــــشدائد	كـــــان تفـــــريج الـــــشدائد

ويعرض الشاعر مظاهر الظلم المسلط على العمال ، ويدافع عن قضيتهم فيقول :

(١) شاعران من جبل النار ، ص٢٩١ .

وما قصة العمال إلا حقيقة | طواها من الجهل المخيم ساتره
كساها أخو ظلم ثياب خرافة | دخائله معروفة وسرائره
وأبرزها للناس شوهاء نكرة | وهل ضرّ حقاً أيها الناس ناكره
وما الحق في أن يأخذ الجني قاعد | ويحرمه يوم الحصادة باذره
أيعمر ذو الاجهاد قصراً ممرداً | ولا يسكن القصر الممرّد عامره

ويرفض الشاعر أن يستسلم العمال لهذه الحال ، فيحرضهم على من يستعبدهم ، ويدعوهم إلى التمرد على الذين يسلبون حقوقهم فيقول : [1]

هذي القصور وأنت را | فع سمكها هل هنّ لك ؟
والدّوح أنت زرعته | من حولها هل ظلّلك ؟

۞ ۞ ۞

اطرق بمطرقك الرؤو | س إذا حرمنك من مرادك
واحصد بمنجلك الرقا | ب إذا تمادت في عنادك
واحكم بأمرك في بلا | دك لا تغرب في بلادك
أنت الذي زرع الحيا | ة فمن شريكك في حصادك

وكان عبد الرحيم يعقد الأمل في الشباب ، فعلى يد الشباب تتحقق الأماني في الخلاص و الحرية .. ولكن أي شباب ؟؟ إنه ليس الشباب الذي يبحث عن الغرام والحياة الوادعة ، ولكنه الشباب القوي المخلص ، الطامح ، وقد حرص في إحدى قصائده أن يرسم صورة لهذا الشباب كما يجب أن يكون ، فيقول [2] :

---

(١) الديوان ، ص١٥٥ .

(٢) شاعران من جبل النار ، ص٢٩٨ .

أحب الشباب وما فيه من قوى ساحقات تهزّ الجبل
وأكره فيه انقياد القلوب لحكم الجمال وسحر المقل
ونسيانه أننا قد أنطنا بتلك القلوب لذيذ الأمل
نريد لها أن ترى عامرات بغير الغرام وغير الغزل
نريد لها أن ترى عامرات بحب البلاد وجد العمل
أحب الشباب شباباً لهيباً تلألأ منه ضياء الشعل
يضيء الطريق على مدلج ويهدي الذي تاه عنها وضل

وأما قضايا المرأة فكان يرى أن للمرأة دور كبير في تربية الجيل ، ومشاركة الرجل في عبء الجهاد في سبيل تحرير الوطن ، وأن على المرأة أن تتحمل نصيبها في معركة التحرير ، فنراه يقول :

يا ابنة العرب حطمي الأغلالا ارفعي الصوت واطلبي استقلالا
وافتحي مقلتيك للنور وامشي في طريق الجهاد فالليل طالا

وكان منذ مطلع شبابه يدعو البنات إلى الحشمة والحجاب ، حتى يتمكّن من القيام بالدور الذي ينتظرهن . فنراه ينظم قصيدة عام ١٩٣١ بعنون "حوشوا البنات من الشوارع" ، وكان وقتها طالباً في كلية النجاح بنابلس ، يقول فيها : (١)

يا قومُ ويحكُمُ .. كفى ما في البلاد من الفظائعْ
تلك الكواكِبُ لا يجوزُ بأنْ تَبينَ عن المطالِعْ
مشيُ البنات على الطريق يزيدُنا فيها مطامع

(١) ديوان عبد الرحيم محمود ، ص٢٨٨ .

يـــا بنـــتُ فَلْتَـــتَحجّبي كـــمْ في حجابـــكِ مـــن منـــافع
لا تتركُـــي سِـــفْرَ الجمـــال لكـــلّ ذي عـــين يُطـــالِع
عـــرضُ البـــضائع في الأنـــام مُـــسَبِّبٌ رُخْـــصَ البـــضائع
والحُـــسْنُ خـــير بـــضاعةٍ فَلْتحفظيـــهِ عـــن الـــشوارع

شعره الوجداني

لعبد الرحيم محمود شعر وجداني جاء تعبيراً عن شعور عاطفي يدفع الشاعر إلى البحث عن المرأة ، ليقرأ فيها صور الجمال الحسي والمعنوي ، وليحقق لذة الحبّ في عهد الشباب . وقد غلب على غزله طابع العتاب ، وظلت روح الشاعر المناضل بادية في أشعاره الوجدانية ، وكأنه أراد لغزله ، أن يكون نظيفاً طاهراً مثل نضاله ونفسيته وحياته [1] .

لقد خاض شاعرنا هذه التجربة ، وعبّر عن ذاته بأشعار وجدانية ، رسمت نفسه، وعبرت عن شخصيته .. وانطلق الغزل على لسانه ، فكشف عن رهافة في الحس ، وجمال في التصوير ، وعذوبة في الكلمة .. ومن ذلك قوله في قصيدته التي بعنوان "جيش الحبائب" [2] :

حـــيّ الظبـــاء الباديـــات كواكبـــاً المورثـــات العاشـــقين مـــصائبا
المحرقـــات بنـــارهن قلوبنـــا والآخـــذات مـــن اللحـــاظ قواضـــبا
والـــسارقات مـــن الريـــاض لـــذاتها ورضـــابها وشـــذا الـــورود الـــساكبا

---

(١) عبد الرحيم محمود شاعراً ومناضلاً ، ص١٣٣ .

(٢) عبد الرحيم محمود شاعراً ومناضلاً ، ص١٤٠ .

آثاره الأدبية

١- الأعمال الكاملة لعبد الرحيم محمود (الديوان والمقالات النقدية) -جمع وتحقيق عز الدين مناصرة ، عمان ، دار الكرمل ، ١٩٩٣ .

٢- مجموعات شعرية ونثرية منشورة في مجلة الأمالي البيروتية بين سنوات (١٩٣٨-١٩٤١) .

٣- ديوان عبد الرحيم محمود - تحقيق حنا أبو حنّا ، الطيبة ، فلسطين ، ١٩٨٥ . وقد طبع ديوانه عدة طبعات : طبعة أردنية سنة ١٩٥٨ ، وطبعة كامل السوافيري سنة ١٩٧٤ ، وطبعة مكتبة بلدية نابلس سنة ١٩٧٥ ، وطبعة نافع عبد الله .. وهي عبارة عن أطروحة ماجستير قدمها في الجامعة اليسوعية ببيروت .

٤- مذكرات سياسية هامة - عن جيش الإنقاذ وحرب ١٩٤٨ .



قصائد مختارة من شعره

١

الشهيد

كان عبد الرحيم محمود يعمل في مهنة التعليم ، ولما بدأت الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦ والتي استمرت حتى عام ١٩٣٩ ، شعر عبد الرحيم بنداء الوطن ، فترك التعليم وانضم إلى صفوف الثوار في جبال نابلس تحت لواء القائد "عبد الرحيم الحاج محمد" ليؤدي واجبه الوطني .. وكانت رغبته في معانقة الموت ونيل الشهادة تراوده في كل حين ، لأنه يرى في ذلك حياة جديدة . و في تلك الفترة اندفع الشعر الثوري على لسانه ليكون زاداً له في ثورته ، فكتب هذه القصيدة بعنوان "الشهيد" . وكانت رغبته في الاستشهاد تدفعه دائماً إلى المشاركة في معارك الثورة والتحرير .

وفي عام ١٩٤٨ شارك في المعارك الضارية التي حدثت ، وجاهد مع إخوانه في عدد من المعارك .. جاهد جهاداً استهان فيه بالموت ، وأقبل على الشهادة بروح طيبة وهو يقول :

سأحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوي الردّى
فإما حياة تسرُّ الصديق وإمّا ممات يُغيظ العِدى

كان عبد الرحيم يدرك موقفه ودوره الطليعي تمام الإدراك ، فكان يعي المفهوم الكريم للوطنية ، ويعرف الأعباء التي ينبغي أن يحملها ليكون بطلاً من أبطال الكفاح .. فربط الكلمة الصادقة بالجهاد المخلص ، وقدّم أعزّ ما يملك من أجل الوطن، قدّم روحه وشبابه .

إن تجربة عبد الرحيم محمود مع الموت كانت حالة متقدّمة من البطولة والتضحية ، وامتزاجاً فريداً من التجربة الجهادية والشعرية عنده .. إنها صورة

صادقة وواقعية لجهاد شعب فلسطين وكفاحه الدامي ، ومثال رائع للتبرع الواعي بالنفس في سبيل الوطن .

وقد كان الشباب في فلسطين يتغنون بكلمات هذه القصيدة الرنانة القارعة .. وكانوا يتساءلون : كيف "ممات يغيظ العِدى" .. وتمرّ الأيام فيكتشفون المعنى الخالد في مثل هذا "الممات" الذي يغيظ الأعداء ويزلزل أركانهم ويقوّض بنيانهم ، باقتحام المجاهدين معاقل الأعداء ، وصمودهم في ساحات القتال ، وفي العمليات الاستشهادية التي ترعب الأعداء ..

لقد عملت هذه القصيدة عملها في النفوس ، وأثارت فيها روح الجهاد وحبّ الاستشهاد ، وحرّكت جماهير الأمة ضد الاستعمار أيام الثورة وما بعد الثورة.. فقد أنشدها المجاهدون ، وردّدتها من بعدهم الأجيال ، وسجّلها تاريخ فلسطين بأحرف من نور .

أبيات القصيدة (١)

سأحملُ روحي على راحَتي ... وألقي بها في مهاوي الرّدى
فإما حياةٌ تَسرّ الصديق ... وإما مَمَاتٌ يُغيظُ العِدى
ونَفْسُ الشَّريف لها غايتان ... ورودُ المنايا و نيلُ المنى
وما العيشُ؟ لا عِشْتُ إن لم أكُنْ ... مَخوفَ الجناب حَرامَ الحِمَى
إذا قلتُ أصغى ليَ العالمونَ ... ودَوَّى مقاليَ بين الورى

۞ ۞ ۞

(١) نشرت هذه القصيدة عام ١٩٣٨ . انظر : مجلة "الأمالي" السنة الأولى ، عدد – ٢١ ، سنة ١٩٣٨ .

لَعَمْـــرُكَ إنـــي أرى مَـــصْرعي ... ولكـــن أغُـــذُّ إليـــهِ الـــخُطى

أرى مـصرعي دون حقّـي الـسليبِ ... ودونَ بـــلادي هـــو الـــمُبتغى

يَلَـــذُّ لأذنـــي سمـــاعُ الـــصليلِ ... ويُـــبْهِجُ نفـــسي مَـــسيلُ الـــدما

وجـسمٌ تجـدَّلَ في الصحـصحان[1] ... تناوشـــه جارحـــاتُ الفَـــلا

فمنـــه نـــصيب لأُسْـــدِ الـــسماءِ ... ومنـــه نـــصيب لأُسْـــدِ الثـــرى

كـسا دَمُـــه الأرضَ بـــالأرجوانِ ... وأثقـــلَ بـــالعطرِ ريـــحَ الـــصَّبا

وعفَّـــر منـــه بهـــيَ الجـــبين ... ولكـــن عُفـــاراً يزيـــد البَهـــا

وبـــان علـــى شـــفتيهِ ابتـــسامٌ ... معانيـــه هُـــزْءٌ بهـــذي الـــدُّنا

ونـــام لـــيحلم حلـــم الخلـــودِ ... ويهنـــأ فيـــه بـــأحلى الـــرُّؤى

۞ ۞ ۞

لعمـــرُك هـــذا مَمـــاتُ الرجـــال ... ومـــن رام موتـــاً شـــريفاً فـــذا

فكيـف اصـطباري لكَيْـدِ الحقـودِ ... وكيـــف احتمـــالي لـــسَوْمِ الأذى

أخوفـــاً وعنـــدي تهـــون الحيـــاةُ ... وَذُلا وإنـــــي لـــــربّ الإبـــــا

بقلـــبي ســـأرمي وجـــوه العُـــداةِ ... فقلـــبي حديـــدٌ ونـــاري لظـــى

وأحمـــي حياضـــي بحَـــد الحـــسام ... فـــيعلم قـــوميَ أنّـــي الفتـــى

---

(١) الصحصحان : الأرض المستوية أو الأرض الجرداء .

٢

البطل الشهيد

هذه القصيدة نظمها عبد الرحيم محمود عام ١٩٣٩ ، في رثاء قائد الثورة الفلسطينية الكبرى الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد ، الذي استشهد في معركة صانور في ٢٦ آذار عام ١٩٣٩ .

ففي هذه القصيدة الباكية يمجّد شاعرنا الشهادة والبذل والفداء من خلال رثائه لرفيق دربه في الجهاد الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد الذي امتاز بجرأته في القتال وبسبقه إلى الشهادة .. فنراه يعتز بموقف الشهيد ، فيناديه بصوت حزين دامٍ ، ويرثيه رثاء من فقد أمة بكاملها ، ويذكر صفات هذا القائد التي أهّلته للقيادة والجهاد : خلق كريم ، وعزم شديد ، وإيمان راسخ ، ومروءات مكتملة ، تشكل جميعها شخصية البطل القائد لتصبح ترجمة عملية لإخلاصه الوطني واستشهاده الشريف ، فيقول :

أإذا أنشدت يوفيكَ نشيدي حقّكَ الواجبَ يا خير شهيد
أيُّ لفظ يسعُ المعنى الذي منك استوحيه يا وحي قصيدي

ويبدو في القصيدة حزن شاعرنا الشديد على القائد البطل الذي افتقدته ساحات الجهاد في فلسطين .. وما كان رثاؤه لرفيقه إلا رثاء لنفسه ، وحنيناً للشهادة ، ودعوة صادقة للجهاد .. فهو حين يبكي هذا القائد لا يبكيه بدمعة العاجز الضعيف، ولكنه يستحضر أيامه الجهادية ، ثائراً متنقلاً بين الجبال والأودية والسهول ليرسم بدمه خريطة حقيقية للوطن ، ويرثيه بكلمات تشعرنا باندفاع الشاعر إلى حومة القتال ، لنيل الشهادة .

ولعل حزن شاعرنا على فقيده هو حزن جميع الأمة عليه أيضاً ، فالمصيبة كبيرة والحزن كان يملأ كل بيت .

وشاعرنا يكثر في القصيدة من مناداة القائد الشهيد مؤكداً حقائق مهمة في كفاح شعب فلسطين : [1]

الحقيقة الأولى : أن هذا الشعب قدّم الضحايا والأبطال منذ مطلع القرن العشرين حين ظهرت نوايا بريطانيا والصهيونية لإقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين .

والحقيقة الثانية : أن صوت الشعب الذي حمله شاعرنا كان مزيجاً من الحزن والنقمة ، والألم والثورة ، والغضب والرفض ، فالحزن الغاضب ترنيمة نسمعها ونحن نقرأ شعر شعراء جيل الثورة .

والحقيقة الثالثة : التي يؤكدها هذا الشاعر كما يؤكدها معاصروه من الشعراء الفلسطينيين هي ترسم طريق الجهاد الحقيقي ، وبذل النفس رخيصة على طريق هؤلاء الأبطال لنيل النصر وقهر المستعمر .

وإن هذه الأعراس التي صورها عبد الرحيم محمود قبل عشرات السنين لهي أعراس الشعب الفلسطيني الذي أدمن على الاستشهاد والتبرع بالروح والدم .. وما الأعراس الدامية في هذه الأيام إلا امتداد واستكمال للأعراس التي صورها شعراؤنا عام ١٩٢٩ ، وعام ١٩٣٥ ، عام ١٩٣٦-١٩٣٩ ، وأعوام ١٩٤٨ ، و١٩٨٧ ، والتي مازالت مستمرة حتى تتحرّر أرض الإسراء والمعراج من دنس الغاصبين والمستعمرين .

---

(١) عبد الرحيم محمود شاعراً ومناضلاً ، ص٥١ .

أبيات القصيدة (١)

أإذا أنشدتُ يوفيكَ نشيدي — حَقَّكَ الواجبَ يا خيرَ شهيدِ
أيُّ لفظٍ يَسَعُ المعنى الذي — منك أستوحيهِ يا وحي قصيدي
لا يُحيط الشعرُ فيما فيكَ منْ — خُلُقٍ زاكٍ ومن عزم شديد
كملت فيك المُروءاتُ فلم — تبقَ منها زائداً للمستزيدِ
حسرتا للدين والمجد الّذي — قد أصيبا فيك بالركن الوطيدِ
حسرتا للوطن العاني ولـلأ — مل الفاني ويا تَعْسَ الجدودِ

✡ ✡ ✡

أيها القائد لمْ خَلَّفْتَنا — ولمن وَلَّيتَ تصريفَ الجنودِ
أقفر الميدانُ من فرسانهِ — وخلا من أهلهِ غابُ الأسودِ
خمدتْ نار لقد أضرمتَها — لِعدىً كانوا لها بعضَ الوقودِ
والحمى قد ريع يا ذُخْرَ الحمى — وغدا بَعْدَكَ مَنْقوصَ الحدودِ
لم أكن قبلك أدري ما الذي — يُرْخِصُ الدمعَ ويُودي بالكُبودِ
إنَّ يوماً قد رُزِئناكَ به — جاعلٌ أيامنا سوداً بسودِ
هلكت نفسُ الأوِدّاءِ أسىً — فيه وارتاحت له نفسُ اللدودِ
كلُ بيتٍ لك فيه مأتمٌ — يندب الناسُ به أغلى فقيدِ
للمناحات صدىً مُرتَجَعٌ — في بلاد العُرْبِ سَهْلٍ ونجودِ
برزت فيها المصوناتُ ضُحىً — صارخاتٍ قارعاتٍ للخدودِ

(١) كتبها ونشرها عام ١٩٣٩م .. أنظر مجلة " الأمالي " السنة الأولى عدد ٣٢ ، عام ١٩٣٩م .

وَاحَبيبَ الأُمَّتا يتَّمتنَا ... يا أبا كل فتاةٍ ووليدِ
صَعّدوا من لوعةٍ زفراتِهم ... فأذابت قاسي الصخرِ الصلودِ
جعلوا من كل صدر مسكناً ... لارتفاعٍ بك عن سُكنى اللحودِ
كل قلب لك فيه مُصْحَفٌ ... فيه من ذكرك قرآنُ خُلودِ
سُوَرٌ قد فُصِّلتْ آياتُها ... لم تزل تُتلى على الدهرِ الأبيدِ

۞ ۞ ۞

أيها القائد هذي ميتةٌ ... طالما رَجَّيْتَها منذُ بعيدِ
مصرعُ الأبطال ما بين الحديد ... في الميادين ورفّات البُنودِ
هذه أعراسُهُمْ صَخَّابةٌ ... نَقْرةُ الدّف بها قَصْفُ الرعودِ
فَيُروّونَ الثرى من دمهم ... ويُحَنُّونَ بها كفَّ الصعيدِ
ويُزفّونَ عليهم حُلَلٌ ... من نجيعِ الحربِ تُزْري بالبرودِ
هم تعاويذُ الحمى يُقصي بهم ... عنه مكر السوء أو كيدَ الحسودِ
تحرق العاتيَ أنفاسهمو ... ويذيبون بها غلَّ القيودِ
وعلى أكتافهم تُجْنَى المنى ... ويُشادُ الصَّرْحُ للعيشِ الحميدِ

۞ ۞ ۞

يا شهيداً قد تخذنا قَبَساً ... منه يهدينا إلى النَّهجِ السديدِ
مثل أنت وما أن تنتسى ... لا تني ترويك أفواه الوجودِ
مُتَّ في الحربِ شريفاً لم تطق ... ربقة الأسر ولا ذُلَّ العبيدِ
هكذا العار مرير ورده ... والردى للحرّ معسول الورودِ
واحَبيبَ الأمتا قد أصبح العيـ ... ـش من بعدك لي جدّ نكيد
جَمَدَ الدمعُ بعيني جزعاً ... يا لنار القلبِ من دمعي الجمودِ
فأذبت الروح أبكيك بها ... بدل الدمع فسالت في نشيدي

قصائد مختارة من شعره

٣

شعب فلسطين

نظم الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٣٦ ، وتحدّث فيها عن معنى الحرية فالـحُرّ في رأيه هو الذي يأبى أن يستكين للظلم ، وهو الذي لا يوارب ولا ينافق ، بل يحدد هدفه ويمشي نحوه بهدى ، ويكافح الشر أينما كان وعلى أي أرض وجد..

فالحق لا يرجع لأصحابه بالكلام والجدل ، وإنما يعود بالحديد والنار ، والبنادق والحراب .. ولذا فهو يدعو شعب فلسطين إلى الجهاد ، ويعتز بهذا الشعب الذي تمرّس بالصعاب ، وتحمل ما لم تتحمله الهضاب الراسيات من ظلم المستعمر وتآمره ، لكنه ما ازداد إلا قوة وعزيمة ، فالجهاد والتمرد والرفض من طبيعة هذا الشعب الذي عرف طريقه بوعي وحدد هدفه ، فما عاد يطيق الهوان .

لقد صمم هذا الشعب أن يقف في وجه كل المحاولات الرامية لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، فقاوم حكومة الانتداب البريطاني ، ورفض خطط الصهيونية العالمية .. ووقف الشعراء مع الشعب يوظفون قصائدهم لتكون أدوات جهادية فعالة ، تخدم الثورة وتعبئ الجماهير ، فتحولت هذه القصائد إلى هتافات جماهيرية وأناشيد حماسية مؤثرة ، وأصبح شعر الحرب في مكانه الطليعي على الساحة الفلسطينية .

وفي هذه القصيدة يؤكد الشاعر حق الشعب الفلسطيني في قضيته وأرضه ، وأن هذا الحق لن يعود إلا بقوة السلاح ، فالجهاد وحده هو الطريق التي يراها الشاعر لتخليص الشعب وإنقاذه .. فبالنار والحديد يستعاد الحق ، وتطهر الأرض ، وتقمع المحاولات الرامية إلى القضاء على الإنسان الفلسطيني من خلال اغتصاب أرضه وإقامة وطن لليهود عليها .

إن هذا الموقف الثابت الذي يقفه الشاعر في قصيدته يجدر بنا أن نعيه اليوم ، فهو موقف جهادي يكشف بصراحة عن خط سير الشاعر في حياته وشعره .

ولم تكن الصرخات الحارة والقوية التي أطلقها عبد الرحيم محمود في أجواء فلسطين منذ أكثر من ستين عاماً إلا نذير خطر ، وإشارة تنوير كشف بها طريق الثورة ، ورسم بوضوح هدفها السامي ، بدفع الخطر الصهيوني ، وتحرير الأرض والإنسان .

أبيات القصيدة (١)

شعبٌ تَمرَّسَ في الصِعابِ ... ولم تنلْ منه الصّعاب
لَوْ هَمُّهُ انتابَ الهضابَ ... لدُكْدِكَتْ منه الهضابْ
مُتَمردٌ لم يرضَ يوماً ... أن يَقّرَّ على عذابْ
عِرْنينُهُ بلغَ السماءَ ... ورأسُهُ نطحَ السّحاب
وَعُداتُهُ رَغْمَ الأُنوف ... تَذَلُّلاً حانُو الرقابْ
مَثَلٌ حَدا حادي الزمان ... بهِ وناقَلَتِ الركابْ
نحن الألى هابَ الوجودُ ... وليس فينا من يهاب
إنْ تَجْهلِ العَجَبَ العُجاب ... فإنّنا العَجَبُ العُجابْ
إنْ ثَوَّبَ الداعي لحرب ... نحنُ أوّلُ من أجاب
فَسَلِ الذي خَضَعَ الهواءُ ... له وذل له العُباب

---

(١) القصيدة نقلاً عن نسخة بخط مروان الطاهر منقولة عن مجلة "الرسالة" في ١٩٣٦/٨/٣١ ، وعن ديوان عبد الرحيم محمود ، ص١٢٤ .

هــل لان عــودُ قَناتِنـــا أم هــل نَبَتْ عنـد الضِّـراب
أو شــامَ عيبـاً غيــر أنّــا ، ليـس نَرضـى أن نُعـاب
حُيّيــتَ مــن شــعبٍ تخلــد ، لــيس يعــروه ذهــابْ
قــد ســطّر القلــمُ الــشهيدَ مخلــداً وحــوى الكتــاب
لفــتَ الــورى منــك الــزئيرُ مزمجـراً مــن حــول غــاب
وأرى العِـدا مــا أذهــل الــدنيـا وشــاب لــه الغــراب
عــرفَ الطريــقَ لحقّــهِ ومــشى لــه الجــددَ الــصواب
الحــقُّ لــيس براجــعٍ لذويـــهِ إلا بـــالحراب
الــصرخةُ النكــراء تُجـدي لا التلَطُّــفُ والعتــابْ
والنـــار تـــضمَنُ والحديـــدُ لمـــن تـــساءلَ أن يُجـــاب
حَكّمهمـــا فيمـــا تُريـــدُ ففيهمـــا فـــصْلُ الخطـــاب
الظلـــمُ يرهـــبُ أوجُهـــاً بـــدمٍ تُـــضَرّج .. لا خـــضاب
إن لم تكـــنْ ذئبـــاً تُخـــافُ فرَتْـــكَ أظفـــار الـــذئاب
مــن عــاشَ مــا بـينَ الوحـوشِ يكــن لـــه ظُفــرٌ ونـــاب
فــشل الــذي جعــل الكــلا .. مَ مِجَنّــةً تحمــي ، ونــاب
يــا أَيُّهــا الــشعبُ العظــيمُ أجــدْتَ للمجــدِ الطِــلابْ
أشْــهَرْتَ ســيفاً قبــل نَــصْرٍ لا تُعِـــدْهُ إلى القِـــراب
وإذا أعيـــد فأنـــت مَيْـــتٌ لا يواريـــك التُـــراب
فاربـــأْ بنفـــسكَ أن تعيـــشَ مُــذَمَّماً والعــيش صــابْ
إنـــي أعيـــذك بالـــشيوخ كمـــا أعيـــذكَ بالـــشباب

المصادر والمراجع

١- د. شوقي ضيف : البطولة في الشعر العربي ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٠.

٢- ديوان عبد الرحيم محمود - طبعة عمان ، ١٩٥٨ .

٣- المستشار عبد الله العقيل : من أعلام الحركة الإسلامية المعاصرة ، الكويت ، مكتبة المنار الإسلامية ، ٢٠٠١ .

٤- د. عز الدين مناصرة : مشروع الأعمال الكاملة للشاعر عبد الرحيم محمود ، عمان ، دار الكرمل ، ١٩٩٣ .

٥- د. محمود الشلبي : عبد الرحيم محمود شاعراً ومناضلاً ، عمان ، ١٩٨٤ .

٦- د. وليد جرار : شاعران من جبل النار ، عمان ، ١٩٨٥ .

٧- مجلة "الأمالي" البيروتية - السنة الأولى ، العدد ٢١ عام ١٩٣٨ ، والعدد ٢٢ عام ١٩٣٩ .

عبد الكريم الكرمي

(أبو سلمى)

(١٣٢٧ – ١٤٠٠ هـ) (١٩٠٩ – ١٩٨٠ م)

* تقديم
* نشأته وحياته
* أديبٌ منذ نشأته
* شعره
* شعره الوطني
* الجانب الإنساني والاجتماعي في شعره
* نشاطه وإنتاجه الأدبي
* قصائد مختارة من شعره

تقديم

عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) .. شاعر فلسطين الكبير .. وعَلَمٌ من أعلام الأدب المعاصر .. له مكانة بارزة في الأدب العربي ، شعراً ونثراً .. وله دور كبير في مجال النقد الأدبي ، ومجال النقد الاجتماعي ..

كان من فحول الشعراء الذين أنجبتهم فلسطين .. وفي طليعة الأدباء الذين وقفوا مع شعبهم وأمتهم ، ودافعوا عن وطنهم ، والتزموا بقضاياه المصيرية .. وكان له دور فعّال في مقاومة الاستعمار ، ومناصرة الشعوب في كفاحها من أجل حرّيتها ..

نشأته وحياته

ولد عبد الكريم بن سعيد بن علي الكرمي في مدينة طولكرم بفلسطين عام ١٩٠٩م ، وعاش في أسرة اشتهرت بالعلم والدين والأدب ، فقد نبغ عدد من أفرادها كعلماء وأدباء ، فهو شقيق الأديبين أحمد شاكر الكرمي وحسن الكرمي .. ووالده الشيخ سعيد الكرمي عالم مشهور ، وأحد طلائع رجال النهضة العربية المعاصرة .. كان فقيهاً بالدين واللغة ، وشاعراً وأديباً يجيد الخطابة .. وكان أحد ثمانية تأسّس منهم المجمع العلمي العربي بدمشق ، ونائباً لرئيس المجلس .. وعمل من بعد سنة ١٩٢٢م قاضياً للقضاة في حكومة " شرق الأردن " ، ثم رئيساً لأول مجمع علمي في الأردن ، وتوفي في طولكرم سنة ١٩٣٥م .

وكان الشيخ سعيد شديد العطف على ابنه عبد الكريم ، وكان يحرص على أن ينشأ على أفضل الصّفات وأكمل السّجايا .. وقد ترعرع عبد الكريم على هذا العطف ونشأ على تشجيع والده له ، وتغذّى بلبان العلم والأدب .

تلقى عبد الكريم دراسته الابتدائية في مدرسة طولكرم الحكومية .. وفي عام ١٩١٨م انتقل إلى دمشق ، وواصل دراسته .. وفي دمشق كان يحضر مجلس والده ، وفيه أهل علم وأدب ، فكان يستفيد كثيراً من مجالس العلم ، ويقرأ الكتب الأدبية

النافعة .. وقد أتاحت له مجالس العلم هذه تكوين خبرة اجتماعية وإثراء ثقافته وتكامل شخصيته ..

وفي منتصف عام ١٩٢٢م غادر والده دمشق إلى عمان حيث أصبح قاضياً للقضاة ورئيس مجلس المعارف ، فانتقل معه ، ودرس سنة واحدة في مدرسة السّلط الثانوية.. ثم غادر عبد الكريم إلى دمشق ليلتحق بمدرسة التجهيز الأولى (مكتب عنبر) .. وخلال دراسته في المكتب تعرّف إلى فتاة تدعى (سلمى) فأحبّها ونظم فيها قصيدة ، وحين علم أساتذته بذلك كنّوه بأبي سلمى[1] .

وبعد حصوله على شهادة البكالوريا السورية عام ١٩٢٧م ، قصد بيت المقدس، وعُيّن معلماً في المدرسة العمرية ، ثم انتقل إلى المدرسة البكرية ، ثم المدرسة الرشيدية .. وانتسب إلى معهد الحقوق في القدس حيث نال منه شهادة المحاماة .

وفي عام ١٩٣٦م أقالته السّلطات البريطانية من التدريس ، فقد نظم قصيدة نشرتها مجلة الرسالة القاهرية بعنوان (يا فلسطين) هاجم فيها السلطات البريطانية لعزمها على إنشاء قصر للمندوب السامي البريطاني على جبل المكبّر الذي زاره الخليفة العادل عمر بن الخطاب .. فاستدعاه مدير التعليم البريطاني (مستر فرل) ، وأبلغه قراره بفصله من العمل ..

وبعد أن فقد أبو سلمى وظيفته التعليمية بالقدس ، ضمّه صديقه إبراهيم طوقان إلى دار الإذاعة الفلسطينية ، واستمرّ يعمل في جهازها الإعلامي إلى أن استقال من عمله ..

وفي عام ١٩٤٣م قصد أبو سلمى مدينة حيفا وافتتح مكتباً زاول فيه مهنة المحاماه ، وبدأ عمله بالدفاع عن المناضلين العرب المتهمين في قضايا الثورة الفلسطينية .. وأصبح في فترة قصيرة محامياً مرموقاً في فلسطين ، وظل يعمل في حقل

---

(١) ذيل الأعلام ، ص١٢٨ .

المحاماة حتى عام ١٩٤٨م ، حيث اضطر إلى مغادرة حيفا نازحاً إلى دمشق ... وهناك زاول مهنة المحاماة والتدريس ، ثم عمل بوزارة الإعلام السورية .. وأسهم في العديد من المؤتمرات العربية والآسيوية والإفريقية والعالمية .

وفي عام ١٩٨٠م وافته المنيّة ، ودفن في دمشق[1] .

أديبٌ منذ نشأته

كان عبد الكريم منذ صغره يحضر مجلس والده – وفيه أهل علم وأدب – ويستفيد كثيراً من هذا الحضور ، الذي أتاح له تكوين خبرة اجتماعية وثقافية كبيرة... فكان يلقى التشجيع من والده على حفظ الشعر الجيد ... وكثيراً ما كان يطلب منه أن يلقى على مسامع الحضور في المجلس آخر قصيدة حفظها ، ويقوم بتشجيعه على إبراز مواهبه التي بدأت في الظهور في سن مبكرة ، ويكثر من توجيهه إلى حفظ الشعر الجيد ، ليقوى على نظم الشعر ..

ومن الشخصيات التي أثّرت في ثقافة عبد الكريم الأدبية أخوه الناقد الفلسطيني (أحمد شاكر الكرمي) فقد تلقى أبو سلمى الدّربة والصّقل الأدبي على يديه ولقي منه التشجيع ، وتعرّف عن طريقه إلى العديد من الكتّاب والأدباء السّوريين والعرب ..

وكان أيضاً دور واضح في التأثير لمدرسة عنبر التي خرّجت عدداً من الشعراء والأدباء .. ففي هذا المعهد لقي أبو سلمى من معلّميه الرعاية والتنشئة الأدبية الصالحة .. وبهذا نرى أن عبد الكريم قد تغذّى بلبان العلم والأدب منذ صغره .. واستطاع أن يكوّن نفسه تكويناً أدبياً وثقافياً جيداً .. وصار وثيق الصلة بالأدب وبالثقافة العربية القديمة والحديثة والمعاصرة . وقد امتدت ثقافته العامة إلى الأدب

---

(١) الشاعر أبو سلمى أديباً وإنساناً ، ص٢٩ – ٤٠ . وذيل الأعلام ص١٢٨ .

العالمي عن طريق اللغة الفرنسية التي يتقنها ، والمؤتمرات الأدبية والثقافية والسياسية التي حضرها في كثير من أقطار العالم .. أضف إلى ذلك صلته الوثيقة بالأدباء والشعراء في الوطن العربي وفي أقطار العالم الأخرى .

شعره

أبو سلمى .. شاعر وأديب من جيل الشعراء الرّواد الذين سجّلوا بأمانة وصدق أحداث وطنهم وأمتهم ، وأسهموا بالكلمة الحرّة الجريئة في قضايا تلك الأحداث .. شعره يتّسم بالوضوح ، والمعنى النبيل ، والنغمة الأخاذة ، واللغة المتينة ، ويتوافر فيه الخيال المبتكر .. يحس القارئ لشعره بدفء الكلمة وقوّة التعبير وصدق الانتماء..

نظم شعره في مجالات كثيرة ، وجوانب متعدّدة .. ففيه الشعر الوطني الذي نظمه لفردوسه المفقود بخاصة ، ولوطنه العربي بشكل عام . وفيه الشعر الإنساني والاجتماعي ، والرّثاء والأناشيد ، والحب والغزل ، وغير ذلك من فنون الشعر . وقد نظم قصائد رائعة ، كل واحدة منها كأنها لوحة رسمتها يد فنّان عبقري ...

يقول أبو سلمى عن شعره :

شِعْرِيَ جِسْرٌ يلْتقي فوقَه ... أهلي بما يَحْلو وما يَشْجُن
يَعْبَقُ شِعْري بِشَذا موطني ... لولاهُ لا يزكو ولا يَحْسُن
يا وطني !.. لا تَأْسَ إنّا على ... عَهْدِكَ ، مهما طالت الأزْمن
تَغْنى الزَّعاماتُ وأشباهها ... والخالدان : الشّعْبُ والمَوْطِن

لقد أراد أبو سلمى للشعر أن يكون فنّاً جماهيرياً شعبياً يصوّر كل إحساسات الشعب ومعاناته ، وما يجري حوله من أحداث .. فشعره يكاد يكون سجلاً للنكبة

بكل أبعادها .. وهو يفرّق بين الشعر الملتزم بقضية شعبه والشعر المأجور ، ويضع حدّاً فاصلاً بين نوعين من الشعر فيقول : الشّعر كالناس في الكون حرف حرٌّ وحرف ذليل ، وإنّ الشعر الحق هو الشعر الملتزم بقضايا الجماهير وآلامها وآمالها ..

كيف يمشي القلم المأجور في ساحة تجتاحها النار اجتياحا
في صرير القلم الحُرّ صدى ثورة الشعب هتافاً وصداحا
حاربوا الظلم مدى الدهر إلى أن يرفّ الكون طهراً وصلاحا
وإذا المستعمرون انتشروا يملأون الأرض جوراً واجتراحا
حرّروا الدّنيا من استعمارهم شرف الإنسان أن يقضي كفاحا[1]

ثم يخاطب رواد الشعر في العالم العربي فيدعوهم إلى النهوض بمسؤولية الشعر في الذود عن حقوق الإنسان ، وأن يهبطوا من أبراجهم العاجية ويتحملوا مسؤولياتهم بحماية شرف الحرف المضيء وراية الشعر المناضل[2] :

أيها الحاملون ألوية الشعر تهاوى الستار والتمثيل
إن تشريد شعبنا يخضب الشعر وتدمى حروفه والنّصول
فاهبطوا لا ترابطوا في البروج البيض فالشعر كلّه مسؤول
شرف الحرف أن يذود عن الحق فإن رمتمُ المقال فقولوا
إنه الحرف جلّ أن يشتريه حاكم ظالمٌ وعلجٌ دخيل

(١) الشاعر أبو سلمى أديباً وإنساناً ، ص٨٢ .
(٢) الشاعر أبو سلمى أديباً وإنساناً ، ص٨٣ .

هذا هو شاعرنا أبو سلمى .. وهذا رأيه في الشعر والشعراء أما رأي الأدباء في شعره ، فيقول الأستاذ أكرم زعيتر : إلتقينا في دمشق " أكرم زعيتر ، وبدوي الجبل، وعبد الكريم الكرمي " .. وأذكر أن أبا سلمى أهدى لبدوي الجبل (الفلسطينيات) فقرأ بعضها ثم تناول القلم والورق ودبّج :" إن شعرك كالعطر ، أرجُه يثني عليه ، ويهدي إليه . حزن شعرك على فلسطين حزن هادئ وجيع ، إنه حزن الثاكلات ، لا حزن النائحات . جمال شعرك في حزنه ، إنه لا يلطم الصّدور ، ولا يبالغ في الصّراخ ، بل هو حزن هادئ لأنه عميق ، ومحبب لأنه صادق ، وسريع العبور إلى الضمائر لأنه نابع من ضمير . إن جراحك في شعرك هي التي تبكي ، لا مقلتاك ، والمصيبة عندما تكبر في هولها وغمراتها ، تكبر كذلك في سجيتها وشمائلها ، فلا تكون دموعاً مبهرجة ، ولا دعاية مهرّجة . سلمت العبقرية التي ينبع منها شعرك ، ولا أقول سلمت الأحزان التي يعبق منها سحرك "[1] .

شعره الوطني

بعد الحرب العالمية الأولى ، وسقوط الخلافة العثمانية ، تمزّق الوطن العربي إلى أقطار ودويلات خاضعة للاستعمار ، وأصبحت فلسطين جزءاً منفصلاً عن الكيان العربي ، خاضعاً للانتداب الانجليزي . وبدأ العمل منذ ذلك الحين على تنفيذ الاستعمار الانجليزي الصهيوني المزدوج على فلسطين ، مما جعل الإنسان العربي الفلسطيني يبحث عن ذاته العربية ويعمل على إثباتها بنضاله الوطني خلال العقد الثاني والثالث والرابع من القرن العشرين .. وأصبحت مأساة فلسطين وما تزال الجرح الدامي الذي لن يندمل في نفوس الشعراء ..

---

(١) الشاعر أبو سلمى أديباً وإنساناً ، ص١٢ .

وهبّ الشعراء من أبناء فلسطين ليأخذوا مكانهم الطليعي ، ودورهم في كشف وفضح التآمر والتلاحم بين الاستعمار والصهيونية ، ففتحوا عيون الناس على واقعهم السّيء ، ووضعوهم أمام مسؤولياتهم ..

وكان شاعرنا (أبو سلمى) واحداً من الشعراء الذين تصدوا لتوجيه وإرشاد شعبهم وأمتهم .. وأخذوا يحذرون الناس ، ويفضحون أمامهم المؤامرات الشريرة على وطنهم ... وبذلك غدا الشعر الفلسطيني مَعْلماً من معالم الوعي في فلسطين ، ومظهراً من مظاهر يقظة أهلها .

وبقدر ما كان الشعر العربي في فلسطين دعوة لانتصار الحق والعدل في فلسطين، فقد كان في الوقت نفسه ، تمجيداً لحركات التحرير في البلاد العربية وإشادة بالبطولة والبسالة التي أبداها المناضلون من أبناء الوطن العربي وهم يقدّمون أرواحهم في سبيل بلادهم[١] ..

وعاش شاعرنا (أبو سلمى) هموم شعبه قبل النكبة ، وتجرّع مرارة الغربة.. وواكب النكبة مرحلة بعد مرحلة .. وسجّل الأحداث ، وتصدّى لمفاهيم الثورة والجهاد ، وتغنى بحب الوطن ... والتصق شعره بالأرض وتشبّث بالقرية والمدينة والشارع وما تحمله تلك الأماكن من أسماء اقترنت بلحظات وذكريات ظلت تعيش في مخيلته .. وتحولت فلسطين عنده إلى رمز ، لأنها مرتبطة بالصّراع العربي ضد الاستعمار ، وبالهموم العربية كلها .. ففلسطين عند أبي سلمى همٌّ خاص ، لكنه همّ عربي ، وهو يعيش هذه القضية بكل جوارحه ويريد أن يعيشها كل عربي بكل جوارحه .. وهكذا تأخذ فلسطين حجمها الحقيقي ، وتظل همّاً وطنياً .

لقد كان شعر أبي سلمى الوطني تصويراً أميناً للحالة السّيئة التي تردّى إليها وطنه ، وذلك بعد تنفيذ المؤامرة الاستعمارية الصهيونية ضد فلسطين ، والتي شاركت فيها عصبة الأمم في التغطية على الاستعمار وإخفاء حقيقته ..

---

(١) الشاعر أبو سلمى أديباً وإنساناً ، ص٤٢ .

فتناول أبو سلمى عصبة الأمم التي أقرّت الانتداب البريطاني على فلسطين ، وناقش سياستها المتناقضة ، ومبادئها المزيّفة ، فقال في قصيدة بعنوان " المشرّد "[1] :

قـم تأمـل تـرَ الـشّعوب يجـرّون ... قيـــوداً مـــن الحديـــد المـــثلّم
بيـــنهم عـــصبة الأراقـــم تـــسعى ... كلمـــا غـــاب أرقـــمٌ لاح أرقـــم
حرّمـوا الظلـم بيـنهم واسـتراحوا ... ولـــدينا يحلّلـــون المحـــرّم
كـــل يـــوم لجنـــة فكتـــابٌ ... لا تـــرى فيـــه غـــير ظلـــم مـــنظم

وأبو سلمى الذي كان على صلة بثورة القسّام عام " ١٩٣٥م " ... والذي كان يتتبع دروسه التي كان يلقيها في جامع الاستقلال بحيفا .. يلهب المشاعر ، ويهزّ العواطف ويحشد الأماني وهو يرى ثوار فلسطين " ١٩٣٦م " يفدون الوطن بالدماء والأرواح ، ويواصلون الثورة .. وتستعمل الحكومة البريطانية كل وسائل الإرهاب والتنكيل لقمع الثورة وإخمادها .. وتصدر محكمة حيفا العسكرية حكمها بالإعدام على المجاهد الشيخ فرحان السعدي – أحد رفاق الشيخ القسّام – وذلك في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان عام ١٣٥٦هـ الموافق للرابع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٣٧م وكانت التهمة الموجهة إليه ، هي حيازة أسلحة . وقد رفضت المحكمة الاستماع إلى مرافعة المحامين ، كما رفضت شهود النفي .. ولهذا امتنع الشيخ الصائم عن الكلام ..

ويخلّد أبو سلمى ذكرى استشهاد الشيخ المجاهد في قصيدته المعروفة " بلهب القصيد " .. والتي يقول فيها [2] :

(١) ديوان أبي سلمى " المشرّد " ، ص٢٨ .
(٢) ديوان أبي سلمى ، ص٢١ – ٢٤ .

أنــشرْ علــى لهــب القــصيد شــكوى العبيــد إلى العبيــد
شــكوى يردّدهــا الزّمــان غــداً إلى الأبــد الأبيــد
سُــحقاً لمــن لا يعرفــون ســوى التعلّــل بــالوعود

۞ ۞ ۞

قومــوا اسمعــوا مــن كــل ناحيــة يــصيحُ دم الــشّهيد
قومــوا انظــروا القــسّام يُــشرق نــوره فــوق الــصّرود
يــومي إلى الــدّنيا ومَــنْ فيهــا بأســرار الخلــود
قومــوا انظــروا فرحــان فــوق جبينــه أثــر الــسّجود
يمــشي إلى حبــل الــشهادة صــائماً مــشي الأســود
ســبعون عامــاً في ســبيل الله والحــقّ التّليــد
خجــل الــشباب مــن المــشيب بــل الــسّنون مــن العقــود

ويصوّر أبو سلمى جرائم الانجليز في فلسطين وما ارتكبوه من مظالم وهم يخمدون الثورة فيقول :

هــل تــشهدون محــاكم التفتــيش في العــصر الجديــد
قومــوا انظــروا الأهلــين بــين الوعــد ضــاعوا والوعيــد
مــا بــين ملقــىً في الــسّجون وبــين منفــيٍّ شــريد
أو بــين أرملــة تولــول أو يتــيم أو فقيــد
أو بــين مجهــول يــرى عــصف المنــون مــن النــشيد
قومــوا انظــروا الــوطن الــذبيح مــن الوريــد إلى الوريــد
تتــزاحم الأجيــال داميــة الخُطــى حــول اللّحــود

ولمّا عزمت السلطات البريطانية في عام ١٩٣٦ على إنشاء قصر للمندوب السامي البريطاني على جبل المكبّر المشرف على مدينة القدس – وهو الجبل الذي وقف عليه الخليفة عمر بن الخطاب وكبّر قبل دخول القدس .. نظم أبو سلمى قصيدة نارية بعنوان " يا فلسطين " هاجم فيها السلطات البريطانية .. فاستدعاه مدير التعليم البريطاني (مستر فرل) ، وسأله : هل أنت ناظم قصيدة " جبل المكبر " .. فردّ بالإيجاب ، ففصله من العمل .. وهذه أبيات من القصيدة التي روّعت الحكومة البريطانية في ذلك الحين[1] :

ثوري ولو فرش الذين طغوا على ... طرق الجهاد أسنةً ونصولا
إيهٍ فلسطين اغضبي وتحرّري ... ضاعت حقوقكِ بين قال وقيلا
أمهلتِ ظالمكِ العتلّ وما درى ... أنّ التهامس يستحيل صليلا

✡ ✡ ✡

جبلَ المكبّر .. طال نومكَ فانتبهْ ... قم واسمع التكبير والتّهليلا
فكأنما الفاروق دوّى صوته ... فجلا لنا الدّنيا وهزّ الجيلا
جبلَ المكبر لن تلين قناتنا ... ما لم نحطّم فوقك البستيلا

وكان أبو سلمى يعشق فلسطين وأرض فلسطين .. وعشقه لهذه الأرض يتضح في التغني بمظاهرها وصفاتها ، وبأشجارها وأعشابها ، وبشمسها وكواكبها ، بنداها وعطورها ، بأزهارها وسواقيها .. وهو إذ يرمز لهذه الأرض بالمرأة فإنما ليعطي صورة التداخل في العشق بين فتاة بلاده في سماتها وملامحها والأرض التي هي رمز العطاء والحُبّ والخِصْب المثمر ..

---

(١) ديوان أبي سلمى ، ص١٧ – ١٨ ، ومجلة الرسالة القاهرية – العدد ١٥٤ في ١٥ / ٦ / ١٩٣٦م .

استمع إليه وهو يقول [1] :

كُلّما حاربتُ من أجلكِ ... أحْببتُكِ أكثر
كُلّما دافعتُ عن أرضكِ ... عودُ العمر يخضر
وجناحي يا فلسطين على القمّة يُنشر

ولأبي سلمى قصائد جميلة ومؤثرة قالها في الرثاء .. منها قصيدته في رثاء القائد المغوار محد صالح الحمد المكنى " بأبي خالد " ، الذي استشهد في معركة خاضها ضد الإنجليز بين رام الله ونابلس ، في ١٩٣٨/٥/١٨ وشيعته فلسطين إلى قرية (سيلة الظهر) بمنطقة جنين .. فنظم أبو سلمى هذه القصيدة التي أصبحت نشيداً للثوار الذين قطعوا العهد على الثأر .. وقال فيها [2] :

وقفتُ أناجي "سيلة الظهر" باكيا … وأذللت دمعي بعدما كان عاصيا
أبو خالد يا "سيلة الظهر" .. خالدٌ … يُزَفُّ إلى العلياء سيفاً يمانيا
يَمتُّ إلى "القسّام" بالنورُ والهدى … ولّما يزلْ فينا إماماً وهاديا
سنثأر ما عشنا ويثأر بعدنا … بنونا بثورات تشيب النّواصيا
فيا دهر لا تغلق على المجد واستمع … ألوف الضحايا تقرعُ الباب ثانيا

الجانب الإنساني والاجتماعي في شعره

أبو سلمى شاعر أديب .. نظم شعره في جوانب متعدّدة .. منها الجانب الإنساني والجانب الاجتماعي ..

---

(١) ديوان أبي سلمى ، ص٢٩٩ .

(٢) ديوان أبي سلمى ، ص٦٧ – ٦٨ .

ففي الجانب الإنساني نجد في شعر أبي سلمى سمات وملامح إنسانية ، فهو يغنّي لقضية التحرّر العالمي ، ويريد الحرية لوطنه كما يريدها لسائر الشعوب والأوطان .. وقد كان لإسهامه في المؤتمرات الدولية الأدبية منها والسّياسية ، أن فُتحت أمامه آفاق واسعة يطلّ منها على ثورة الإنسان المعاصر ضد الظلم والاستغلال..

ولإبراز الجانب الإنساني في شعر أبي سلمى لابد أن نتتبع مواقف الشاعر من قضايا العلاقات الإنسانية ، وقضايا الحروب العدوانية والعنصرية ، وأن نتلمّس في بعض قصائده الإنسانية شيئاً من عناصر الوطنية ..

ففي قصيدته " رمضان السّمح الكريم " يذكر المسلمين في كافة بقاع الأرض بالمعاني السّامية التي تستوحى من هذا الشهر الفضيل ، ففيه تجربة روحية يدرك الإنسان عن طريقها ما بينه وبين الآخرين من ترابط لا فرق في ذلك بين أبيض وأسود وبين جنسيّة و أخرى .. فقد وحّد بينهم هذا الشهر وربط قلوبهم برباط مكين ، يتلاقون فيه على طريق واحد وشعور واحد يرقى بهم إلى أعلى مستويات المحبة الإنسانية ...

رمضان السّمح الكريم يد الله على العالمين عذب النمير
كلما أصغت النفوس إليه طهرت من ضلالة وفجور
أنت من علّم المساواة فالناس سواء في بردك المنشور
أنت وحَّدْتهم فلا فرق ما بين يتيم وبين ربّ سرير[1]

وبوعي الإنسان المناضل يرى أبو سلمى في ثورة شعبه على الاستعمار ثورة على الظلم والجهل والفقر من أجل عالم واحد تتوافر فيه الحرية لكافة بني البشر :

---

(١) ديوان أبي سلمى ، ص٣٤ – ٣٥ .

وحريّة الفكر نحن الذين رفعنا لواها كما تعلمين
ونحن الذين نثور على الظلم والجهل والفقر في كل حين
ومبدأنا عالمٌ واحدٌ وتخليد حرّية العالمين(1)

وفي الجانب الاجتماعي من شعر أبي سلمى نراه وقد استأثرت قضية تحرير الإنسان الفلسطيني والعربي من الاستغلال والاضطهاد باهتمامه .. فينظم قصيدة بعنوان " الشعب " يتحدّث فيها عن الطبقات الفقيرة المسحوقة ويلقيها في المؤتمر الثالث للعمال العرب الذي عقد في يافا بتاريخ ٦ أيلول ١٩٤٧م ، فيقول(2) :

يا أيها الشعب المُفدّى ... قلْ لي بربّك كيف تهدا
يتدفق العذبُ الزّلال ... فيرتوون وأنت تصدى
تكسوهم حُلَلَ الرّبيع ... وينكرون عليك بُرْدا
أنت الذي تهب الخلود ... فيحملون إليك لحدا

ويمدح فيها العمال أصحاب السّواعد السّمراء الذين يكدحون ويعرقون ليعملوا على تطوير الوطن .. ويعتبر كدحهم هذا نضالاً في سبيل الحرية ، وخطوة في سبيل تحرير الوطن من العبودية والاستغلال ، فيقول :

أهلاً بعمال البلاد ... نزفّهم شيباً ومُرْدا
أنتم إذا احْمرّ الحديد ... حماتها سهلاً ونجدا
من مثلكم عند اللّقا ... أعلى يداً وأعزّ جندا
أهلاً بعمال البلاد ... يحاربون من استبدّا
الفجر خلف ركابهم ... يهدي الورى والرّكب أهدى

---

(1) ديوان أبي سلمى ، ص١١ .

(2) ديوان أبي سلمى ، ص٥٥ – ٥٦ .

نشاطه وإنتاجه الأدبي

كان أبو سلمى شاعراً مبدعاً وكاتباً بارعاً ، يُحسن التصرف في فنون القول والكتابة ، فكانت له مقالات ماتعة ، ودراسات رائعة .. وقد انتشرت هذه الآثار القلمية في الصحف أو أُلقيت في المحاضرات والندوات أو المؤتمرات الأدبية .

وكان ناقداً أدبياً له دراسات نقدية محكمة ، وناقداً اجتماعياً عالج عدداً من الموضوعات الاجتماعية بآراء ناضجة ولهجة صادقة .. وكان في نقده الاجتماعي يلتزم بقيم المجتمع ويتجه إلى الإنسان معبّراً في ذلك عن التزامه بقضايا الشعب والوطن ، وهموم الإنسان العربي ..

وكانت له جولات في نقد شعراء فلسطين ، لعلها كانت أولى محاولات النقد الشعري في فلسطين . وكان يرفد إذاعة القدس بروائعه الشعرية ... وعندما تولّى الأستاذ زعيتر تحرير (مرآة الشرق) المقدسية سنة ١٩٣٠م ، رافقه أبو سلمى بتحرير شطرها الأدبي متطوّعاً .

بدأ أبو سلمى بالكتابة في عام ١٩٢٦م حينما نُشرت له قصيدة في مجلة الميزان الدمشقية ، التي كان يصدرها أخوه أحمد شاكر الكرمي ، وكان أبو سلمى وقتها طالباً في مدرسة التجهيز (مكتب عنبر) بدمشق ، وتوالى بعد ذلك نشر قصائده في مجلة الزهراء القاهرية ، وفي مجلة المعرض البيروتية ، ثم في مجلة الرسالة القاهرية .

أما نشاطه في الصحف الفلسطينية فقد بدأ في الثلاثينيات حيث كان يحرّر الصفحة الأدبية في جريدة فلسطين اليافية ، كما كان يكتب في زاوية " أزهار وأشواك" في جريدة الدفاع اليافية ، وكان عضواً في رباطة القلم الفلسطينية .

وفي مرحلة ما بعد النكبة تولّى الإشراف على الصفحة الأدبية في مجلة "المضحك المبكي " بدمشق وكان ذلك في السّتينيات .. كما أسهم بمقالاته وقصائده في المجلات العربية والسورية كمجلة المعرفة السورية ، والهلال المصرية ، والعربي

الكويتية ، والمجتمع العلمي العربي بدمشق ، والقبس بدمشق ، ومجلة الثقافة الجزائرية .

وقد صُنّف في سيرة أبي سلمى وأدبه عدد من الدراسات : منها دراسة منهجية متكاملة قام بها الدكتور مصطفى الفار ، درس فيها شعره وأدبه دراسة شاملة متئدة، تمتد من أواخر العشرينات حين كان فتىً يافعاً ، وحتى أصبح في سن الشيخوخة . وقد اهتم في دراسته هذه بدور أبي سلمى في مقاومة الاستعمار ومناصرة الشعوب في كفاحها من أجل حريتها ، وحياتها وكرامتها الإنسانية ..

وقد جمع في دراسته بين المنهج الفني والمنهج التاريخي .. وكان كتابُه أطروحة نال بها درجة ماجستير في الأدب العربي ، بعنوان " الشاعر أبو سلمى أديباً وإنساناً " .

ومن الدراسات التي كُتبت عن أبي سلمى أيضاً : دراسة بعنوان (أبو سلمى زيتونة فلسطين) لعلي حسين خلف . ودراسة بعنوان (أبو سلمى والتجربة الشعرية) . ونشر المازني وزكي مبارك بعض الدراسات عنه .

وقد قرّرت اللجنة الخاصة بجائزة اللوتس المنبثقة من منظمة الأدباء الأفرو – آسيوية منح أبي سلمى جائزتها لعام ١٩٧٨م .. كما أُقيم لأبي سلمى مهرجان تكريمي في بغداد ، أقامه الاتحاد العام للأدباء العرب وبالتنسيق مع اتحاد الكتّاب في العراق واتحاد الصحفيين والكتاب الفلسطينيين في يومي ١٠ و ١١ كانون الثاني ١٩٧٩م .

مؤلّفات أبي سلمى

كان أبو سلمى أديباً كبيراً من جيل الرّواد الذين سجلوا بأمانة وصدق أحداث البلاد قبل النكبة وبعدها ، وأسهموا بالكلمة الحرّة الجريئة في قضايا شعبهم وأمتهم.. فقد عاش هموم شعبه قبل النكبة ، وتجرّع مرارة الغربة ، وواكب النكبة

مرحلة بعد مرحلة وسجّل أحداثها بعمق ورويّة .. وكان يصدر عن شعور إنساني صادق ، ووعي عميق بالأبعاد الحقيقية للقضية الفلسطينية ..

وقد خلّف للمكتبة العربية مجموعة كتب مطبوعة ، ما بين مجموعة شعرية ، وتاريخ لكفاح شعب وسير أشخاص وتراجم ، فضلاً عن مقالات ومحاضرات لو أنها جمعت لتألّف منها عدة كتب ، ومن كتبه :

١- ديوان " المشرّد " — نشر مكتبة أطلس بدمشق ، وقد صدرت الطبعة الأولى منه سنة ١٩٥٣م ، والثانية سنة ١٩٦٣م ، ويضم ٣٧ قصيدة .

٢- مجموعة " أغنيات بلادي " — نشر مكتبة أطلس بدمشق ، صدرت سنة ١٩٥٩م ، وتحتوي على ٣٦ قصيدة .

٣- مجموعة " أغاني الأطفال " — نشر وتوزيع مكتبة أطلس بدمشق ، ١٩٦٤م .

٤- مجموعة " من فلسطين ريشتي " نشر وتوزيع دار الآداب ، بيروت ، ١٩٧١م .. وتحتوي على ثلاث عشرة قصيدة .

٥- ديوان أبي سلمى — نشر وتوزيع دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٨م ، ويحتوي ١٧٣ قصيدة .. ويضم مجموعاته الشعرية : المشرد ، وأغنيات بلادي ، ومن فلسطين ريشتي ، وأغاني الأطفال ، كما يشتمل على القصائد التي لم تتضمنها مجموعاته مما كان قد نشر في الصحف .

٦- كفاح عرب فلسطين — نشر وتوزيع مكتبة أطلس بدمشق ، ١٩٦٥م .. وقد أدّى أبو سلمى بكتابه هذا خدمة للقضية الفلسطينية خاصة ، والقضية العربية عامة ، لأنه عالج وبحث قضية بلاده وكفاحها العادل بصدق وإخلاص وجرأة .. فالكتاب دراسة تاريخية لمراحل النضال الفلسطيني ، وفيه تأكيد على رسوخ قدم الشعب وصلابته في كفاحه العادل ضد الظلم والاضطهاد من أجل الحرية .. وفيه توضيح للدور الحقيقي الذي قام به الاستعمار الأنجلو أمريكي في صنع المأساة ، وحقيقة

أداته ومخلبه " إسرائيل " التي أقامها في قلب البلاد العربية لتكون قاعدة الاستعمار والعدوان ولتحول بين العرب وتحقيق أهدافهم في الوحدة والحرية[1] .

٧- أحمد شاكر الكرمي – مختارات من آثاره – ، نشر وتوزيع مكتبة أطلس ، ١٩٦٤م ... وهذا الكتاب عن حياة وآثار الكاتب الناقد أحمد شاكر الكرمي .

٨- الشيخ سعيد الكرمي – سيرته العلمية والسياسية – نشر وتوزيع المطبعة التعاونية بدمشق ، ١٩٧٣م .

٩- ثورة فلسطين – مسرحية شعرية – مخطوطة .

---

(١) الشاعر أبو سلمى أديباً وإنساناً ، ص٢٣٢ .

قصائد مختارة من شعره

١

جبل النار

جبل النار .. اسم يُطلق على جبال منطقة نابلس (نابلس – جنين – طولكرم) التي دارت فيها معارك بطولة بين المجاهدين والقوّات البريطانية الغازية .. فمن جبال هذه المنطقة أعلن الشيخ عز الدين القسّام أول ثورة مسلّحة ضد الإنجليز في معركة يعبد عام ١٩٣٥م ، وأطلق فيها شعاره الخالد : " هذا جهاد .. نصرٌ أو استشهاد " ..

ومن هذه الجبال فجّر الشيخ فرحان السّعدي ثورة فلسطين الكبرى في معركة نور شمس عام ١٩٣٦م ، وأطلق الرّصاصة الأولى في الثورة .. ووجّه المجاهدون ضربات موجعة لجيش الاحتلال البريطاني ، الذي أطلق على المنطقة اسم (مثلث الرُّعب) ..

فحين اشتعلت الثورة ، وقدّم لها أبناء فلسطين أرواحهم ، وامتّد لهيبها فوق سفوح الجبال .. شرع أبو سلمى في تمجيد الثورة والثوار ، فصوّر في أبيات هذه القصيدة المعارك الطاحنة التي كان يخوضها ثوّار فلسطين فوق الجبال ضد القوات البريطانية المجهّزة بالطائرات والأسلحة الثقيلة ، فلا يزيدهم لهب المعارك وضراوتها إلا استبسالاً وصموداً ..

يقول الأستاذ الأديب أكرم زعيتر[1] : عندما نشبت الثورة الكبرى سنة ١٩٣٦، أخذ أبو سلمى يرفدها بقصائده الرائعات ، فكانت زاداً للشباب في معتقلاتهم.. ويتابع كلامه فيقول : تسلّلت إلينا – في المعتقل – مجلة (الرسالة) القاهرية وفيها قصيدة (جبل النار) وكنّا لا نزال في نشوة من أنباء انتصارات الثوار، وإسقاطهم الطائرات البريطانية ، وفيها يحيّي الثائرين ويمجّد جبل النار.

---

(١) الشاعر أبو سلمى أديباً وإنساناً ، ص١١ .

أبيات القصيدة [1]

===================

جبل النّار يا أعزّ الجبالِ أنتَ لا زلت ، معقد الآمالِ

تُنبت المجدَ فوق سفحك فينان وتسقيه من دم الأبطال

يُفصح الصّخر عن شمائل أبنائك فوق اللّظى وعند النّزال

ما ذكرنا حماك إلاّ انتسبنا وانتشت نخوةً رؤوس الجبال

۞ ۞ ۞

أيّها الثائرون في جبل النار سلاماً يا زينة الأبطال

لكم الله يا حماة فلسطين زحمتم مصارع الآجال

تحملون الأرواح فوق أكُفٍّ وَتَبيعونها ولكنْ غوالي

ورصاصاتكم تمرُّ على الأيّام حُمراً مضيئة في اللّيالي

تَصْرعُ الطائراتِ مثل طيور الجوّ تهوي ما فوق تلك التّلال

يسمعُ الجند في صداها لُغى الموتِ فلا يَثْبتون يوم القتال

۞ ۞ ۞

أيّها الثائرون قولوا ، فإنّ الكون يُصغي إلى لهيب المقال

والمعوا في غياهب الظلم تجلوها فإنّ الجهاد رحب المجال

إنّما الحقّ من بنادقكم يسطع والعدل من وراء العوالي

انظروا اليوم كيف يلتفت التاريخ حتى يرى بريق النّصال

۞ ۞ ۞

---

(١) مجلة الرسالة القاهرية – العدد ١٦١ في ٣ / ٨ / ١٩٣٦م .

جبـل النّـار زأرة تجعـل الـدّهر يُحيّـــي مُحطِّـــمَ الأغـــلال
جبـــلَ النـــار لم تخلّـــدك إلاّ ثـــورة في ســـبيل الاســـتقلال
جبـل النّـار ! إقـذف النّـار حتّـى نُبـصرَ النّـورَ يـا أعـزّ الجبـال

قصائد مختارة من شعره

٢

من فلسطين ريشتي

أبو سلمى (عبد الكريم الكرمي) .. شاعر فلسطين الكبير .. وأستاذ الشعر العربي المقاوم الذي تتلمذ على يده جيل من الأدباء العرب .. شعره يعتبر من أنصع صفحات الكفاح الشّجاع وأكثرها توهجاً في تاريخنا المعاصر ..

هذا الشاعر الرائد نظم قصيدة رائعة بعنوان " من فلسطين ريشتي " وألقاها في مهرجان الشعر الثامن الذي عقد في القاهرة في أواخر آذار (مارس) ١٩٦٨م في أعقاب المؤتمر السادس للأدباء العرب ... وسط عاصفة من التصفيق الذي استعاد أبياتها مرّة تلو مرة ...

وتحدّث في هذه القصيدة عن الفجيعة التي وقعت بهزيمة حزيران سنة ١٩٦٧م، والتي كانت بداية مرحلة بالغة الخطورة في الوجود الاستعماري الصهيوني في منطقة الوطن العربي .. ولكنها كانت أيضاً مرحلة جديدة في النضال العربي ضد هذا الوجود ...

ولقد كان أبو سلمى سبّاقاً في استجلاء إحباطات الواقع العربي مقرّراً أنّ على حاملي ألوية العار والهزيمة أن يتخلّوا عن حومة الميدان ويسلموا الشعب أمره .. ويتساءل أبو سلمى عن موعد تفجير الثورة الفلسطينية التي يرى أنها البديل الوحيد لغسل عار الهزيمة وتحرير الأرض المغتصبة ... فالكفاح المسلّح هو الذي يصنع غد القضية ، ويشيد صرح مستقبلها ..

أبيات القصيدة [١]

مِنْ " فلسطين " ريشتي وَبَياني فعَلى الخُلْدِ والهوىَ يَدْرُجان
مِنْ " فلسطين " ريشتي ، وَمِنَ " الرَّملةِ " و " اللِدّ " صُغتُ حُمْرَ الأَغاني
مِنْ شذا برتقال " يافا" قوافيها ومن سهل "طولكرم" المعاني
أَحرفي من قطاع "غزة" والشاطيءِ تمشي مصبوغة الأردان
يوم غابت نابلس مخضلَّةَ العينين ، لم تغتمض لنا عينان
من " فلسطين" ريشتي ، وجناحاها إلى عالم الجوى ، الضفتان
ومن "الأُردن" الحبيب أُروّيها لتندى ، شجيّة الألحان
ومن الضفة الحزينة ، لا أنشر إلاَّ – فوق الدُّنى – أشجاني

۞ ۞ ۞

ريشتي في يدي ، ومن جبل النار لظاها ، فالحرف أحمرُ قاني
ريشتي في مدادها الدَّمُ والدَّمعُ ، وراءَ السُّطور ، يمتزجان
ريشتي في حفيفها جهشةُ الأقصى على أهلهِ ونوحُ الأذان
" دير ياسين " في الشَّباةِ مع " القسطل " خلف السّواد يعتنقان
ريشتي في يدي أخوضُ عُبابَ الهول،طلق الجناح،ثبت الجنان
ترتمي حولها الأعاصير أشلاءَ ، إذا ما جرت وراءَ بناني
ريشتي في يدي ، تسير أمام الشعب في زحفها على الطغُّيان
ريشتي في يدي ، تشقُ الدُّروب البكرَ ، تحمي حرية الإنسان

۞ ۞ ۞

---

(١) ديوان أبي سلمى ، ص٣٠٨ – ٣١٢ .

أيها الحاملون ألوية العار !... تخلوا عن حومة الميدان
سَلِّموا الشعب أمره واستريحوا يا حماة الأصنام والأوثان
كُلُّ جيش يكونُ حرباً على الشعب ، ذليلٌ ، إذا الْتقى الجْمعان
عاصفٌ بين أهلهِ ونسيمٌ للمغيرين ، شأن كل جبان
يومَ هَبَّتْ على حدودكم النَّارُ ، جثوتم أمام كل دخان
يأنفُ التُرب أن تمرّوا عليه وتصابُ الرمالُ بالغثيان
كُلَّ يوم تجددون الشعارات ، فراراً من أزمةِ الوجدان
بعد حربِ التَّحرير قد أصبح اليوم شعاراً ، إزالةُ العدوان

۞ ۞ ۞

وتقولون دولةٌ .. ونراكم دولاً ، كلُّ دولةٍ بكيان
وتقولون : وحدةٌ .. ولديكم كلُّ جُزءٍ مجزَّأٌ لِثمان
ثُمَّ حريةً .. تقولون للناس وما فيكمُ سوى سَجَّان
وتقولون : نحنُ نَحكُمُ باسمْ الشعب ... أستغفرُ العظيم الشَّان
أينَ تُمسُون ؟! لو غدا كلُ شعبٍ حاكماً في البلاد ذا سُلطان!..

۞ ۞ ۞

وتحلُّون .. كلّما أقبلَ اللّيلُ .. خفايا أُموركم ، باللّجان
هلْ تداوون بالبيانات جُرحاً أو يُزيل اجتماعكم ما نعاني
ليتَ شِعري !.. متى يُفجّرُ شعبي في "فلسطين" ثورة البُركان
و "فلسطين" لن تضيعَ وأهلوها يخوضون هولَ كلّ عَوان
إنّ جيشَ الشَّعب المُشرَّد أقوى من جيوشِ الحرير والطَّيلسان
إنّ جيشاً يُرجى لتحرير شعبٍ غيرْ جيشِ الكرسي والصَّولجان

۞ ۞ ۞

شعراءَ الجليل والشاطِيء الغربيّ ! .. أنتمُ طلائعُ الفُرسان
شِعْرُكُمْ – مثلكم – خلودا ويسري من "فلسطين" فيه نفحُ الجِنان
من "شفا عمرو" الجريحةِ و "البِروةِ" من "كوكب الهواء" ومن "بيسان"
زنتمُ الليل بالحروف نجوماً يا أحباي في أحب مكان
تتحدّون بالقوافي المدماةِ نضالاً ، عصابة الشيطان
طلعَ الشعر فوق أرضكم الخضراء غرساً مخضَّب الأغصان
كل شعر سواهُ ، تلوي به الريح ، ويطويه عالم النَّسيان
شعركم وحدهُ يُعمّقُ في الأرض جذورَ الصُّمود والعنفوان
شعركم وحدهُ المجلجل في السّاح ، رفيقُ السّلاحِ في المَعْمَعان

✡ ✡ ✡

أيها الأهل ! – في القطاع وفي الضفة ، لو تُنطق الدموعُ لساني
يعصب الجمرُ جانبيه ، وهل أبلغُ مما لم تَروْهِ الشفتان
تلك أكبادُنا المُمزقة ، الحرَّى ، على كلّ شفرةٍ وسِنانِ

✡ ✡ ✡

أيها الثائرون في جبل النار !.. وُقيتم غوائل الحدثان
دمُكُمْ وحده يُروي البطولات .. وتغلون تُربةَ الأوطان
عندما تخطرون .. تزدهرُ الأرضُ وتُهدي غلائل الريحان
نحنُ أسرى .. وأَنتمُ أنتمُ الأحرارُ .. خلفَ السُّجون والقُضبان
الفدائيُّ وحدهُ النَّاشرُ الأمجاد .. فوقَ المُروج والغُدران
إنهُ وحدهُ المُعصّبُ في الخُلّد .. إذا قيلَ فارسُ المهرجان

✡ ✡ ✡

أتُراها الأيام فوق السفوح الخضر ، ترمي بنا وفوق الرّعان
نتلاقى .. رفاق دربٍ .. كما كُنَّا ونمضي نجتاز عبرَ الزَّمان
لنْ تُضيءَ الدُّنيا .. إذا لم يُطلَّ الفجرُ من أرضنا مع النيران

قصائد مختارة من شعره

٣

الدّمُ العربيّ المطلول

هذه القصيدة نظمها شاعرنا أبو سلمى بعد غربة طالت وانتظار لفجر مرتقب ، وشوق للوطن لا حدّ له ..

ومن لهيب هذا الشوق تنطلق أبيات القصيدة ، فتهزّ الوجدان ، وتعتصر القلوب ، وتنفطر لها الأكباد ..

والحق إن هذه الأبيات لتنطق بما يعتمل في نفسه من أسى وحسرة على وطنه الذي لا يراه إلا من خلال الدموع ، كأنّ صورته تتباعد أو تذوب ..

ويستحيل كل شيء في وجدانه الملتهب شوقاً لبلاده إلى نغم حزين يحمل أنفاس الوطن ... فهو يتأمل سفوح بلاده وسهولها من بعيد مشيداً بشعبه وأهله متسائلاً عمّا إذا كان وطنه ما زال عربيّ المرابع والسّيماء أم أنه قد تهوّد وأصبحت معالمه التاريخية وحضارته الإسلامية أثراً بعد عين ...

أبيات القصيدة (١)

كلّما قلتُ : أطلَّ الفجرُ غابا ... أتُرى تغدو فلسطين سرابا

وإذا الدَّمع روى عنها الهوى ... وَجَلا صورتَها ذابَت وذابا

وإذا ما الدَّمُ روَّى أرضها ... حالت الأرضُ به قفراً يبابا

---

(١) ديوان أبي سلمى ، ص٢٤٣ – ٢٤٥ .

وعلـى الـدَّرب إذا لاحـت مُنـىً ... داميـاتٌ ترتجـي منهـا الإيابـا
مَـسَحَ الأهـلُ رسـوماتِ الخُطـى ... لَـمْ نَجِـد خلـفَ المُنـى إلا ترابـا

۞ ۞ ۞

أيُّهـا الـسائلُ عـن داري اسـتَمِعْ ... إنَّ في أرض " فلـسطين " انتحابـا
بُحَّـت الأرضُ تُنـادي شـعبها ... ثُـمَّ لمـاَ تـسمعِ الأرضُ جوابـا
جَـثَم الأعـداءُ مـا حـولَ الحِمـى ... وعَـدا أهلـي علـى أهلـي ذِئابـا

۞ ۞ ۞

صـرخت منَّـا الجراحـاتُ عِتابـا ... كيـفَ لا يـسمع أهلونـا العِتابـا
سـجنوا أهلـي وَهُـمْ مـن فتحـوا ... كُـلَّ يـومٍ للعُلـيِ والمجـدِ بابـا
مَزَّقـوهم وهُـمُ مـن وحَّـدوا ... بيـنهم شـعباً وداراً ورغابـا
ثُـمَّ قـالوا خـوفَ أن ننـسى ، ألا ... بـئسَ مـا قـالوا افتِئاتـاً وكـذابا
كيـفَ ننـسى وعلـى كـلِّ ثـرى ... دَمُنـا يـسري سـعيراً والتهابـا
وخيـالاتُ بـلادي ارتـسمتْ ... في الجبـاه الـسُّمرِ ألوانـاً عِـذابا
صـورُ النكبـة في أعيُننـا ... قـد حملناهـا هوانـاً وعـذابا
وبهـا نُبـصرِ أشـلاء الحِمـى ... ثُـمَّ لا نلقـى مـن الأهـل صِـحابا
دَمُنـا يَـصرخُ أنَّـى سـرْتُم ... لم يَـزلْ يطلـبُ أهلونـا الحِـسابا
نحـنُ مـن حَطَّـمَ أصـنامكم ... وجعلنـا الحُكـمَ للـشَّعبِ غِلابـا
أنـتُمْ لـولا " فلـسطين " لقـىً ... أنـتُمْ لـولا " فلـسطين " ذنـابى
نحـن مـن نَـضَّرَ قـوميتكم ... وعَـن الأعـين مزَّقنـا الحِجابـا
أورقـت أنفـسكم مـن دَمعِنـا ... بَعـدما جفَّـتَ قُـشوراً ولُبابـا
ومحونـا بـالظُّى عـارَكم ... ثُـمَّ صـرنا سُـبَّةَ الـدَّهر وعَابـا
ليـتَ شِعري !.. مـا الـذي قـدَّمتُمُ ... " لفلـسطين " سـوى الـوأدِ عِقابـا

۞ ۞ ۞

يا " فلسطين " انظرينا نضطرم   قَدْ صهرنا الأحرفُ الحُمرَ كِتابا
وهتفنا باسمكِ العذبِ على   كُلَّ دربٍ وجعلناه حِجابا
باسمكِ القُدسي لاقينا الرَّدى   مِثلَما تهوين شِيباً وَشبابا
وَمنَ التَّشريد فجرّنا سَنى   ثُمَّ أطلقنا مع الفجر شهابا
وخُطانا خضبت كل الذُّرى   سعَّرَ الحِقدُ خطانا والخِضابا
نحن في النَّكبةِ أصفَى جَوهراً   كُلَّما اشتَدَّ لهيبُ النَّار طابا

۞ ۞ ۞

يا أحبّاي .. أما آن لَكُم   أنْ تقولوها صُراحاً وَصَوَابا
تاجرَ الأهلُ بآلامكم   ثُمَّ يرجُونَ مِنَ الشَّعب ثَوابا

۞ ۞ ۞

المصادر والمراجع

١- أحمد علاونة : ذيل الأعلام ، دار المنارة ، جدة ، ١٩٩٨م .
٢- عبد الرحمن ياغي : حياة الأدب الفلسطيني الحديث ، المكتبة التجارية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٨م .
٣- عبد الكريم الكرمي : ديوان أبي سلمى ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٨م .
٤- كامل السوافيري : الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٣م .
٥- مصطفى محمد الفار : الشاعر أبو سلمى أديباً وإنساناً ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٥م .
٦- مجلة الرسالة القاهرية – العدد ١٥٤ ، في ١٥ / ٦ / ١٩٣٦م . والعدد ١٦١ في٣/٨/ ١٩٣٦م .

الدكتور كمال رشيد

(١٣٦٠ هـ - ....) (١٩٤١ م - ....)

* تقديم
* حياته ودراسته
* حياته العملية
* نشاطه
*إنتاجه الأدبي
* تجربته مع أدب الأطفال
* شعره
* نكبة فلسطين في شعره
* المحور الإيماني والاجتماعي في شعره
*قصائد مختارة من شعره

تقديم

الدكتور كمال رشيد .. أديب إسلامي معاصر . .. كاتب وصحفي وشاعر .. ومربٍّ فاضل ، له دور كبير في تربية الشباب والناشئين وتوجيههم .. وله تجارب ناجحة في مجال الشعر والصحافة والتربية وأدب الأطفال .

وهو من الأدباء الذين حملوا همّ القضية الفلسطينية بوصفها قضيتهم وقضية الأمة العربية والإسلامية .. وأحد الوجوه الأدبية والفكرية في السّاحة الأردنية .

حياته ودراسته

ولد الأديب كمال عبد الرحيم رشيد عام ١٩٤١م في قرية الخيرية إحدى ضواحي مدينة يافا بفلسطين .. وفي أحضان ساحل يافا الجميل وبيّارات البرتقال المعطاءة عاش طفولته المبكرة في أسرة كريمة محافظة متديّنة .. وما كاد يبلغ السّابعة من عمره حتى وقعت النكبة الكبرى في فلسطين عام ١٩٤٨ م ، واحتل اليهود مدينة يافا وما حولها .. وارتحل كمال مع أسرته إلى قرية " بدّيا " بمنطقة نابلس ، ودرس بمدرسة بدّيا من الصف الأول الابتدائي حتى الصف السّابع .

ولما ضاقت بهم الحياة لقلّة الموارد هاجرت الأسرة إلى مدينة نابلس ، وسكنت مخيم عين الماء (١٩٥٦ – ١٩٦٧م) .. ودرس كمال المرحلة الثانوية في مدرسة الجاحظ ، وتخرّج فيها .. وفي تلك الفترة اتصل بالحركة الإسلامية في نابلس وشارك في نشاط طلابها ..

ومع أنه بدأ العمل معلماً في مدارس مدينة طولكرم ، إلا أن طموحه للعلم دفعه لمواصلة الدراسة الجامعية ، فدرس في كلية الآداب بجامعة دمشق ، وحصل على البكالوريوس في اللغة العربية عام ١٩٦٩م . ولما ذهب إلى دولة المغرب العربي للتدريس بمدارسها ، درس في جامعة محمد الخامس بالرباط وحصل على شهادة الماجستير في علوم اللغة العربية وآدابها في عام ١٩٧٩م . ولما عاد إلى عمان للعمل في

إدارة المناهج ، واصل دراسته العليا في الجامعة الأردنية وحصل على الدكتوراه في علوم اللغة العربية وآدابها في عام ١٩٩٦ بتقدير ممتاز ، وكان موضوع الرسالة التي قدّمها " الترادف في القرآن الكريم " .

أما الدراسات والدورات العلمية والعملية التي اكتسبها في أثناء عمله بإدارة المناهج فهي :

- دورة في إعداد البرامج التعليمية في الإذاعة المدرسية / مركز **CEDO** لندن ١٩٧٣م .
- دورة تحرير الكتب المدرسية والمواد التعليمية / جامعة لندن ١٩٨٨م .
- دورة لزيارة دور النشر البريطانية الكبرى (لونجمان – أكسفورد – هاينمان) ١٩٨٩م .. وكانت هذه الدراسة بالتعاون بين وزارة التربية والتعليم الأردنية والمجلس الثقافي البريطاني في عمان ..

حياته العملية

عمل الدكتور كمال رشيد بعد تخرّجه من الثانوية العامة معلماً في مدينة طولكرم عام ١٩٦٢م ، في مدرسة الخالدية ثم في المدرسة العمرية .. وفي عام ١٩٦٤م أُعير معلماً للجزائر ، وفي تلك السنة أصيب بكسر في رجله ودخل مستشفى الجامعة.. وفي المستشفى نظم عدداً من القصائد ، ولكنها ضاعت منه .. وفي عام ١٩٦٥م عاد من الجزائر إلى نابلس ، وعمل معلماً في قرية " بيتا " .

ولما حدثت النكبة الثانية عام ١٩٦٧م ، ووقعت الضفة الغربية فريسة للاحتلال الإسرائيلي ، هاجر كمال إلى عمان وعمل معلماً في المدرسة المأمونية . وفي عام ١٩٦٨ نُقل إلى مديرية المناهج عضواً لمبحث اللغة العربية . وفي عام ١٩٧٥م أُعير إلى المغرب العربي وعمل معلماً في الدار البيضاء . وعاد إلى عمان عام ١٩٧٩م ، وعمل

بإدارة المناهج رئيساً لقسم الكتب المدرسية ، ثم رئيساً لقسم التحرير ، وقسم الإذاعة المدرسية .

ومن الأعمال التي قام بها في أثناء عمله بإدارة المناهج :

– كان عضو الفريق الوطني لتأليف كتب اللغة العربية .

– رئيس اللجنة الأردنية المحلية لمشروع " الرصيد اللغوي " التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

– ممثل الأردن في لجنة البرامج التعليمية الموجهة للطلبة العرب في الأرض المحتلة التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

– فحص عدد من الكتب المدرسية لغوياً وتحريرها وإجازتها .

– تقويم الكتب المقترح اقتناؤها لمكتبات مدارس وزارة التربية .

– تمثيل الأردن في عدد من المؤتمرات التربوية واللغوية والتعليمية .

وانتهى عمل الدكتور كمال في إدارة المناهج في عام ١٩٩١م حيث أُحيل على التقاعد .

وفي عام ١٩٩٢م عمل رئيساً لتحرير صحيفة الرّباط الإسلامية / الناطقة باسم الحركة الإسلامية في الأردن ، لمدة عامين .

وفي عام ١٩٩٤م عمل في جامعة الزرقاء الأهلية (سنة التأسيس) مديراً للعلاقات العامة ، وعضو هيئة التدريس لتدريس اللغة العربية لغير الناطقين لها .

وفي عام ١٩٩٥م عمل مديراً عاماً للمدارس العمرية في عمان ، وما زال على رأس عمله يمارس نشاطه التربوي والأدبي ، ويوجّه الأجيال وجهة سليمة تفيد الأمة والوطن .

نشاطه

لقد حفلت حياة أديبنا كمال بنشاطات متنوعة كثيرة ، وفي مجالات متعدّدة من مجالات العمل التربوي والديني والأدبي والإعلامي .. فهو مؤلف وشاعر وباحث، وكاتب صحفي ، وكاتب إذاعي ، وكاتب للأطفال ..فمن أنشطته :

- إعداد وتقديم برامج دينية من إذاعة عمان لسنوات طويلة .
- إعداد وتقديم (٣٠ حلقة) من برنامج ديني في إذاعة الكويت ١٩٨٥م .
- إعداد مسلسل من عدة حلقات في إذاعة عمان (أشواق في المحراب) .
- إعداد مسلسل من عدة حلقات لعدة سنوات لإذاعة عمان بعنوان : " الأسرة السعيدة " .. تمثيليات اجتماعية .
- إعداد برامج تعليمية للمناهج الأردنية في مبحث اللغة العربية في إذاعة عمان .
- إعداد وتقديم برامج تلفازية تعليمية لمبحث اللغة العربية / التلفاز الأردني .
- كاتب صحفي في جريدة الدستور منذ عام ١٩٩٧م .
- مشارك في ندوات فكرية وأمسيات شعرية مختلفة .
- مشارك في مهرجان المربد الشعري عام ١٩٨٧م .
- محاضر في كليات المجتمع ، وفي دورات المعلمين .

وللدكتور كمال ارتباط بعدد من الهيئات والجمعيات :

فهو عضو برابطة الأدب الإسلامي العالمية . وعضو برابطة الكتاب الأردنيين . وعضو في اتحاد الكتاب الأردنيين . وعضو في جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية / الأردن . وعضو المعهد العالمي للفكر الإسلامي . وعضو الجمعية الوطنية لرعاية الطفل/ الأردن . وعضو الجمعية الأردنية للوقاية من حوادث الطرق . وعضو جمعية مكافحة التدخين . وعضو جمعية العفاف .

إنتاجه الأدبي

١- ديوان " شدو الغرباء " – الجمعية العلمية للطباعة والنشر ، عمان ، ١٩٨٣م .

٢- ديوان " عيون في الظلام " – مكتبة المنار ، الزرقاء ، ١٩٨٤م .

٣- ديوان " القدس في العيون " – دار الوفاء ، المنصورة بمصر ، ١٩٩٠م .

٤- ديوان " نسائم الوطن " – دار بلال ، عمان ، ١٩٩٧م .

٥- أشواق في المحراب – دار البشير ، عمان ، ١٩٨٥م .

٦- تأملات في السّنّة – دار البيرق ، عمان ، ١٩٨٨م .

٧- مجالس الإيمان – دار عمار ، عمان ، ١٩٨٤م .

٨- الزمن النحوي في اللغة العربية .. وهو في أصله رسالة ماجستير ، ويطبع حالياً بدعم من وزارة الثقافة في هذا العام ٢٠٠٧م .

كتب للأطفال :

١- أناشيدي (جزءان) – دار الفرقان ، عمان ، ١٩٨٣م .

٢- الخطأ والصواب .. في الصحة – الجمعية العلمية ودار عمار ، ١٩٨٤م .

٣- الخطأ والصواب في السلوك – الجمعية العلمية ودار عمار ، ١٩٨٤م .

٤- الخطأ والصواب في المرور – الجمعية الأردنية للوقاية من حوادث الطرق ، ٢٠٠٥ م .

٥- أقوال ومواقف – دار بلال ، ١٩٩٠م .

٦- أشياء تنفعنا وتضرنا – دار بلال ، ٢٠٠٧م .

٧- أخلاق إسلامية – دار عمار ، ١٩٩٠ م .

٨- عادات حميدة – دار بلال ، ١٩٩٠م .

٩- سليم في المزرعة وقصص أخرى – دار عمار ، ١٩٩٠م .

١٠- أبو خليل والحلم الجميل - جامعة الإمام محمد بن سعود ، ١٩٩٢م .
١١- في المسجد - جامعة الإمام محمد بن سعود ، ١٩٩٢م .
١٢- نحب هؤلاء (جزءان) - جامعة الإمام محمد بن سعود ، ١٩٩٢م .
١٣- أمّيز بين الأشياء .
١٤- عشر قصص للأطفال .

وقد تناول أدب الدكتور كمال عددٌ من النقاد والأدباء ، منهم الدكتور عماد الدين خليل ، والدكتور محمود إبراهيم ، والدكتور مأمون جرّار ، والدكتور عدنان حسّونة ، والأستاذ محمد صالح حمزة .. ومن هؤلاء مَنْ قدّم وعرّف بدواوينه الشعرية ، ومنهم من كتب عنه في الكتب الأدبية ، ومنهم من كتب في الصحف .

تجربته مع أدب الأطفال

الأطفال في حياتنا أمانة في أعناقنا ، فلا بدّ من إعطاء هذه الأمانة حقّها .. وجميل أن يكون لنا أبناء فهم زينة الحياة ، وأجمل منه أن يكونوا واعين مدركين ، فلا يعيشوا في معزل أو يتفتّحوا على شرّ .. فهؤلاء الأبناء فلذات أكبادنا ، والواجب أن ننمّي شخصياتهم ، ونقّوي مداركهم ، ونثقف عقولهم ، ونغرس فيها المفيد النافع ، فالطفل عجينة تتكيّف ، وهو يأخذ المُثل والخُلُق والأفكار مما يقرأ ويسمع.. فلا بدّ من تدريبهم على الحياة ، وتلقينهم دروسها ، واتّباع الأساليب العلمية والتربوية المبنية على الخبرة والتجربة ..

ومن التجارب المفيدة في هذا المجال تجربة الدكتور المربي كمال رشيد التي بدأت في فترة مبكرة من حياته .. فبعد النكبة الثانية عام ١٩٦٧م كانت هجرته من نابلس إلى عمان .. وفي عمان استكمل تكوينه النفسي والعلمي ، وفيها توالت قصائده ودواوينه وأناشيده وكتبه ، طباعة ونشراً وتوزيعاً .

وكان لمديرية المناهج التي عمل بها قرابة عشرين عاماً فضل كبير عليه .. فهي التي مكنته من الاطلاع على مناهج الدول العربية وكتبها المدرسية ، كما بيّن له هذا الإطلاع افتقارها جميعاً إلى الكتابة في أدب الأطفال .

ومن فضلها عليه أيضاً أن عدداً من قصائده وأناشيده أخذت موقعها في الكتب المدرسية المقررة في الأردن ، وأنّ عدداً من الدول العربية أخذ عنها ، مثل الكويت والإمارات العربية .

وفي عمان عمل في قسم اللغة العربية في جامعة الزرقاء الأهلية ، حيث العيش مع المكتبة والكتب والأساتذة والطلبة .. ثم عمل مديراً عامّاً للمدارس العمرية ، ومع أنه عملٌ إداري إلا أنه أيضاً عمل فني يتعامل مع المناهج والكتب الدراسية كما يتعامل مع الطلبة والمعلمين .

وكان لكثرة الترحال والتنقل ، وتعدد الوظائف المتصلة بالكلمة والأدب والطفل، والتعليم ، والمناهج ، والصحافة ، والعمل الجامعي والإدارة المدرسية .. كلها كانت محطات أثْرَتْ وأغْنت وصقلت وهذبت تجربته .

وقد وضّح لنا الدكتور كمال تجربته في موضوع " أدب الطفل ولغته " في نقاط فقال [١] :

أولاً : لقد تأخر ركب أدب الأطفال قياساً مع فنون الأدب الأخرى وغاب نُقاده، وزهد فيه كثير من القادرين .. وهذا التأخير والنقص كان في الكم وفي النوع ، فكُتّاب الأطفال قليلون .. هذا مع أنّ المصلحة الوطنية والتربوية وكذلك المصلحة المادية التجارية تقتضي الاهتمام بأدب الصغار قبل أدب الكبار ليكون البناء متدرجاً.. وكذلك لأن مساحة انتشار أدب الصغار في الأصل أوسع وأشمل ، فكتاب

(١) مؤتمر أدب الأطفال / الجامعة الهاشمية عام ٢٠٠٦م .

الأطفال يمكن أن يُطبع ويُباع بعشرات الآلاف من النسخ ، بينما لا يزيد كتاب أدب الكبار عن الألف والألفين والثلاثة .

ثانياً : إن البيوت والمدارس والمسارح وبرامج الأطفال ومجلات الأطفال بحاجة مستمرة لأدب الصغار لملء الفراغ في كل من هذه . وإذ نذكر هذا فإننا نحمد الله أن أدب الأطفال كثر واتسع وانتشر في السنوات الأخيرة ، لوجود هذه المؤسسات وللإهتمام العالمي بالطفل وما تبع ذلك من اهتمام الدول ومنها الأردن .. كما جدّ جديد هو برامج الأطفال في الفضائيات ، وهذه تقول هل من مزيد ..

ثالثاً : إنّ كثيراً مما ينسب لأدب الأطفال لا يستجيب لحاجات الطفل ولا يراعي اهتماماته ولا يدفع إلى سرعة الالتقاط أو الحفظ والتغني .. وإن كثرة النشر لهذا الكاتب أو ذاك لا يقوم دائماً على الجودة .

رابعاً : إن لأدب الطفل خصوصية غير أدب الكبار ، مثال ذلك أنّ الشعر غير النشيد ، وليس كل شاعر جيد قادراً على كتابة الأنشودة التي تشدّ الطفل وتسعده ، وكذلك ليس الروائي الناجح قادراً على كتابة الأقصوصة والقصة القصيرة للطفل . وأقل ما يقال هنا أنّ الخيال للأطفال وأنّ المنطق والفلسفة وإعمال الفكر وقوة الحجّة والتشريح الاجتماعي أو السّياسي للكبار .

خامساً : إن النجاح الأول أو الخطوة الأولى في الكتابة للأطفال تبدأ من حسن اختيار الموضوع ، بحيث يكون من اهتمام الطفل ، ومن عالمه النفسي والعقلي والوجداني واللغوي .. وبعد هذا يأتي الحديث عن الصياغة ، وعن عملية التبسيط أو التسهيل والصوت والموسيقى ، ويأتي الحديث عن المعنى والمبنى ، فما لا يفهم لا يطرب ، وما تنافرت ألفاظه وحروفه فهو مرذول ، وما افتقد الموسيقى تحوّل إلى حجر ..

لقد وضع ابن الأثير وغيره شروطاً للملاءمة والمناسبة في الكتابة للكبار شعراً أو نثراً ، والأطفال أولى وأدعى أن توضع الشروط لأدبهم أو لِما يقدّم إليهم ..

وفي هذا أقول ، لقد كانت تجربتي مع أولادي أولاً وأحفادي ثانياً أنني اتخذتهم نقاداً لما أكتب ، أستحسن ما يستحسنون وأستبقيه ، وأشطب ما لا يلتقطون ولا يقبلون ، ولقد كانت وسيلة ناجحة أدعو غيري أن يجريها .

لا بدّ من تبسيط المادة التعليمية والتربوية ، والنزول بالأفكار العالية الراقية إلى عالم الطفولة ، لنبدأ معهم البداية الصحيحة .

سادساً : يجب أن يكون لكل مؤلف هدف ، ويمكن أن يلتقي أكثر من هدف في المنتج الواحد ، وأعترف هنا أنه غلب على مؤلفاتي الطابع التربوي التعليمي بحكم المهنة والتكوين .. ففي بعض كتبي للأطفال كنت أضع القصة القصيرة في صفحة أو نصف صفحة ثم أتبعها بعشرة أسئلة من النص ، وقد وضعت لكل سؤال ثلاثة اختيارات ليختار الطفل الصحيح منها . إذن هذه قصة تحمل موقفاً تربوياً أخلاقياً ، ثم يعقبها تنشيط لذكاء الطفل ، وهذه القصة سهلة في جملها وألفاظها فيسهل فهمها، وتمتع قراءتها .. وهكذا يكون المنتج الأدبي موكباً يتحرك .. الفكرة ، الصورة ، اللغة ، الموسيقى .

۞ ۞ ۞

وتطبيقاً لهذه الأفكار التعليمية والتربوية النّيّرة .. ونظرةً لبعض مؤلفات الدكتور كمال في أدب الطفل ولغته ، نرى التنوّع في الأهداف والأغراض وفي أسلوب التناول ..

ففي كتابه الذي بعنوان " أناشيدي " .. جاءت هذه الأناشيد نتيجة الشعور بحاجة أطفالنا إلى القول الممتع النافع يعمرون به قلوبهم وعقولهم ، ويغنّون به في الصباح والمساء ، وقد توخّى في هذه الأناشيد البساطة والعذوبة ما أمكن ، وتحاشى فلسفة المعاني وتعقيدها ، وتغنى بأبعاد يتفق عليها الجميع مثل : الإيمان بالله

والنظر في ملكوت السموات والأرض ، وحبّ الناس ، والجوانب الأخلاقية والسّلوكية.. مراعياً اهتمامات الطفل ورغباته وتكوينه النفسي والوجداني واللغوي ..

وجاءت الأناشيد في جزأين مصورين بأربعة ألوان ، ذلك لأن اللون والصورة مما يناسب الأطفال ويرضيهم .. وقد افتتحها بهذا النشيد :

أحِبّائي
صِغارَ اليوم
أبطالَ الغَدِ الآتي
لَكُم جاءت أناشيدي
مَعَ الأيامِ والسّنوات
مَعَ الأفراح والنكبات
مِن قلبٍ
يرى فيكمْ غِراسَ النّصر والخَيْر
فِلَسْطينُ تُناديكمْ
وفي الأُرْدُنّ ناديكُمْ
وفي كُلِّ بلادِ العُرْبِ والإسْلامِ
صوتُ الحَقِّ يَدْعوكمْ
فَهَيّا للغدِ الآتي
لِنورِ الشَّمس
للإشراقِ والأَشواقِ
للقُدْس

وغنّى فيها للقدس وعمان ، وللأردن وفلسطين ..

عمّــــانُ يــــا عمّــــانْ يــــا زينــــة البُلــــدانْ
حُبُّــــكِ في فــــؤادي علــــى مَــــدى الزَّمــــان

۞ ۞ ۞

عاصِــــمةُ الأردُنّ أرضُ الهَنــــا والحُــــسْن
أدعــــو لهــــا بــــاليُمْن والمجــــدِ والعُمــــرانْ

۞ ۞ ۞

في البعــــد أو في القــــرب حاضِــــرة في القَلْــــبِ
أدعــــو لهــــا : يــــا رَبِّ بــــارِكْ بهــــا ، عَمّــــانْ

أما القدس ، وهي تأخذ صفة القداسة ، وهي أولى القبلتين ، ففيها يقول :

القُــــدْسُ في العُيــــون نَفْنــــى ولا تهــــونْ
ونحــــنُ جُنْــــدها للنّــــصر ســــائرونْ

۞ ۞ ۞

مدينــــةُ الخليــــلْ لا تَقْبــــلُ الــــدّخيلْ
النَّــــصرُ شــــأنها والــــذُّلُّ يــــستحيلْ

۞ ۞ ۞

وهــــذه جــــنين يغلبُهــــا الحــــنين
تُجابــــهُ العِــــدى دَوْمــــاً ولا تلــــين

۞ ۞ ۞

يــــا غــــزَّة الرّجــــال يــــا ســــاحةَ القتــــال
يــــا نجمــــةً في دُلْجَــــةٍ فِــــداكِ كــــلُّ غــــال

۞ ۞ ۞

وغنّى شاعرنا للوالدين ، وللكتاب والوطن ، وللعلم والعمل ، وغير ذلك من الأناشيد الهادفة .

* وفي كتاب " أقوال ومواقف " أسلوب حواري تمثيلي ، ركّز فيه على بعض المواقف المشرقة في حياة قادة المسلمين وعظمائهم ، وربطها بالواقع .. والغرض منها استنهاض همة الجيل وربطه بماضيه بالحوار وليس السّرد .

* ومن ذلك أنه ألّف كتاباً بعنوان " أشياء تنفعنا وتضرّنا " تحدّث فيه عن الأشياء النافعة والضارة في حياة الإنسان كالماء والكهرباء والسيارة ، وجاء البحث على شكل حوار قَصَد فيه تبصير الأطفال بطرق التعامل الصحيحة مع الأشياء من حولهم .

* وفي كتاب " أخلاق إسلامية " اعتمد على جلسة يومية بين الجدّ والأحفاد ، اعتمد فيها أسلوب الحوار ، أما الموضوعات فهي من صفات أخلاقية إسلامية مثل : النظافة ، الأمانة ، النظام ...

* أما كتاب " عادات حميدة " ، فقد اختار فيه أربعين موقفاً في حياة الطفل اليومية .. تربوية سلوكية ، واعتمد الصورة ، ثم الشرح والتعليق على الصورة بما يجب أن يكون عليه الطفل في حياته اليومية .

* وفي كتاب " سليم في المزرعة " أورد قصة قصيرة هادفة ، يتبعها عشرة أسئلة ، ولكل سؤال ٣ إجابات ليختار الطفل الجواب الصحيح ... وفي القصة هدف تربوي واختبار للذكاء .

* وفي كتاب " الخطأ والصواب .. في الصحة ، وفي السّلوك ، وفي المرور " .. يعتمد عنصر المقابلة بين صورتين وعملين أحدهما خطأ والثاني هو الصواب ... موقف يترجم الصورة ، وتحت كل صورة عبارة تفسيرية .

* وفي كتاب " في المسجد " قصة صديقين يتوجه أحدهما توجهاً طيّباً والآخر توجهاً شريراً .. وتكون هداية الشرير عن طريق المسجد .

* وفي كتاب " أبو خليل والحلم الجميل " قصة مزارع ينطر أرضه ويحرسها ، وابنه يذهب معه إلى المزرعة ، ويأتي اللصوص ويطردهم الأب والابن يشاهد .. وهذه القصة رمزية لحياة الشعب الفلسطيني .

* وفي كتاب " نحب هؤلاء " يتحدث عن مجموعة من المهن التي تقدم خدمات جليلة للمجتمع ، ولكن الناس قد يعرضون عنها ، مثل الشرطي ، الجندي ، رجل النظافة ، الفلاّح .. والغرض من القصة إبراز قيمة هذه المهن وتعظيمها ..

وقد عمدت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إلى نشر القصص الثلاث الأخيرة إيماناً منها بما للقصص من أهمية في إيصال المعلومات والأفكار إلى ذهن الطفل المسلم .

شعره

الدكتور كمال رشيد .. شاعر مؤمن ، رقيق الوجدان ، صادق العاطفة ، صاحب نفس نقيّة وروح صافية .. قال الشعر تعبيراً عن خلجات نفسه وتصويراً لومضات مشاعره .

كانت محاولاته الأولى لنظم الشعر أيام دراسته في المرحلة الثانوية .. ويمكن اعتبار البداية الحقيقية عام ١٩٦٤م ، في الجزائر ، حيث الغربة والمستشفى والبعد عن الأهل ومرض الوالدة ..

وانساب الشعر من نفسه المفعمة بالمشاعر النبيلة ، ومن فكره المنبثق من المثل العليا ، ومن تصوّره الإسلامي الواعي ، ومن حبّه الشديد لأرض الإسراء والمعراج ،

ومن فهمه العميق لرسالة الشعر .. فجاء شعره مرتبطاً بهدف سام وبرسالة كريمة ، يعبّر عن روح إسلامية ، ويعالج الواقع في ضوء الإيمان ..

وقد قال الشعر في عدد من المحاور والمجالات .. قاله في الوطن والعقيدة ، والرثاء والشهادة ، وفي النواحي السياسية والاجتماعية ، ووقف معظم شعره على وطنه ، وصوّر به جوانب من المحن التي حلّت بشعب فلسطين .. فتحدّث عن ظلام المؤامرات والاحتلال والعدوان والخذلان ..

يقول الدكتور محمود إبراهيم في تقديمه لديوان " شدو الغرباء " ، عن شعره: إنني أشعر بالارتياح ، حين أجد المادة الشعرية التي يقدّمها " كمال رشيد "، مرتبطة بالإنسان إرتباطاً وثيقاً ، يبتدئ بعالم الأسرة ، وينتهي بالإنسانية كلها .. فشعره هو في الغالب الأعم ، تعبير عن أحاسيس صاحبه تجاه ذوي قرباه ، ثم تجاه من تربطه بهم صداقات ومودّات ، ثم تجاه وطنه والأرض التي عاشوا عليها ، ثم تجاه الشعب العربي الكبير الذي ينتمي إليه ، ثم تجاه أمة الإسلام التي يكون العرب جزءاً منها ، وأخيراً تجاه بني البشر عامة ..

والقارئ لشعره ، لن يفوته أن يلحظ الصدق الشعوري في معظم ما يقرأ .. وأن يتبين شخصية الإنسان الودود الواصل للرحم ، المنتمي بكل جوارحه إلى الأهل والوطن والعروبة والإسلام .

ويبقى شعره إيماضة أدبية مشرقة في الإنتاج الشعري المعاصر ، سواء من حيث الرسالة التي يضطلع بها ، بما تحتويه من إيحاءات كريمة ، بخاصة للشباب ، أم من حيث أسلوبه الذي يجتمع فيه خصيصتا الوضوح والجمال في آن معاً .

وقد راوح في شعره بين الشعر العمودي الذي هو الأصل والشعر الحرّ الذي يرتضيه وليداً لا بديلاً للشعر العمودي ، شريطة أن تتوافر له خصائص الجودة والجمال والصدق(١) .

أما مفهوم شاعرنا للشعر فقد وضّحه وأجاب عنه عندما سأله أحد زملائه في قسم المناهج عن الشعر .. طبيعته ودوافعه .. فقال(٢) :

"يا شاعر القسم هل للشعر شيطان ... أم أنّ واهبه للناس رحمان"

فأجاب :

يا سائلي ليس نظم الشعر قافية ... لكنّه حِكَمٌ تعلو وتزدان
لكنه العطر في الآفاق نبعثه ... لكنه نغم تمليه أحزان
وصورة كطلوع الشّمس في خجل ... فيها من الحبّ ألوانٌ وألوان
وهو النذير بشرٍّ إنْ عتا زمنٌ ... وجاس في أرضنا ظلمٌ وعدوان
وهو السّبيل لتعبيرٍ لفيض جوى ... إنْ ضيم في عيشهم أهلٌ وخلاّن
والشعر عندي شعورٌ لست أكتمه ... وغاية الشعر إحساسٌ ووجدان
ذاكم هو الشعر يا من جئت تسألني ... قلبٌ ووجدٌ وإشراقٌ وإيمان

نكبة فلسطين في شعره

شاعرنا كمال من جيل المحنة .. إكتوى بنارها وهو طفل ، وعاشت معه صور المأساة التي حلّت بأهله وبشعب فلسطين ، فقد واكبها حدثاً حدثاً .. ولذلك فقد كان لفلسطين وطن الشاعر النصيب الأوفى من شعره ، وكان للنكبات التي حلّت بفلسطين

---

(١) ديوان " شدو الغرباء " ، ص٧-١١ .

(٢) ديوان شدو الغرباء ، ص٩٥ – ٩٦ .

أثر واضح على مسيرته الشعرية ، كما استأثرت القضية بمشاعره وأحاسيسه ، وسيطرت على فكره ، ووجهت شعره ..

وإن كانت نكبة ١٩٤٨ قد تركت في نفسه صدى مؤلماً – إ ذ كان في سنّ الطفولة – فإن نكبة ١٩٦٧ كانت أشدّ هولاً وإيلاماً ، ذلك أنه رافق الحرب التي وقعت فيها تعبئة إعلامية ولّدت لدى الناس أوهاماً بالنصر كانت عاقبتها خيبة شديدة ... ولذا فإننا لا نجد عجباً عندما نقرأ قوله[1] :

عَلامَ أعيد القول أجترّ ما عندي — وعندي من الآهات أضعاف ما أُبدي
ألا يا فتاة الحيّ لا تبعثي الشّجا — أقلّي فإنّ القلب فيضٌ من الوجد
تُرى لو بكيت العمر ماذا يفيدني — وقد طال ذا ك الدمع إ ذ طال بي سهدي
فلسطين حُبّي ما حييتُ وإنني — سعيدٌ بهذا الحبّ ما طال بي عهدي
ومن نكد الأيام أنّي حُرِمتها — فزاد حنين القلب من ذلك الفقد

وكذلك قوله[2] :

أضنيتُ نفسي وارتضيت عذابي — وبكيت من وجدٍ على أحبابي
صاحت فتاةٌ فاستجاب خليفة — لبّيكِ إنّي للمعارك صابي
واليوم كلُّ نسائنا ناديننا — أين الرّجال وأين أُسد الغاب
ماذا دهى الصّيد الأُباة وقد غدت — أوطانهم للخصم كالأسلاب
والأهل أضحوا في الخيام،سيوفهم — خشبٌ وفي الأوطان صوت عذاب
الخصم يمرح في البلاد ويزدهي — ويعيش أهل الأرض كالأغراب

(١) ديوان شدو الغرباء ، ص٢٢ .

(٢) ديوان شدو الغرباء ، ص٢٨ .

وضاعت القدس ، وكان ضياعها مبعث حسرة كبيرة في النفوس ، وكان داعياً إلى استنهاض الهمم ، والتطلع إلى ماضي القدس ، وما أصابها ، وما يسّر الله لها من منقذين ، والأمل في مستقبل يعيد الماضي المجيد ..

وفي زيارة لبيت الله الحرام ينظم شاعرنا قصيدة بعنوان " من وحي مكة " يستشعر فيها الصلة الروحية العميقة بين مكة المكرمة والقدس ، فيقول[1] :

من وحي مكة جاء الدمع هتانا ... حرّاً نقيّاً يزيد القلب إيمانا
والشعر أينع في قلبي وأسعفني ... فكان سيفاً وأشواقاً وريحانا
صلّيت لله في البيت العتيق وقد ... شَفَّ الوجودُ وزاد القلب تحنانا
يا من يطوف ببيت الله معتمراً ... القدس طاف بها حقدٌ وأردانا
وأمعن القتل والتشريد في مُهَج ... وجاء بالقول تزويراً وبهتانا
يا ساعياً تبتغي لله مقربة ... هلا سعيت لفعل يرفع الشّانا
ويا جموع التّقى ماذا لو التقت ... الأيدي على الحق تصْلي الكفر نيرانا
تعيد للقدس للإسلام عزّته ... وتجعل الأرض تحت الخصم بركانا

ومع ضياع القدس وإحراق المسجد الأقصى ، وإطلاق الرصاص على المصلين فيه، لم تتوقف الاعتداءات .. ولم يكد يمرّ يوم أو بعض يوم إلا وتوالت .. وجاء دور مدينة يافا ، التي غادرها شاعرنا منذ أيام الطفولة .. ولما قامت سلطات الاحتلال بالاعتداء على مسجد حسن بك في يافا ، نظم كمال قصيدة قال فيها [2] :

من تربة المجد،من يافا وغوطتها ... أتيت أحمل آلامي وأخفيها
خرجتُ منها صغيراً لا أنيس له ... ولست أدرك ما الدنيا وما فيها

---

(١) ديوان " القدس في العيون " ، ص٦٥ .

(٢) ديوان " عيون في الظلام " ، ص٣٧ .

وسـرت في فلـوات العمـر ملتمسـاً نـهج الأبـاة،دروب الخـير أمـشيها
سعيت للنور،ليت النور يـدركني حتـى أخلـص نفـسي مـن مآسـيها
سألت عن بلدي قالوا الغـزاة أتـوا وروّعـــوا أهلــــها،دكّوا مبانيهـــا
سطّرت حُبّي على الأوراق فانـسكبت على الـسّطور دمـوع العـين ترويهـا
لا تسألوا اليومَ عـن يافـا وقـصتها يافـا الأسـيرة قـد سـاءت لياليهـا
وأصبحت طللاً في الـشعر نـذكرها شوقاً إلى الدّمع،في الأحفال نرثيهـا

ويصف شاعرنا حالة اليأس ومشاعر الإحباط التي استبدّت بالناس في وطننا ، نتيجة تشوّه القيم وتبدّل الأحوال ، وتدهور الأخلاق ، وشيوع المعصية ، والتشجيع على الغواية .. فيقول في قصيدة بعنوان " أحوال وآمال " :

مــاذا نُرَجّــي والأمــور تبــدّلت والحـــال فوضـــى شـــأنها مقلـــوب
المـــال فينـــا ضـــائع ومـــوزّعٌ يلـــهو بـــه مـــستهترٌ ولَعـــوبُ
هـو لا يحـسُّ بمـا أضـاع لأنـه مـا كَـدَّ في كـسب فكيـف يلـوب

ولكن الشاعر الذي يستمد تصوّره للحياة من إيمان لا يستسلم لليأس الذي قد يطوف به طائف منه ، ولذا نراه يبصر أملاً يطل عليه في عتمة المأساة ، قد يكون له رصيد من واقع الأمة .. فهو يؤمن بأن في هذه الأمة قوة كامنة لو أحسنت استثمارها لتغيرت أحوالها ، وهذا ما نجده لدى شاعرنا في قوله[1] :

رغم ارتكاس الحال رغمٍ تـشرّدي رغــم اعتــزال عقيــدتي وكتــابي
ســيظلّ وجهــي مــشرقاً بيقينــه بــشروق شمـس بعـد طـول غيـاب

(١) ديوان " شدو الغرباء " ، ص٢٩ .

ومع أنّ وقع النكبة وما تبعها كان شديداً على شاعرنا ، إلا أنّ موقفه تعدّل مع مرور الأيام ، فاستعاد شيئاً من الأمل والتوازن بعد ظهور حركة المقاومة في فلسطين.. تلك الحركة التي كانت بعد النكبتين كالضوء في عتمة الليل الدامس . وقد تفاعل معها ، وسجل كثيراً مما يتصل بها من وقائع وأحداث ، وخاصة رثاء الشهداء..

ونظم شعراً مؤثراً يبارك فيه الانتفاضة ومقاومة الاحتلال ، ويشدُّ على الأيدي المدافعة عن الوطن ، وينفخ فيها روح الديمومة حتى يأذن الله بالنصر والتحرير .

وخصص من شعره ديواناً كاملاً لقضية القدس وفلسطين بعنوان " القدس في العيون " .. وصفه الدكتور عماد الدين خليل – وهو يقدّم له – بأنه الديوان الذي تتمحور قصائده كافة حول هدفها الواحد ، وتتجمع قدراتها التعبيرية لكي تغذي بؤرة واحدة تكون لها قدرة النار على الإضاءة والاحتراق .. ووصف أشعة الديوان بأنها تتجمع كلها لكي تقول شيئاً واحداً ، وتصرخ بكلمة واحدة ، فتجعل طعم النار في فم القارئ ، ومسّها في أطراف أصابعه حتى بعد مفارقة الديوان [١] .

ومن الظواهر التي تلفت النظر في الحديث عن الانتفاضة بروز صورة الطفل المقاتل ، فلم تعد الطفولة في لهيب الانتفاضة رمزاً للبراءة أو الوداعة أو صورة تبعث في النفس الإشفاق ، بل صار الطفل أكبر من الرجال ، يعلمهم دروس التضحية ويجعل لحياتهم معنى .. ومن ذلك قول كمال رشيد[٢] :

عَلّمتَنا يا طفلنا الدّرسا ... ذكّرْتَنا من قبل أن ننسى
أنّا لنا أرض قد اغتصبت ... أن اليهود استوطنوا القدسا
أيقظتنا من بعد ما خَدَرٍ ... أحييت فينا العزم والبأسا

(١) ديوان " القدس في العيون " ، ص٨ – ١٦ .

(٢) ديوان " القدس في العيون " ، ص٥١ .

حـــرّرت نفــسك مـــن مخاوفنـــا إنّ الفتـــى لا يعـــرف اليأســـا
ولقـــد رفعـــت الـــصوت في ثقـــةٍ مـــن بعـــد مـــا كـــان النِّـــدا همـــسا
أطفالنـــــا عرفـــــوا ســـــبيلهمُ وبهـــم ســـيرفع قومنـــا الرّأســـا

المحور الإيماني والاجتماعي في شعره

المحور الإيماني في الشعر يصوّر مشاعر المسلم في أدعيته وتسبيحاته وتأملاته التي يتوجه بها إلى الخالق عزّ وجلّ .. أو يناجي بها رسول الله ﷺ ، من مدائح نبوية أو قصائد في المناسبات الدينية ، مثل ذكرى المولد النبوي الشريف ، والهجرة النبوية ، والمناسبات الإسلامية الأخرى .. وقد أكثر شاعرنا من هذا اللون من الشعر.. ومن ذلك قصيدة بعنوان " من وحي مكة ، ونشيد الهجرة ، وقصيدة بعنوان "أنا مؤمن " ، قال فيها [١] :

عـــابوا علـــيّ ترفّعـــي وإبـــائي وتمـــسّكي بعقيـــدتي الغـــرّاء
قـــالوا تقـــيٌّ كيـــف يـصبح شـاعرا أوَ تُنْـــسَبُ التقـــوى إلى الـــشعراء
أنا نور هـذا الكـون إذ أنـا مـؤمن والمؤمنـــون أبـــرّ بالـــضعفاء
قـــدّمت للأوطـــانِ مـــا أنـــا مالـــكٌ وصـــبرت في الـــسّرّاء والـــضرّاء

وطرق الدكتور كمال في شعره لوناً جديداً من الأدب الإسلامي .. لونٌ فيه متعة للنفس ، وصقل للحس ، وتغذية للوجدان ، وطمأنينة للقلب .. ففي كتابه : " أشواق في المحراب " نجد كلمات مضيئة ، وأدعية صالحة ، يلجأ فيها الإنسان إلى الخالق جلّ وعلا في كل أمر من أموره .. فالدعاء في الإسلام مُخُّ العبادة ، ولا يكون إلا مع الصدق والإيمان وحسن الظنّ بالله سبحانه .. ومن هذه الأدعية والنّفحات قوله [٢]:

---

(١) ديوان عيون في الظلام " ، ص٢٠ .

(٢) أشواق في المحراب ، ص١٥ .

يا إلهي

اجعـــل الإيمـــانَ زادي ومعـــادي　　يـــوم لا ينفـــع مـــالٌ وبنـــون
واجعـل القـرآن لـي نـور فـؤادي　　في حيـاة الزيـف في ليـل الظنـون

يا إلهي

في سبيل أقوالي وأعمالي ، ومخبوء فؤادي
في سبيل الله تسبيحي وما تحملُ روحي
هو ربُّ الناس ، والأشياء ... ربّي
وأنا العبد الضعيف ،
منه أستلهم آمالي ، وحاجاتي ، وساعات انشراحي
حُبُّه أصبح زادي وسلاحي
ورضاهُ بُغْيتي ، سرُّ نجاحي

✡ ✡ ✡

يا صغاري :
أعبدوه .... فهو ربُّ العالمين
واسألوه .... فهو رحمانٌ رحيم
واعرفوه
في بديع الخلق ... في النطقِ ... وفي الرزق الكريم

✡ ✡ ✡

إلهي

إلهـــي وفيـــك يَطيـــبُ الرّجـــاء   ويحلـــو التـــذلل والإنحنـــاء
أتيـتُ مُنيبـاً ، فكُـنْ لـي مجيبـاً   فأنـــت الـــرّحيمُ مجيـــبُ الـــدُّعاء

۞ ۞ ۞

ظمِئنـــا إلى النّـــصر يـــا ربّنـــا   وتُقْنـــا إلى ســـيرةِ الأوَّلـــين
رجـــالُ المعـــارك أهـــلُّ الـــوغى   حُـــداةُ الهدايـــة في خـــير ديـــن
نـــصرتَ الـــنّبيّ وأصـــحابه   وكُنْـــتَ المجـــيرَ وكنـــت المعـــين
فجـــابوا بفـــضلكَ رَحْـــبَ الـــدُّنا   ونـــالوا الـــشّهادةَ في الخالـــدين
"هـــو الحـــقُّ يَحْـــشُدُ أجنـــادَهُ"   ويمـــضي إلى النّـــصر في كـــلّ حـــين

يا رَبّ

يَـــسِّر اللّهُـــمَّ أمـــري   واشْـــرَحِ اللـــهمّ صَـــدْري
وأنِـــرْ قلـــبي وعَـــيْني   واقْـــضِ عَنّـــي وأعِنّـــي
في التمـــاسِ الحـــقّ في دنيـــا الـــضّلال

۞ ۞ ۞

هِـــدِّئِ اللّهُـــمَّ رَوْعـــي   واجْعَـــل اللـــهمّ دمعـــي
خَـــشْيَةً منـــكَ وَحُبّـــا   طاعـــةً فيـــكَ وقُرْبـــى
واجعـــل اللـــهم رضـــوانك سُـــؤلي .. يـــا مُجـــيرْ
لـــيسَ مِثْلـــي مـــن يُطيـــقُ الـــسّيْرَ في لَفـحِ الهجّيْـرْ

أما المحور الاجتماعي في الشعر .. فالشاعر إنسان يتفاعل مع ما حوله ويعبّر عن ذلك التفاعل بأسلوب فني .. وقد تجلّت العلاقات الاجتماعية في الشعر الإسلامي، في الأسرة .. الأبناء والبنات والزوجة والأم والأب والأخ ، كما ظهرت في العلاقات الأخرى من قرابة وصداقة وغير ذلك ..

وشاعرنا د . كمال شعره مرتبط بالإنسان إرتباطاً وثيقاً – تعاملاً وتوجيهاً – ومن ذلك وصيّته لأبنائه التي تناول فيها توجيههم دينياً وتربوياً ووطنياً ، فقال[1]:

وصيّة

أوصيك يا ولدي أن تحسن الأدبا ... أن تألف الدّرس والتحصيل والكتبا
وأن تكون تقيّاً ، نابهاً ، يقظاً ... وأن تقدّم للأوطان ما وجبا
أن تجعل القدس في العينين ماثلة ... ألا تكلّ إذا ما المعتدي غلبا
هذي فلسطين صنو الرّوح يا ولدي ... وفي مرابعها سفر العُلا كُتبا
عاشت لنا مثلما عشنا لها زمناً ... طابت بنا مثلما طبنا بها حقبا
أخنى الزّمان وعادتنا ثعالبه ... وطائر السّعد عن أوطاننا غربا
توزعتنا صروف وانثنت همم ... وَمَنْ تقاعس عن ردّ العِدا غُلبا
حلّ الدّخيل بأرض ليس يعرفها ... وصاحب الأرض عن أوطانه اغتربا
لكنّما أمل الأوطان فتيتها ... هُم السّبيل لردّ الحقّ إن سُلبا
أنتم رجاء فلسطين وعدّتها ... وهل بغير شباب نبلغ السّببا
الأرض أرضكم والعزم عزمكم ... فلا تكونوا لها إلا كما طلبا
ولا تخافوا مماتاً ، إنّ عيشكُم ... في موتكم في ثراها فتية نجبا
هذه عقيدتنا ، تلكم موائلنا ... والحرُّ عن أرضه لا يعرف الهربا

ومن قصائده في التوجيه ، قصيدته التي وجهها إلى الفتاة المسلمة وقد آلمه الحال الذي آلت إليه ، من افتتان بالمرأة الغربية ، ومحاكاة لها في زيّها ، وأسلوب

(١) ديوان " عيون في الظلام " ، ص٤٥ .

عيشها ، فتوجه إليها بالنصح ، مبيّناً لها أن الجمال يصونه الستر والحياء ، ويزري به العري والتبرج ، فقال في قصيدة بعنوان " فتاة العصر "[1] :

ماذا يضرّك لو سترت جمالا ... وحجبت عنّا رقّة ودلالا
يا من تعرّت للرجال غواية ... ليس الجمال مع الحياء محالا
في البيت أنتِ بحالة لا ترتجى ... وإذا خرجت أتيتنا تمثالا
إنّ الجمال من الإله كرامةٌ ... للسّالكات طهارة وكمالا
وهو السبيل إلى الضّلال لغادة ... تخذته سيفاً مشهراً قتّالا

۞ ۞ ۞

رفقاً بحالكِ يا فتاة تأدّبي ... صوني جمالكِ، حقّقي الآمالا
وثقي بنفسكِ أنتِ سرُّ حضارة ... عظمت وأعطت للورى أبطالا
وتعلّمي صنع الرجال فإننا ... في حال حرب تستزيد رجالا
ليس الجمال بنوع ثوب يرتدى ... فالثوب لا يعطي النفوس جمالا
لكنّما هو في فؤاد طاهرٍ ... عرف الحياة فضيلة وكمالا

ونظم شاعرنا قصائد كثيرة للشهادة والشهيد ، ولأم الشهيد ، وقال :

كلّ القصائد للشهيد ، للبأس للعزم الشديد
للحق للإخلاص للإيمان للنصر الأكيد

ومن الشهداء الذين رثاهم : محمد سعيد باعباد ، وعبدالله عزام ، وأحمد ياسين ، والرنتيسي ، ويحيى عياش ، والشقاقي ، وشهداء الحرم الإبراهيمي ، وشهداء مذبحة الأقصى ، وشهداء عنبتا ..

---

(١) ديوان " شدو الغرباء " ، ص٥١ .

قال في رثاء الشهيد عبدالله عزام[1] :

وقف الدكتور عبدالله عزام قائداً مجاهداً في أرض فلسطين ، وأبلى وصحبه بلاء حَسَناً في عمليات عسكرية ناجحة ، ثم حيل بينه وبين هذا المَدْرَج السماوي .. فانطلق إلى أفغانستان ، حيث وحّد الصفوف وخاض المعارك إلى أن استشهد هو وولداه محمد وإبراهيم ..

لأنّك في فم التاريخ معلوم ومشهودُ
لأنك عند ربّ العرش مرضيٌّ ومحمود
لأنك في قلوب الأهل والأحباب موجود
فما صحّ الذي قالوه ، عبدالله مفقود

۞ ۞ ۞

فلسطين التي تهوى وفيها كانت السّلوى
وقد حاربتَ أعداها ، وكنت السّيد الأقوى
وعنكم أجمل الأخبار ما زالت بها تروى
تودّعكم بفيض الحبّ تشهد فيكم التقوى

۞ ۞ ۞

والدكتور كمال ، أديب اهتم بقضايا أمته العربية والإسلامية ، وما عانته من مشكلات مع الاستعمار ، وفي سعيها إلى التحرّر والاستقلال ... ومع أنّ القضية الفلسطينية كانت أكثر القضايا ظهوراً في شعره ، إلا أننا نجد له قصائد تتحدث عن

---

(١) ديوان " القدس في العيون " ، ص٣٣ .

قضايا الأمة العربية والإسلامية في شتى بقاع الأرض .. ومن ذلك قصيدته التي يقول فيها [1]:

والقدس غشّاها القتام وقد ... ناح الأذان وصوّح المجد
هذي العراق دماؤها نزفت ... وعلى الحدود تمزّق الوُدّ
لبنان غِربانٌ تحرّكها ... لم يبق فيها طائرٌ يشدو
أفغان جاء الحقدُ يقهرها ... يا ويح من يقتاده الحقد
فتنٌ تظلّلنا وتتركنا ... مزقاً بها عوراتنا تبدو

(١) ديوان " القدس في العيون " ، ص٦٣ .

قصائد مختارة من شعره

١

سعد

سعد بن أبي وقاص .. صحابيّ جليل ، من السّابقين الأولين في الإسلام ، وأحد وجهاء الصّحابة .. عُرف بالفروسية والشّجاعة .. وكان إذا رمى في الحرب عدوّاً أصابه ..

رافق رسول الله ﷺ في غزواته كلها .. وشارك في الفتوحات الإسلامية ، وقاد معركة القادسية التي انتصر فيها المسلمون .

وفي هذه القصيدة يتحدث شاعرنا عن مجموعة من قضايا المسلمين المعاصرة في شتى بقاع الأرض ، فيذكر القدس وما حلّ بها من نكبات ، ويذكر لبنان والعراق وأفغانستان ، ويتحدث عن الفتن التي انتشرت بها ، وعن حالات الذّل التي يعيشها المسلمون في تلك البلدان ..

وفي القصيدة يستدعي شاعرنا التاريخ ليستثير ما اختزنته ذاكرة المسلمين من فتوح وانتصارات وأمجاد يريد لها أن تتجدّد ..فيجري حواراً مع الصّحابي الجليل "سعد " رضي الله عنه .. ويتخذ من شخصية هذا القائد البطل مهرباً من الواقع السَّيِّئ، فيقول مخاطباً " سعد " رضي الله عنه :

أقْبِلْ فأنت المرتجى سعدُ إن البناءَ يكادُ ينهدُّ
أقبلْ فخيلُ الرّوم عادية وخيولنا أزرى بها القيدُ

ونلاحظ في القصيدة أن الحضور التاريخي لم يكن لسعد وحده فحسب بل ولرجاله الذين كانوا معه في الفتح .. وأنّ شاعرنا يقابل فيها بين خيولنا السّاكنة التي ترسف في قيودها ، وخيول الأعداء التي تغير وتعدو .. ولن يكون الخلاص إلا بسعد آخر يجيء لكي يضرب على السّكون ويعيد للتاريخ حركته مرة أخرى .

أبيات القصيدة (١)

أقبِلْ فأنت المرتجى سعدُ | إن البناء يكادُ ينهدُّ
أقبل فخيلُ الرّوم عادية | وخيولنا أزرى بها القيدُ
نامت فوارسُها وما برحت | مربوطة في القيد لا تعدو
وبيارقُ النّصر القديم غدت | مطوية إذ ودّع الأُسْدُ
لم يبق في ساح الوغى أحدٌ | يُدعى فيصدق عنده الرَّدُ
لا صولة الفاروق تشهدها | أبداً ، ولا قَدَحَت لنا زندُ
والقدسُ غشّاها القتامُ وقد | ناحَ الأذانُ وصوَّحَ المجدُ
هذي البلاد دماؤها نزفت | وعلى الحدود تمزَّق الوُدُّ
فِتَنٌ تُظَلّلنا وتترُكُنا | مِزَقاً بها عوراتُنا تبدو
عَمِيَت بصائرهم فما عرفوا | أين السّبيل،وغُيّبَ القصد
فالورد شَوْكٌ في عيونهمُ | والشوكُ فيما قدَّروا ورد
والشّهْدُ مُرٌ إذ هم خبروا | والعلقَمُ المؤذي هو الشَّهْدْ
عبث يمزقُ عزة سلفت | أيام كان الحزم والجدُّ
زمنٌ يمرُّ بغير ما ثمن | عمرٌ يضيعُ ودونه الرّشدُ
والمسجدُ الأقصى يُؤرقُه | هذا العقوقُ يسوؤُهُ البُعد
والصّامدون هناك طالَ بهم | ليلُ الأسى أضْناهُم الوجْدُ

۞ ۞ ۞

---

(١) ديوان " نسائم الوطن : ، ص٦٠ – ٦١ .

يــا ســعدُ أقبــل نحــن في خــدر / والأُفْـــقُ لا بَـــرْقٌ ولا رَعْـــدُ
واجْمــعْ رجالَــكَ أينمــا وُجــدواً / فهـــمُ رجـــالُ البَـــأْس إن عُـــدّوا
أحفـــادُكُم لانـــت قنـــاتهمِ / قَعَـــدوا عـــن الأمجـــادِ وارْتَـــدّوا
يـــا قـــوم لـــستُ مُقَنّطـــاً أبـــداً / أملـــي كـــبيرٌ مـــا لَـــهُ حَـــدُّ
أن نرفَـــعَ الرايـــاتِ عاليـــة / خفّاقَـــةً ، في قُدْسِـــنا نـــشدوا
اللهُ أكـــبرُ جـــاءَ موْعِـــدُنا / والنـــصر في الأقـــصى هـــو الوعـــد

قصائد مختارة من شعره

٢

ثانيَ اثْنَين

القائد الشهيد الدكتور عبد العزيز الرنتيسي .. عَلَمٌ من أعلام الحركة الإسلامية في فلسطين .. وواحد من أبرز رموز الشعب الفلسطيني ، ومن أبرز قادته التاريخيين ..

كان قائداً شجاعاً ، وزعيماً سياسياً فذّاً ، اتصف بالجرأة والصلابة في قول كلمة الحق ..

اغتالته طائرات الاحتلال الصهيوني في قطاع غزة مساء السبت ٢٠٠٤/٥/١٧ ، عندما أطلقت عليه مروحية صهيونية صاروخين باتجاه السيارة التي كان يستقلها وسط مدينة غزة ، مما أدى إلى استشهاده واثنين من مرافقيه ..

وهذه قصيدة رثاء نظمها الدكتور كمال رشيد بعد استشهاد الرنتيسي .. ونشرها في جريدة السّبيل .. وعدّد فيها بعض صفات الرّجولة والصّدق والعفّة والثبات على الحق ، التي كان يتصف بها القائد الشهيد ..

أبيات القصيدة [1]

مُتْ كما شئت سيّداً وشهيدا ... وانْأَ عن مجمع القعود بعيدا

قد عرفناك مُذْ وُجِدْت شريفاً ... وعفيفاً وصادقاً وعنيدا

وعيوفاً يأبى الدّنية يرجو ... لفلسطين عزّةً وصعودا

لبني قومه حياة اعتزاز ... وانتصار، يجتثُّ منها يهودا

شظف العيش عشته في اصطبار ... وكفاحٍ حتى بلغت اللّحودا

(١) جريدة السبيل في ٢٠ / ٤ / ٢٠٠٤م .

سـجون الأعـداء كنـت فتاهـا ... ولظاها، ومـا أطقـت القيـودا
ومـع المبعـدين عِـشْت شـهوراً ... كـان جمعـاً مميّـزاً وفريـدا
وشـرفنا بـأن نكـون ضـيوفاً ... نـستقي مـنكم الحـديث الـودودا
إنّ مـرج الزهـور كـان امتطـاء ... لـذى المجـد ، كـان يـؤوي أسـودا
أبعـدوا نخبـة الرجـال انتقامـاً ... واعتقـاداً أنْ لـن تعـودا
ثـم عـدتم للـسّجن وهـو افتخـار ... واقتـدار وكنـت عزمـاً حديـدا
كم عبدْتَ الـرحمن في جـوف ليـلٍ ... بـدموع ، وكـم أطلـت الـسجودا
كـم رفعـتَ اللـواء ، قُـدتَ جموعـاً ... للجهـاد الموصـول تعطـي العهـودا
كنـت لابـن الياسـين سـاعد بـأس ... كنـت الابْـن المطيـع والمحمـودا
كنـت ترجـو رِضـاه وهـو المعنّـىً ... كـان شـيخاً وكنـت أنـتَ المريـدا
كـم رعيـت الـشيخ الكـبير بقلـبٍ ... وبكـفٍ ،وكـم خـدمت القعيـدا
تـستقي منـه حكمـة ورشـاداً ... وعنـاداً والعـودُ يُنبـت عـودا
ثـاني اثـنين إذ همـا في حمـاس ... يتبـارون مـن يـصيب يهـودا
يمـلآن الـشباب حزمـاً وعزمـاً ... ويعـدّان للقتـال أسـودا
سَـبَق الـشيخ للجنـان ولكـن ... لم يطـل لُبثكم،فكنـت الـشهيدا
أيّهـا الراحـل المـودّع أبـشرْ ... خلفـك الـذاريات تـذرو الحـدودا
أنـت فينـا والـشيخ أحمـد فينـا ... أنتمـا في اللّحـود أغلـى وجـودا

سـار مَـنْ يُعَـدُّ شـقيقاً وشـريكاً ،أباً،وابناً،حفيـدا

جمعـتكم حمـاس جَمْـعَ وفـاءٍ ... قـدّمتكم قيـادةً وجنـودا
كيف ننسى العيّاش حـادي ركـبٍ ... كيـف ننـسى مـع الأسـىٍ هنّـودا
كيـف ننـسى في الحالكـات عمـاداً ... وجهـاداً ،وفارسـاً،محمودا
موكـب النّـصر والـشّهادة مـاض ... بعـدما خـطّ بالـدّماء الخلـودا
يـا فلـسطين أبـشري واطْمئنّـيً ... إنّ يـوم الخـلاص لـيس بعيـدا

قصائد مختارة من شعره

٣

سوف نبقى

فلسطين أرضُ وطن وعقيدة .. أرض طهر وقداسة .. أرض عِزّة ومَنَعَة ، فهي ملتقى الأنبياء ، ومسرى رسولنا الكريم ﷺ .

تتمتّع هذه الأرض بمكانة خاصة في التصور الإسلامي ، وهي المكانة التي جعلتها محطّ أنظار ومهوى أفئدة جميع المسلمين .. وقد عُني المسلمون بأرض الإسراء عامة وبمدينتها المقدسة خاصة عناية فائقة ، منذ أمرنا رسول الله ﷺ بالرّباط فيها .. فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " يا معاذ إن الله عزّ وجلّ سيفتح عليكم الشام من بعدي .. من العريش إلى الفرات .. رجالهم ونساؤهم وإماؤهم مرابطون إلى يوم القيامة . فمن اختار منكم ساحلاً من سواحل الشام أو بيت المقدس فهو في جهاد إلى يوم القيامة "[١] .

وفي فترات الضعف والغفلة التي مرّت بالأمة الإسلامية تعرضت هذه الأرض لكثير من مؤامرات الحاقدين وهجمات الطامعين .. وكان قَدَرُ بلاد الشام وخاصة فلسطين أن تتحمّل معظم تلك الهجمات .. فقدّ هاجمها الصليبيون في تسع حملات صليبية ، وهاجمها المغول والتتار ، وهاجمها الفرنسيون .. وكان الهدف لكل هجوم منها القضاء على الإسلام وحضارة الإسلام .. ولكنهم طُردوا جميعاً منها خائبين .

وفي أواخر القرن التاسع عشر تآمر عليها الصليبيون (الدول الغربية) واليهود والماسون ، وأقاموا دولة لإسرائيل في فلسطين .. واستعملوا كل الطرق والأساليب من قتل وسجن وحرق وتدمير ، لتهجير أهلها منها .

وأمام كل المؤامرات والإجراءات الحاقدة جاءت هذه القصيدة لتكون عنواناً بارزاً من عناوين الثبات .. ولتتحدّث بلسان أبناء فلسطين وتقول :

---

(١) الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل ، ص١٤٥ .

أبيات القصيدة (1)

اقتلونا
واسْجنونا
شرّدونا
مزّقونا
واسْملوا منا العيونا
ومن الأمّ من الابن من الزّوج احْرمونا
إفعلوا ما شئتمُ
لن ترعبونا
لن تنالوا ما تريدون سنبقى
ذلك السّيف الذي يصبح ألفا
نحن لا نقبل ذلاً
نحن لا نعرف خوفاً

۞ ۞ ۞

في البراري ، بعد أن ودّعت داري وصغاري
في الفيافي ، والمنافي

---

(1) جريدة السّبيل في ١٧ / ٧ / ٢٠٠٦ .

في دروب القدس ، في غزّةَ ، في نابلسَ
في يافا وحيفا ،
في جنين النصر والفجر ارْصدونا
حاصرونا واقْصفونا
أبداً لن ترعبونا

۞ ۞ ۞

اقتلونا
واسْحلونا
في ثرانا ، بدمانا غيّبونا
سوف نبقى
عبقاً في الأرض ، جذراً ، وتراباً ، وحصادا
وشهوداً وعهوداً
سوف نبقى
لنعيد الحقّ حقاً
نسبق الأحداث سبقاً
نزرع الأرض لتبقى
نأكل الصخر ونشقى
نركب الصّعب ونرقى
سوف نبقى

۞ ۞ ۞

حقّق الياسين ما كان ابْتغى
بعده عبد العزيز انضمّ للموكب في ساح الوغى ،
إنْ يمت ألفٌ ، فألفٌ جاهزون
من فجاج الأرض ، من تحت الرّكام يخرجون
في دياجي الليل ، في الظّلمة ، في وضح النّهار يطلعون
وينالون الذي هم ينشدون
إنْ قتلتمْ شيخنا الملتف في ثوب الجلال
تم أتْبعتم بأُسْد ،
برجال كالجبال ،
فاعْلموا أنكمُ قدمتُمُ
خدمةً للأرض ، للأهل ، وللعشّاق
أذكيتمْ أفانين القتال ،
وكذا الأيام تمضي
وكذا الحرب سجال



المصادر والمراجع

١- ديوان " شدو الغرباء " ، عمان ، ١٩٧٥م .
٢- ديوان " عيون في الظلام " ، عمان ، ١٩٨٤م .
٣- ديوان " القدس في العيون " ، المنصورة ، ١٩٩٠م .
٤- ديوان " نسائم الوطن " ، عمان ، ١٩٩٧م .

٥- أشواق في المحراب ، عمان ، ١٩٨٥م .
٦- مجموعة كتب الدكتور كمال رشيد للأطفال .
٧- الدكتور عدنان حسّونة : الشعر الإسلامي في الأردن ، عمان ، ٢٠٠٤م .
٨- الدكتور مأمون جرار : الشعر في الأردن ، عمان ، ٢٠٠٢م .
٩- مؤتمر أدب الأطفال - الجامعة الهاشمية ، ٢٠٠٦م .
١٠- جريدة السبيل في ٢٠ / ٤ / ٢٠٠٤ م و ١٧ / ٧ / ٢٠٠٦م .

الدكتور مأمون فريز جرّار

(١٣٦٩ هـ - ....) (١٩٤٩م - ....)

* تقديم
* حياته ودراسته
* حياته العملية
*نشاطه
* شعره
* نكبة فلسطين في شعره
* شعره الإسلامي والاجتماعي
* رأيه في الشعر والأدب
* آراء الأدباء والنقاد في شعره
* آثاره الأدبية
*قصائد مختارة من شعره

تقديم

الدكتور مأمون جرار أديب التزم الإسلام عقيدة ومنهجاً وسلوكاً في الحياة .. له تجربة أصيلة في مجال الشعر والقصة .. وهو أحد الوجوه الأدبية والنقدية والفكرية في الساحة الأردنية والساحة العربية .. وهو يرأس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأردن منذ عدة سنوات .

حياته ودراسته

على ربوة من رُبا فلسطين ، تطلُّ على سهول يانعة خضراء ، وفي بلدة – تقع بمنتصف المسافة بين مدينتي نابلس وجنين – عُرفت باسم صانور(1) ولد الشاعر مأمون فريز محمود جرار عام ١٩٤٩م .. ونشأ في أسرة محافظة متديّنة ، عرفت باستقامتها وتمسّكها بإسلامها . وبدأ تعليمه الابتدائي في مدرسة صانور ، وأتمّه وواصل دراسته الإعدادية والثانوية في مدينة جنين ، وتخرّج فيها عام النكبة الثانية ١٩٦٧ ، وكان من المتفوقين في امتحان الشهادة الثانوية .

ولما اغتصب اليهود مدينة جنين وما تبقّى من أرض فلسطين ، اتجه شاعرنا إلى عمان لمواصلة تعليمه الجامعي ، والتحق بكلية الآداب بالجامعة الأردنية في بعثة دراسية من وزارة التربية والتعليم . وفي عام ١٩٧١ أتم دراسته الجامعية وحصل على الليسانس في اللغة العربية وآدابها ، وكان ترتيبه الأول في دفعته ثم حصل على الدبلوم العالي في التربية عام ١٩٧٣م . وفي عام ١٩٧٧ ، التحق بقسم الدراسات العليا بالجامعة

(١) قرية صانور تقع في محافظة جنين بفلسطين .. اشتهرت بقلعتها الحصينة التي لعبت دوراً هاماً في تاريخ جبل نابلس في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .. ففي عام ١٧٩٨م استنجدت بها قلعة عكا ضد الغزو الصليبي القادم من فرنسا بقيادة نابليون ، فقادت جموع جبل النار ، وحاصرت الفرنسيين في أحراش عزّون وأحرقتها عليهم ، وحاربتهم في مرج ابن عامر ، وقامت بمطاردة فلولهم من أرض فلسطين .

الأردنية ، وحصل على ماجستير في اللغة العربية وآدابها عام ١٩٨٠، وكان موضوع رسالته "أصداء الغزو المغولي في الشعر العربي" من القرن السابع إلى القرن التاسع للهجرة . وحصل على دكتوراة في منهج الأدب الإسلامي ، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٩٨٧ ، وكان عنوان رسالة الدكتوراة: خصائص القصة الإسلامية .

حياته العملية

عمل الدكتور مأمون بعد تخرجه من الجامعة الأردنية مدرّساً لمادة اللغة العربية في مدارس وزارة التربية والتعليم بالأردن لتسع سنوات من عام ١٩٧١–١٩٨٠. ثم عمل مدرساً في مدارس الإمارات العربية المتحدة لمدة سنتين من عام ١٩٨٠–١٩٨٢. ثم توجّه إلى الرياض وعمل محاضراً ، ثم أستاذاً مساعداً في جامعة الملك سعود بكلية الآداب – قسم اللغة العربية ثماني سنوات من عام ١٩٨٢–١٩٩٠م.

وعاد إلى عمّان وعمل محاضراً غير متفرغ في كلية تأهيل المعلمين ، وكلية الدعوة وأصول الدين ، ثم عميداً لكلية الخوارزمي في بداية عام ١٩٩١ ، وأستاذاً مساعداً في جامعة عمان الأهلية . وعمل باحثاً متفرّغاً للتأليف في دار البشير لسنة واحدة من عام ١٩٩٢–١٩٩٣م . واستقرّ به المقام أستاذاً مساعداً في جامعة العلوم التطبيقية ابتداء من عام ١٩٩٣ ، وما زال يعمل فيها حتى اليوم .. وفي أثناء عمله في جامعة العلوم التطبيقية قام بالأعمال الإدارية التالية : عمل رئيساً لقسم اللغة العربية في العام الدراسي ١٩٩٨/٩٧ ، ورئيساً لقسم اللغة العربية وقسم التربية والعلوم الاجتماعية في العام الدراسي ٢٠٠١/٢٠٠٠ ، وعضواً للجنة البحث العلمي في العام ١٩٩٩/٩٨ ، وعضواً لمجلس الجامعة في العام ١٩٩٩/٩٨ ، وعضواً للجنة الكتاب السنوي في العام ١٩٩٥/٩٤م . وقام بأعمال إدارية وعلمية في جامعات ولجان أخرى منها : عضو نادي الشعر في جامعة الملك سعود بالرياض ، وعضو لجنة الجامعة

الأردنية لإعداد معجم ألفاظ الحياة العامة في مجمع اللغة العربية الأردني ١٩٩٨/٢٠٠٠ ، وعضو لجنة الإشراف على مراجعة الموسوعة الفلسطينية ١٩٩٩/٢٠٠١م .

وقام بتحكيم بحوث وكتب لجهات علمية ، منها : مجلة الدّارة السعودية ، ورابطة الأدب الإسلامي العالمية ، ومجلة إسلامية المعرفة – المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، والجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا ، وجامعة الزرقاء الأهلية ، وجامعة النجاح بفلسطين .

نشاطه

كان الدكتور مأمون – منذ صغره – من الشباب الذين لهم نشاط في مجالات كثيرة من مجالات العمل الإسلامي ، وخاصة المجال الأدبي والمجال التربوي .. فكان في مدينة جنين من أكثر الشباب نشاطاً . ومن الأنشطة التي قام بها ، عندما قام الداعية الإسلامي المعروف الدكتور يوسف القرضاوي عام ١٩٦٦ بزيارة للضفة الغربية ، وقام بجولة ألقى فيها محاضرات في جنين ونابلس والقدس والخليل وغيرها ، رافقه الدكتور مأمون في تلك الجولة ، وألقى قصائد في تلك المحاضرات ، وكان وقتها مازال طالباً في المرحلة الثانوية من دراسته .

وفي عمّان شارك في كثير من مجالات النشاط .. فكان في الجامعة الأردنية من أعضاء اللجنة القائمة على توجيه الشباب – في اتحاد الطلاب – توجيهاً إسلامياً وكان يكتب في الصحف منذ عام ١٩٦٤ ، وقد نشر العديد من المقالات الإسلامية والأدبية و الاجتماعية و التربوية في كثير من الصحف والمجلات الأردنية والعربية والإسلامية وشارك في تقديم عدد من الأحاديث والندوات في الجامعات ، وفي الإذاعة الأردنية والقنوات الفضائية العربية ، وشارك في كثير من المناسبات الإسلامية والوطنية التي أقيمت في الأردن وفي بلدان كثيرة من الوطن العربي والإسلامي .. كما

شارك في كثير من المؤتمرات والندوات الأدبية والعلمية ، منها : الندوة العالمية للأدب الإسلامي في لكنو بالهند عام ١٩٨١ ، وندوة الأدب الإسلامي في الرياض التي أقيمت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٩٨٥ ، والملتقى الدولي الأول للفن الإسلامي في قسنطينة بالجزائر عام ١٩٩٠ ، والملتقى الدولي الأول للأدب الإسلامي في وجدة بالمغرب عام ١٩٩٤م ، والملتقى الدولي الثاني للأدب الإسلامي في الدار البيضاء في المغرب عام ١٩٩٨ وملتقى جامعة آل البيت الثقافي الثاني بالأردن عام ١٩٩٨ ، ومؤتمر الأدب الإسلامي – الواقع والطموح – في جامعة الزرقاء بالأردن عام ١٩٩٩ ، ومؤتمر الأدب في خدمة الدعوة في جامعة الأزهر بمصر عام ١٩٩٩ ، والملتقى الأول للأديبات الإسلاميات بالقاهرة عام ١٩٩٩ ، وندوة اللغة العربية متطلباً جامعياً بالجامعة الهاشمية ، عام ٢٠٠١م ، والملتقى الدولي الرابع للأدب الإسلامي في فاس بالمغرب عام ٢٠٠٤م .

وللدكتور مأمون نشاط إعلامي متعدّد ومتميز ، ومن هذا النشاط :

١- كتابة زاوية أسبوعية في جريدة الدستور الأردنية بعنوان " بصائر " .

٢- كتابة زاوية أسبوعية في جريدة اللواء الأردنية بعنوان " آفاق " .

٣- المشاركة في برنامج " في ظلال الإيمان " في الإذاعة الأردنية .

٤- إعداد وتقديم برنامج أسبوعي في الإذاعة الأردنية بعنوان " نظرات في آيات" .

٥- إعداد وتقديم برنامج بعنوان " تسبيحات كونية " لقناة الرسالة الفضائية .

٦- تقديم برنامج " أحلى الأمسيات " في قناة الرسالة الفضائية خلال شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٧هـ .

وللدكتور مأمون ارتباط بعدد من الهيئات والجمعيات : فهو عضو في رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، ورئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأردن منذ عام ١٩٩٥م ، وعضو مجلس أمناء رابطة الأدب الإسلامي العالمية منذ عام ١٩٩٥م ، وعضو مجلس إدارة جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية في عمّان منذ عام ٢٠٠٤م .

شعره

الدكتور مأمون شاعر موهوب . قال الشعر منذ صباه ، شعره فيه متعة وفيه جمال ، امتاز بالرقة والصفاء ، وجاء صادق الإحساس والتصوير ، نسج أكثره على منوال النظم العربي الأصيل ، ولكنه تأثر بالشعر الحديث ونسج على منواله ، ولم يخرج فيه عن الوزن الشعري .

كانت بدايته مع الشعر عام ١٩٦١ ، وكان ينشر إنتاجه في جريدة المنار والشهاب والمجتمع . وصدرت له أول مجموعة شعرية في عام ١٩٦٩ بعنوان "القدس تصرخ" ، وصدرت مجموعة ثانية عام ١٩٨١ بعنوان "قصائد للفجر الآتي" ، وصدرت مجموعة ثالثة عام ١٩٨٣ بعنوان "مشاهد من عالم القهر" . ثم اتجه للكتابة النثرية الأدبية ، التي تجلّت في عدد من الأعمال القصصية ، مثل : "صور ومواقف من حياة الصالحين" ، و "صور ومواقف من حياة الصالحات" ، و"من قصص النبي"،و"شخصيات قرآنية" .

توقف الدكتور مأمون عن الشعر سنوات . بل شُغل عنه ، وكان يراوده شعر لا يرتضيه ، ويستعصي عليه شعر يتطلّع إليه .. يقول في قصيدة بعنوان "شكوى من الشعر"[١] :

يا منبتَ الشعر ما للشِّعر يجفوني ... أسعى إليه ولكن لا يُواتيني
كم ليلةٍ بتّ فيها حائراً قلقاً ... استمطرُ الشعرَ أبياتاً فيعصيني
عجبتُ يا صاحِ من شعرٍ يطاوعني ... يوم الرّخاء وحينَ البأس يعصيني

ثم بدأ شاعرنا ينظم بعض القصائد من حين لآخر . ولما اجتمعت لديه مجموعة جديدة ، أصدرها بعنوان "رسالة إلى الشهداء" ، ووعد بأن يتابع مسيرته الشعرية ، ويُخرج لنا مجموعات أخرى جديدة .

---

(١) ديوان : "رسالة إلى الشهداء" ، ص٥٤ .

والدكتور مأمون شاعر مؤمن صادق انبثق شعره من واقع الحياة التي يعيشها.. ، فقد أحسّ نكبة أمته ودافع عن قضاياها ، وساهم بشعره في كثير من المناسبات الإسلامية ، وحمل آمال أمته وآلامها وتطلّع إلى استئناف حياة إسلامية تكون الطريق لتحرير وطنه المغتصب .. فجاء شعره تعبيراً عن خلجات نفسه وتصويراً لومضات مشاعره ، وصار لنا و احداً من الحداة لركب الإيمان السائر على درب الحق .

طرق في شعره معظم أغراض الشعر ، ونظمه في مجالات متعددة . نظمه في الدعوة إلى الإسلام ، وفي قضايا الأمة العربية والإسلامية ، وفي نكبة بيت المقدس وفلسطين ، وفي الجهاد والاستشهاد .. وله شعر في الرثاء وذكر الموت ، وشعر وطني ووجداني ، وشعر في الوصف .. وهو في جميع أشعاره ينبض بروح إسلامية .

نكبة فلسطين في شعره

كان لفلسطين وطن الشاعر نصيب كبير من شعره ، وكان لضياع بيت المقدس ، وضياع ما تبقّى من فلسطين الكثير الكثير من شعره .. فشاعرنا ولد بعد نكبة ١٩٤٨ بعام واحد ، وأنهى دراسته الثانوية عام النكبة الثانية ١٩٦٧م .. وواكب أحداث القضية حدثاً حدثاً ، وعاش معها بأفكاره وأحاسيسه ، وكان لتلك الأحداث والنكبات أثر واضح في حياته الشعرية ..

فمن وحي الهزيمة القاسية التي منيت بها الأمة عام ١٩٦٧ ، والتي ضاعت فيها البقية الباقية من فلسطين ، فكانت لقمة سائغة ليهود ، ليحكموا بعدها قبضتهم على فلسطين المسلمة كلها .. من وحي هذه الهزيمة المريرة التي فجّرت براكين الغضب في النفوس ، نجد شاعرنا الدكتور مأمون يستحث شعبنا المكبل ليفكّ قيوده ، ويحرّر إرادته من عوامل الخوف والذلّ والهوان ، فيقول في قصيدة بعنوان

"أيها الشعب"[1] :

أيها الشعب كيف ترضى بذلّ — كيف ترضى بأن تذلّ وترغم ؟
أيها الشعب أين روحك ضلّت ؟ — أين تاهت ؟ وأين نارك تضرم ؟
أيها الشعب هل مرادك عيش — فيه تحيا كما البهائم تنعم ؟
أين روح الجهاد يا شعب تسري — فيثور الأبطال ثورة ضيغم ؟

وهو ينكر على أبناء شعبه الذين نزحوا من غربي النهر بعد هزيمة ١٩٦٧ فكرّروا ما حدث في الهجرة الأولى عام ١٩٤٨ ، ويحذرهم من مخاطر ذلك داعياً إياهم للثبات والجهاد ، والتأسي بأبطال الفتح الإسلامي كخالد وأبي عبيدة . وحتى يستثير حميتهم ويحفزهم للجهاد ، وعدم الركون إلى حياة الدّعة والهوان ، طلباً لسلامة الأبدان ، نراه يضرب لهم أمثلة من بعض الأحياء والجمادات التي أنفت الذل والقعود ، وأبت إلا حياة الحركة والحرية ، لتحقيق رسالتها ووجودها في الحياة ، فيقول :

كيف تأبى الطيور عيشة ذلّ — ثم نرضى ونحن يا شعب أعلم
كيف تأبى المياه طول سكون — ثم نرضى ونحن يا شعب أحكم
كيف تأبى الرياح ، إلا هياجاً — ثم نرضى السكون والليل مظلم
أيها الشعب قم نجاهد نكافح — إنما الخلد في الطريق فأقدم

ثم يضرب لشعبه المكلوم مثالاً لنضال شعب الجزائر الذي حصل على حريته واستقلاله بالدم والنار .. ولهذا فهو يحذر أبناء شعبه النازح من الانخداع والسير في طريق ما يسمى بالسلام والاستسلام ، بديلاً عن طريق الجهاد ، فيقول :

---

(١) ديوان : "قصائد للفجر الآتي" ، ص٧٤ .

فتيـــة الحـــق في الجزائـــر ثـــاروا قـــدّموا الـــنفس في المعـــارك والـــدّم
لم يهـــابوا بـــأس العـــدو وســـاروا في دروب للنـــصر والبغـــي يُهـــزم
ثـــم نـــالوا الحقـــوق مـــن بعـــد لأي وكـــذا اليـــوم إن أردت .. تقـــدّم
وضـــح الـــدرب ثـــورة ونـــضال وفـــداء للمجـــد .. والحـــق ســـلم
لا ســـلام فالـــسّلم مطلـــب ذلّ إن أردنـــاه فهـــو مـــوت محـــتّم

ويستقر شاعرنا في عمان لمواصلة دراسته الجامعية ، ويشعر بما حلّ بشعبه من التشرّد والبعد عن الوطن ، فينظم قصيدة بعنوان "ماذا أقول" ، يقول فيها(١) :

مـــاذا أقـــول ومـــن ســـيفقه قـــولتي وإذا صرخت فمن سيـسمع صـرختي
أســـفي علـــى صـــفٍ تمـــزّق شملـــه وغـــدا مثـــالاً قـــاتلاً .. للفرقـــة
والعرب سـكرى في الـصراع كأنمـا لم يعلمـــوا -أبـــداً- خيـــوط الخطـــة
الكـــلّ يقـــصد ذلّنـــا وهواننـــا أفغـــير ربّـــي منقـــذ مـــن شـــدّة .. ؟
لـــو أن لـــي مـــن قـــوّة في أمـــتي لجعلتهـــا تـــسعى لنيـــل القمّـــة
لجعلتهـــا بالـــدين أعظـــم أمـــة تبـــدو علـــى الـــدنيا بـــدين الرحمـــة
لجعلتهـــا نـــوراً يـــضيء علـــى المـــلا تبـــدو لِعَـــين النـــاظرين كـــشعلة
لكنهـــا منكوبـــة بعـــصابة هـــم أسّ كـــلّ تهـــدّم أو نكبـــة
طـــلاّب حُكـــمٍ لا رجـــال قيـــادة أطفـــال لهـــو .. لا أشـــاوس نهـــضة

وقد أدّى تكرار المصائب والمحن التي منيت بها أمتنا ، كنكبة فلسطين الأولى عام ١٩٤٨ ، والنكبة الثانية عام ١٩٦٧ ، وإقدام يهود على حرق المسجد الأقصى عام ١٩٦٨ ، وما تلا ذلك من فتن ومحن .. أدى ذلك إلى تبلّد الأحاسيس ، وموت

(١) شعراء الدعوة الإسلامية ، ج٣ ، ص٨٠ .

المشاعر، وشيوع حالة من اللامبالاة عند أبناء الأمة ، حتى لكأن المصائب التي انصبّت على رؤوسنا لا تعنينا ، وكأننا لسنا المستهدفين بها .. فنظم شاعرنا قصيدة بعنوان "الأمة المخدرة" بيّن فيها بألم واضح ، وتهكم مرير أن اللهو والطرب هو ردّ الناس على ضياع الحقوق وتوالي النكبات ، حتى غدت حياتهم كالأنعام ، لا همّ لهم سوى الأكل والشرب واللهو ، فأضحت الأعصاب مخدّرة والمشاعر متبلّدة ميتة .. ويتساءل الشاعر بألم واستنكار عن سبب رضانا عن استباحة اليهود للأقصى وتدنيسهم لمسرى النبي ﷺ ، بينما ننخدع بسلم يرتبه لنا أعداؤنا ، لنقعد عن العمل لاسترداد وطننا بالجهاد والاستشهاد ، فيقول[1] :

الحق ضاع وضاعت أمة العرب ... فليس في الناس غير اللهو واللعب
نحيا كما ترتع الأنعام في دعةٍ ... ولا يزلزلنا سيل من النّوب
كأنما نحن أعصاب مخدّرة ... مات الشعور بها من نشوة الطرب
فمالنا نرتضي أن يستباحٍ حمى ... مسرى الرسول ولا نهتز من غضب
وما لنا نرتضي سلماً يزينه ... من راح يشري تراب القدس بالذهب

ويمرّ العيد بشاعرنا عام ١٩٦٩ ، ووطنه تعصف فيه النوائب ، فينظم قصيدة بعنوان "العيد الحزين" ، يقول فيها[2] :

أنا لست أدري كم من الأعياد يمضي ياجنين
وأنا بعيد عنك .. يعروني لجنتك الحنين
سأظل أهفو للقّا .. هيهات تسليني السنين
العيد أقبل يا جنين .. وإنه العيد الحزين

(١) ديوان "قصائد للفجر الآتي" ، ص١١٨ .

(٢) ديوان "القدس تصرخ" ، ص٣٠ .

ولما بدأت كتائب الإيمان تعدّ العدة للجهاد ، بعد نكبة ١٩٦٧ ، وتدخل في عمليات فدائية جهادية ضد اليهود في فلسطين ، واكب الشعراء الإسلاميون هذا التحول الإيماني في مسيرة القضية الفلسطينية ، وأخذوا يرصدون هذه العمليات ، يصفون أبطالها ، ويمجدون جهادهم واستشهادهم لإعلاء كلمة الله ، وطرد الغاصبين من أرض فلسطين .. فنظم شاعرنا قصيدة على لسان فدائيّ ، وطّن نفسه على البذل والتضحية ، وانطلق يجاهد في سبيل الله شوقاً إلى لقياه وحنيناً إلى جنته .. ووجّه هذا المجاهد رسالة إلى أمّه المؤمنة ، تمنّى فيها عليها بألا تقابل استشهاده بالبكاء ، وألا تتحسّر عليه بالحزن ، وإنما تقابل ذلك بالفرحة تغمرها ، وبالزغاريد تنطلق من فمها ، ابتهاجاً بمكانة ابنها عند الله . وقال في قصيدته[1] :

أُمّ لا تبكي إذا مِتُّ عَلَيّا ... وضَعي الحِنّاء في كلتا يَديّا
أنا يا أمّ إلى الخُلْدِ طريقي ... مُطمئنّ النّفس مَرضيّاً رضيّا
في سبيل الله أقضي بطلاً ... وشهيداً نائلاً خُلْداً عَلِيّا
زغردي أمّاه إن مِتُّ شهيداً ... باذلاً روحي ودنْيايَ سَخِيّا
كيف أحيا و ديارُ القدس تبكي ... أسمعُ الأقصى وقد أضحى بكيّا ؟
وَيْحَ نفسي إن تراخَتْ عن جهادٍ ... عن كفاحٍ وترى فيها بَغيّا

ولما تخاذلت أمتنا عن تحرير الأقصى وفلسطين ، وأصبحت القضية في ملف النسيان .. وبدأت تبرز بين حين وآخر شنشنات للتآمر عليها . نظم شاعرنا قصيدة بعنوان : "رسالة إلى الوطن المنسيّ" ، قال فيها[2] :

(١) ديوان "قصائد للفجر الآتي" ، ص٦٠ .

(٢) ديوان "مشاهد من عالم القهر" ، ص٣٣ .

كُنتَ يا موطني فوق كلّ الشّفاه
نشيداً يحرّك فينا عروق الحياةْ
يفجّر شوقاً إلى لحظة الزّحف والانتصار
يعكّر صفوَ النعيم المزيّف
ينشر في مائنا والطعام "عُروق الـمَرارْ"
وكنّا نردّد في كلّ صبحٍ :
غداً سنعودْ !
نعود ليافا . نعود لحيفا
وعكّا وللناصرة
نعود إلى عسقلان .. نعودُ .. نعودْ .. !

وفي عام ١٩٨١ حينما تصدى شعب الكنانة لما يسمى "بمسيرة السلام" ومعاهدة الذلّ التي فرضت عليه آنذاك .. وزُجّ بخيرة أبناء الشعب في السجون والمعتقلات .. وعمّت الشارع العربي والإسلامي موجة من الاستياء والاستنكار ، وقاد تلك الموجة الكثير من الكتاب والأدباء والشعراء ، ونظم الدكتور مأمون قصيدة بعنوان "سلام شعب مصر" ، تحدّث فيها عن محنة الشعب في مصر ، وقال فيها(١) :

طغى في مصر من خرَق الحدودا ... وألقى فوق معصمها القيودا
لتسلمَ مصرُ سالمت الأعادي ... وكبّلت المدافع و الجنودا
مبادرةٌ . مفاوضة .. وصلح ... غدت في عصرنا حدثاً مجيدا

(١) ديوان "مشاهد من عالم القهر" ، ص٤٣-٤٤ .

ولكن الشاعر لا ينسى أن في مصر شعباً أبياً يأبى الضيم ويرفض الهوان ، معتقداً بأن السلام مع الأعداء المحتلين ذلّ واستسلام ، فقال :

وكم في مصرَ من حُرٍّ أبيٍّ … لغير الله لا يرضى السجودا
تمرّد قال : لا فالصلح كفر … لإسرائيل لن نرضى وجودا
وتربة مصر للأعداء نار … وللأحباب نملؤها ورودا
لنا في الحرب تاريخ طويل … منعنا البغي فيه أن يسودا

ولمّا صار جيش اليهود يغير على مخيمات اللاجئين في فلسطين كل يوم .. يقصفهم من الطائرات الحربية ، ويهدم المنازل على رؤوسهم بالجرافات والمجنزرات ، ويجرف المزروعات ويقتلع الأشجار .. وأمتنا تشاهد أشلاء الأطفال والنساء في الشوارع وبين الأنقاض ، بإحساس متبلد وشعور ميّت .. فنظم قصيدة في موسم الحج عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، بعنوان "ألم تهزّكم الأشلاء" ، ووجهها إلى الحجيج ، وقال فيها[1] :

لبّيك لبّيك والأقصى ينادينا … وفي المخيم أشلاء تنادينا
لم يتركوا فيه لا طفلاً ولا امرأة … إلا وذاق من الموت الأفانينا
كم صرخة خرجت والرّعب يكتمها … شقّت إلينا مدى الآفاق تدعونا
تقول : يا أمة ضاعت كرامتها … وسيق رضّعها للموت غافينا
ألم تهزّكم الأشلاء ثاوية … تحت الرّكام .. ألم تسلبكم الهونا ؟
ألم تزلزل رقاداً في ضمائركم … فتنهضوا في سبيل الله سارينا
فما حياة وأرض القدس ضارعة … إلى الحجيج وقد جاؤوا ملبينا

---

(١) ديوان "رسالة إلى الشهداء" ، ص٦٠ .

بالبيت طافوا وأمّوا طَيْبة فمتى نراهم في رحاب القدس داعينا
متى يثير لهيب الثأر في دمنا ناراً تهبّ على الدنيا براكينا ؟
متى فقد طال تشريد يطاردنا فما يفارقنا إلا ويأتينا ! !

ولما هبّ شعب فلسطين في انتفاضة الأقصى ، وقدّم أبناؤه نموذجاً جديداً في الجهاد والعمليات الاستشهادية ، نظم شاعرنا عدداً من القصائد للشهداء والاستشهاديين ، وعبّر في قصيدة قصيرة بعنوان "توقيعان شعريان" عن جوهر أبناء فلسطين الذين لا يصيبهم اليأس ، فقال[1] :

كلُّ قطرة دمْ من وريد الشّهيدْ
وَعْدُ سنبلةٍ بانبعاثٍ جديدْ

وقال :

نخُطُّ على الدّرب وَقعَ خُطانا
ويخطو عليه سوانا فتعفو خُطانا

ولما وقعت معركة جنين والمخيم "المشهورة" في نيسان من عام ٢٠٠٢م .. وقدّم فيها أبناء جنين والمخيم ملحمة وأسطورة في الجهاد والاستشهاد .. نظم الدكتور مأمون قصيدة بعنوان "جنين الشهيدة" ، أهداها إلى أبطال مخيم جنين .. وقدّم فيها تأكيداً لمعاني الشهادة ، ونقداً لاذعاً للواقع العربي ، حيث التفرّج على ذبح الأهل وهدم البيوت في جنين والمخيم .. فقال فيها[2] :

(١) ديوان "رسالة إلى الشهداء" ، ص١٣ .
(٢) ديوان "رسالة إلى الشهداء" ، ص١٠ .

لا بأسَ يا جنينْ
ملحمة تُضاف في ملاحم السنينْ
نقرأ فيها قسوة الجزّار إذْ
يُعْمِلُ في أعصابك السكينْ
لكنه لم يسمع الأنينْ
صبرتِ حتى الموت عن قولة (أخْ)
ولم تجئك نُصرة ابن العمّ
أو معونةٌ من أخْ
وأنت تذبحينْ
والأعينُ العمياءُ تبصر الجزّارَ والسّكينْ

شعره الإسلامي والاجتماعي

نشأ الدكتور مأمون في بيئة دينية محافظة ، وتربّى في أسرة ملتزمة بالإسلام فوالده الشيخ فريز جرار من وجهاء محافظة جنين ، ومن قادة الحركة الإسلامية فيها .. ومدينته "جنين" كان لها دور بارز في الجهاد ضد الغزاة ، وكانت معقلاً من معاقل شيخ الجهاد عز الدين القسّام ..

والدكتور مأمون صاحب فكر إسلامي أصيل ، ولديه تصور إسلامي شامل وشعره ينطلق من تصور إسلامي في نظرته إلى الكون والإنسان والحياة ، وفي نظرته إلى القضايا والأحداث . وهو يدعو في شعره إلى العودة للدين والاحتكام لشريعته ، والاقتداء بعلمائه وقادته الأطهار ، ومن ذلك قوله[1] :

---

(١) ديوان "مشاهد من عالم القهر" ، ص٧٣ .

مــا لم تقــم للــدين فينــا دولــة ويــــسوسنا قـــوم مـــن الأطهــــار
فالليــــل ممتــدّ المــدى وديارنـــا محفوفــــــة بمطـــــارق الأخطـــــار

وهو ينعى على المسلمين تفرقهم في هذه الأيام .. فهم لم يتمسكوا بالدين ، ولم يسلكوا درب المعالي ، فخسروا الدين والدنيا ، ويقول في ذلك[1] :

مــاذا أقــول وفي قلــبي مواجعــه والمــسلمون حيــارى مثــل قطعــان
ما أحسنوا الدين والدنيا ومـا سـلكوا درب المعــالي وسـاروا درب عبــدان
أنظــر إلى دول الإســلام تلــق بهــا دمــاً مراقــاً .. وتحقــيراً لإنــسان
لكنمـــا أملـــي في عـــصبة ســـلكت درب الهدى .. لم يرعها ليل طغيــان

ولكن بارقة أمل دخلت نفسه عندما زار ندوة العلماء بلكنو في الهند ، وشارك في الندوة الأولى للأدب الإسلامي التي عقدت سنة ١٩٨١ ، وشاهد بعثاً للدين وتثبيتاً لأركانه ، فوجه تحية لندوة العلماء ، قال فيها[2] :

في لكنـــو قلعـــة للـــدين شـــامخةٌ لاحــت محاسـنها في خـير عنـوان
أكرم بمن فيكِ من أهل التُّقى فلقـد أدّوا فـــرائض كانـــت طـــيّ نـــسيان
لمثـل هـذا الـذي في الهنـد نـشهده ليعمــل النــاس في مــصر وســودان

وللدكتور مأمون شعر اجتماعي هادف ، يعكس في كثير من تجاربه الشخصية نظمه في عدد من الجوانب الاجتماعية والإنسانية . فله قصائد في الرثاء ، منها

(١) ديوان "مشاهد من عالم القهر" ، ص٤١ .
(٢) ديوان "مشاهد من عالم القهر" ، ص٣٨ .

قصيدته التي بعنوان "كلّ شيء لانتهاء"[١] ، نظمها عام ١٩٧٣ ، عند وفاة الأستاذ حسن الهضيبي المرشد العام الثاني للإخوان المسلمين .. وفي هذه القصيدة وقفة مع الآلام التي يعانيها الداعية المسلم ، وفيها دعوة للصمود أمام هذه الآلام ، ودعوة إلى التفكير العميق في المصير الذي يمثله العنوان "كل شيء لانتهاء" .. وقد وجّه الشاعر قصيدته هذه إلى السائرين على درب الراحل الإمام حسن الهضيبي[٢] ، وقال فيها :

كلّ شيء لانتهاء !
هكذا كان من الله القضاء !
فاصبروا مهما يطل ليل البلاء !
كل شيء لانتهاء !

قف قليلاً ... !
أنت عبر الموكب الدامي شعاع أبدي !
يولد النور على جبهتك الخضراء في صبح ندي !

---

(١) شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ، ج٣ ، ص٨٣ .

(٢) اختير الأستاذ حسن الهضيبي رحمه الله ، مرشداً عاماً للإخوان المسلمين عام ١٩٥١م ، خلفاً للإمام الشهيد حسن البنا ، وأظهر كفاءة نادرة ورجولة فائقة قلّما يجود بها التاريخ الإسلامي . اعتقلته السلطات المصرية عام ١٩٥٤ لنقده الاتفاقية المصرية البريطانية ، وصدر الحكم عليه بالإعدام ، وخفف إلى الأشغال الشاقة المؤبدة ..
والأستاذ الهضيبي من أفذاذ القادة الذين عرفهم تاريخ الإسلام الحديث ، قد صنعه الله على عينه ، وأعدّه منذ الحداثة لأمر أراده ، فحفلت مراحل حياته بإشراقات ومواقف تعتبر من أنفس الدروس التي ينشأ عليها الرجال ويهتدي بها الدعاة ، ولكنها مطوية عن أكثر الناس لما امتاز به صاحبها من التواضع وإيثار الصمت والتجرد الذي يسمو به عن أن يتلقى الجزاء إلا من الله .

وحياة أنت تمتد .. وتمتد .. وتبقى كالغد !
دائماً تولد .. في كل انتفاضة قلب مهتد ! !

لك يا حامل نور الله في الخلد بقاء !
والذي كان ستنساه إذا حان اللقاء !
فنعيم الخلد يفني .. كل ما يبني الشقاء !

كل شيء لانتهاء ....
هكذا كان من الله القضاء
فاصبروا مهما يطل ليل البلاء !

وللدكتور مأمون قصيدة ، نظمها في المدينة المنورة في ٢١ / ٨ / ٢٠٠٠م ، يتمنى فيها أن يموت في المدينة المنورة وأن يُدفن فيها ، وهذه غاية المنى عنده .. والقصيدة فيها من الموعظة والتوجيه التربوي لشبابنا بما يذكّرهم بالموت ، ويشدّهم إلى طريق الاستقامة والتقوى ، والتمسّك بتعاليم الإسلام .. يقول فيها :

يا حياةً بما نحبُّ ضنينهْ ... مُنْيةُ العمر ميتةٌ في المدينهْ
يا لأنوار طيبة حين تبدو ... لِمُحبٍّ ألقى إليها حنينهْ
طَيْبَةَ الطّيبِ هل تضمّين جسماً ... شدّه الشّوق منذ فارق طينهْ؟

وله قصائد فيها وقفات تأمّل .. منها قصيدة بعنوان "وقفة على الآثار" ، وقصيدة "الجمال في الكون" ، ومنها قصيدة بعنوان "خمسون" ، يرصد فيها ما حلّ به بعد خمسين عاماً من العمر ، حيث الشّيب ، وذهاب الطفولة والصّبا ، وكأنّ عمره رماد أو سراب .. لكنه يهفو إلى ما يتوّج هذا العمر الفاني ، وهذا الرماد والسراب ،

بسفر ناجح إلى الآخرة ، حيث النور والفوز بمرضاة الله تعالى ، فيقول[1] :

خمسون عاماً نوت .. هل أفلتَ العُمُرُ ... والشّيبُ في جنبات الشّعر ينفجرُ
خمسونَ والأمنياتُ الخُضرُ قد نَسَلَت ... أوراقها وذوى في البرعم الزّهرُ
خمسون يا غمضةً للطّرفِ هل رَحَلَت ... عنّي الطفولةُ ؟ هل ولّى الصّبا النّضر
هل دار بي زمني في العمر دَوْرته ... حتى استَفَقْتُ وحولي تنعقُ النُّذُر
قبضتُ كفّي على عُمري فما حملت ... إلا رماداً فلا فحمٌ ولا شرَرُ
قد آنَ للقلب أن تُعلى معارجه ... وآن للفجر أن يزهى به السّحَرُ
يا باعثَ الشوق هيّجني إلى سفر ... يكون في الملأ الأعلى له خبر
أنِرْ بمشكاةِ قلبي للهدى فلقاً ... به البصيرةُ ،تُهدى الدربَ،والبصَرُ

وله قصيدة بعنوان "وقفة مع البحر" ، حاول فيها أن يعيد الاتصال بين الإنسان والطبيعة ، قال فيها[2] :

أيها البحرُ أسمعُ في صمتِ ليلكَ تسبيحَ ربّي
هيبةَ الخلق فيكَ تنوّرَ قلبي
وإبداعُ ما فيك يطلقُ عقلي بتسبيح ربّي
آه يا بحرُ مِنْ أينَ ماؤكَ
مِنْ أينَ تعمُرُ أعماقِك الكائنات
ها هوَ الحوتُ .. ها سَمَكُ القرش .. ها كلُّ حجمٍ ولونٍ وشكل
آهِ يا بحرُ .. مَنْ أبدعَ الحُسنَ في هذه السّابحاتْ ؟

(١) ديوان "رسالة إلى الشهداء" ، ص٤٩ .

(٢) ديوان "رسالة إلى الشهداء" ، ص٣٨ .

رأيه في الشعر والأدب

الدكتور مأمون أديب إسلامي .. له رأي في الشعر والأدب ينطلق من منظور إسلامي .. فالشعر عنده رسالة ، وليس زخرف قول أو زينة كلام .. وإنما هو رسالة يريد إيصالها للمتلقين ..

وهو يرى أن الشعر العربي الأصيل هو الشعر العمودي المنظوم ، أما الشعر الحرّ فهو لون مستحدث من ألوان الشعر العربي يناسب إيقاع العصر الحديث وطبيعته .. ويرى أن أحد اللونين لا ينفي الآخر ، وإن كان يعتقد أن البقاء للشعر العمودي الموزون المقفى الذي عرفه العرب قديماً ، ويبقى الحكم على الشعر للقرّاء أو النقاد الذين ينظرون إليه من زوايا متعدّدة ومختلفة .

والأدب الإسلامي عنده : هو الأدب الذي ينطلق صاحبه أو منتجه من تصور الإسلام للإنسان والحياة والوجود ، ويؤمن أن شعره وأدبه هو بعض عمله الذي يحاسب عليه ، لذا لابد للأديب أن يسخّر موهبته لتحقيق العبودية لله ، التي هي سبب وجود الإنسان ، متمشياً في ذلك مع قول الرسول ﷺ : (إنّ من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكمة) .. فلا بد من مراعاة جانب السحر الذي يعبر عنه بالصياغة الفنية التي تأخذ بالألباب ، والالتزام بالقواعد الفنية في الأدب ليتميز عن الكلام العادي والتأليف الفكري ..

وهو يرى أن للشعر دوراً في المعركة ضد الباطل ، وللكلمة المنثورة دور .. وأنّ الأدب بحدّ ذاته ليس هدفاً ، بل وسيلة للتعبير عن فكر الإنسان .. ولابد من أدائه بطريقة تضفي الحياة على الجمادات ، وتجسّم الأفكار وتبعث المشاعر وتحرّك الخيال .

الدكتور مأمون أديب بارز في ميدان الأدب الإسلامي ، وشاعر له حضور في ندوات الشعر وأمسياته في الساحة الأردنية والعربية .. تعرّض شعره لدراسة عدد من الأدباء والنقاد ، وقد اخترت من هذه الدراسات مقتطفات من أربع دراسات منها:

الأولى : للكاتبة الأردنية وفيقة العجلوني ، التي كتبت مقالاً إثر صدور ديوان الشاعر "مشاهد من عالم القهر" عام ١٩٨٣ ، ونشرته في جريدة الرأي الأردنية وقالت فيه[١] : "يعتبر مأمون فريز جرار من الأصوات الشعرية الملتزمة التي تسخّر البيان للإيمان ، وتنتضي التعبير سلاحاً في المعركة ، ومنذ مطلع الستينات إلى الآن لم يغادر مأمون دائرته العقدية ، بل ازداد شعره لصوقاً بروح أمته ، ولواذاً بقيمها ، وصدوراً عنها فكان مثالاً للأديب الملتزم الذي لا يتخذ الكلمة لهواً وتزجية فراغ .

ونحن مع ديوانه الجديد هذا في حضرة من هذا كله ، إن لم نقل إن شاعرنا قد أضاف نفساً جديداً هو نفس التحدّي والمواجهة على نحو ما نقرأ في مطلع القصيدة الأولى فيه حيث يقول[٢] :

أشرق في عتمة هذا الليل المُظلم
واهتف : إني مسلمْ
أشرق في هذا الزمن المتخم بالأحزانْ
والموت المجّانيّ وأغلال السجّانْ
والمسخ الإجباري لتكوين الإنسان
زمن الإحصاء لطيف الفكر ووسوسة الشيطانْ

---

(١) المشكاة المغربية – العدد ٢٩ ، ص١٧٤ .

(٢) ديوان "مشاهد من عالم القهر" ، ص٥ .

زمن الجاسوس اللاهث خلفك في كل مكانْ
أشرق في عتمة هذا الليل المظلمْ
واهتف : إني مسلمْ

ومما قالته : "ولعل مما يجدر الانتباه إليه أن وضوح أفكار الشاعر والتزامه المبدئي لم يحولا دون أن يكون بيانه متصفاً بالجمال ، غنياً بالصور ، حافلاً بالبلاغة" . ومما جاء في ختام المقال : "وبعد ، فأحسب أن مما نخلص إليه بعد هذه الوقفة العجلى هو ضرورة توجيه أنظار نقادنا ودارسينا إلى شعر مأمون فريز جرار الذي أعرف له أعمالاً أدبية لم تعط حقها من العناية ، مع أنها تفوق كثيراً في المبنى والمعنى ما نراه موضع درس وتأمل لدى كثير من هؤلاء النقاد ، فإذا كان بعض صغار الشعراء ممن لا يقيمون العربية ، ولا يضبطون الوزن يقدّمون في صحافتنا أحسن تقديم ، فما بالنا إذن بمثل هذا الشاعر المتمكن وأضرابه ؟!" .

الثانية : للأديب الشاعر الأستاذ حكمت صالح ، الذي أشار في كتابه "نحو آفاق شعر إسلامي معاصر" إلى مجموعة من الشعراء ذوي الإبداع الفني في الشعر الإسلامي المعاصر ، فقال[1] : "فمنذ مطلع النصف الثاني من القرن العشرين بدأت تلوح في الأفق ملامح حركة شعرية شابّة تصدر عن روح إسلامية ، ورؤية إيمانية غير أننا نجد في معطيات هذه الحركة الكثير مما نجده لدى أي تجربة أو محاولة جديدة لم تستو على سوقها بعد . ومع ذلك ثمة إرهاصات تلتمع في قصيدة هذا الشاعر أو ذاك تمنحنا أملاً بأن شعراً إسلامياً أصيلاً قد بدأ يثبت خطواته في مساحة الإبداع الفني الحديث ، ولا ننسى أن نلمح هنا – لا على سبيل الإحصاء – إلى هاشم الرفاعي ، ومحمود حسن إسماعيل ، ومحمد غزيل ، ومحمد الحسناوي ، وعمر بهاء الدين الأميري ، وعبد القادر حداد ، ووليد الأعظمي ، ومأمون فريز جرار" .

---

(١) نحو آفاق شعر إسلامي معاصر ، ص١٧ .

الثالثة : للدكتور أحمد بسام ساعي ، الذي تحدث في كتابه "الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد" عن الشعراء الإسلاميين الذين حاولوا تطوير البناء العروضي في القصيدة التي اتخذت الشكل الجديد ، فقال[1] : "وتكاد هذه المحاولات تقتصر على أعمال محدودة لشعراء إسلاميين أو لشعراء وضعوا بعض الأعمال الإسلامية ، وعلى رأس هؤلاء : نازك الملائكة ، ومحمود حسن إسماعيل ، ومحمد المجذوب ، ومحمد الحسناوي ، وعصام الغزالي ، وعبد الله عيسى السلامة ، ومأمون فريز جرار ، وشريف قاسم ، ومحمد العيد الخطراوي ، ومحمد هاشم رشيد" .. ووقف الدكتور أحمد بسام على تحليل قصيدة (على باب غرناطة) للشاعر مأمون جرار ، ونشرها في إحدى الجرائد ، وقال فيها كلاماً طيباً .

الرابعة : للكاتب محسن عبود ، الذي قدّم قراءة في ديوان "رسالة إلى الشهداء" ، نشرها في جريدة اللواء، وقال فيها[2] : "مجموعة شعرية رابعة وقدرة لافتة على "الإدهاش" ومضامين سامية في إطار الالتزام ، وتنويع في الشكل الشعري : نصوص عمودية وأخرى على شعر التفعيلة أو "الشعر الحر" .. ومع هذا فالمجموعة تضمنت على تنويع موضوعي خصب : الشهداء ، القضية الفلسطينية ، قضايا عربية، الطبيعة ، الأصدقاء ، الشعر وغير ذلك ، ولكن تنضوي جميعها تحت الإطار الإسلامي أو الإطار الملتزم" ..

وبعد أن تحدّث عن عدد من قصائد المجموعة وذكر أنها أدّت رسالتها ، قال : "فإن هذه المجموعة أدت رسالتها الإسلامية والإنسانية ، كما أدت رسالتها الفنية ، فالفن رسالة أيضاً ليس فقط بما يتضمن من معان سامية وإنما كذلك بما يشتمل عليه من أبعاد مؤثرة تخاطب النفوس وتثير العواطف وتصنع الرؤى الجميلة والصور

(١) كتاب الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد ، ص٩٥ .

(٢) جريدة اللواء الأردنية ، في ٢٠٠٣/١٠/١ ، ص٣٣ .

المدهشة ، مما يخلق لذة ونشوة يحتاجهما المتلقي . والمجموعة وإن اشتملت على مقاطع عادية مباشرة – اقتضتها دواعي الرسالة – فإنها اشتملت كذلك على نصوص رائعة عكست قدرة الدكتور جرار الشعرية ، على الرغم من إشارته التنبيهية التواضعية إلى أنه لا يدّعي أنه شاعر محترف" .

آثاره الأدبية

١- القدس تصرخ (ديوان شعر) – دار البيان ، الكويت ١٩٦٩

٢- قصائد للفجر الآتي (ديوان شعر) – مكتبة الأقصى ، عمّان ١٩٨١ .

٣- مشاهد من عالم القهر (ديوان شعر) – دار البشير ، عمّان ١٩٨٣ .

٤- رسالة إلى الشهداء (ديوان شعر) – دار الأعلام ، عمّان ٢٠٠٣ .

٥- أصداء الغزو المغولي في الشعر العربي – مكتبة الأقصى ، عمان ١٩٨٣ .

٦- الغزو المغولي أحداث وأشعار – دار البشير ، عمان ١٩٨٤ .

٧- الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث – دار البشير ، عمان ١٩٨٤ .

٨- خصائص القصة الإسلامية – دار المنارة ، جدة ١٩٨٨ .

٩- شخصيات قرآنية – دار البشير ، عمان ١٩٩٢ .

١٠- من قصص النبي ﷺ – دار البشير ، عمان ١٩٩٢ .

١١- نظرات إسلامية في الأدب والحياة – المكتب الإسلامي ، بيروت ١٩٩٣ .

١٢- صور ومواقف من حياة الصالحين (عشرة أجزاء) – دار البشير ، عمان ١٩٩٥ .

١٣- صور ومواقف من حياة الصالحات (جزءان) – دار البشير ، عمان ١٩٩٧ .

١٤- فنون النثر العربي القديم – جامعة القدس المفتوحة ، عمان .

١٥- اللغة العربية – للطالب الجامعي (مشترك) ، عمان ١٩٩٥ .

١٦- دراسات في اللغة والنحو والأدب (مشترك) ، عمان ١٩٩٧ .

١٧- المكتبة العربية والثقافة المكتبية (مشترك) ، عمان ١٩٩٧ .

١٨- في رحاب اللغة العربية (مشترك) ، عمان ١٩٩٩ .

قصائد مختارة من شعره

١

القدس تصرخ

منذ قديم الزمان ، ومدينة القدس تتصف بصفات لم تنلها مدينة أخرى على وجه هذه المعمورة . فهي مدينة الأقصى ، وأرض الإسراء والمعراج ، وقبلة المسلمين الأولى . مدينة سجد على ثراها الطاهر أنبياء الهدى ، وملائكة الرحمن .. مدينة حباها الله الخير ، ومتّعها بالبركة ، وجعلها أرض المنشر والمحشر . مدينة ، الجنة تحنّ شوقاً إليها ، بل إنها بقعة من بقاع الجنة ، فعن أنس بن مالك قال : "إن الجنة تحنّ شوقاً إلى بيت المقدس ، وصخرة بيت المقدس من جنة الفردوس ، وهي صُرّة الأرض" . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقع الجنة ، فلينظر إلى بيت المقدس" .. مدينة ارتبطت بالجهاد والرباط ، وبالفداء والاستشهاد .. مدينة أكرمها الله وجعل القائم فيها كالمجاهد في سبيل الله..

هذه المدينة المقدسة التي كانت مهوى القلوب المؤمنة ، ومعقل الأجداد الفاتحين ، وقعلة الرباط الأولى . تغيّرت عليها الأحوال ، وألّمت بها النائبات ، وأصبحت ترزح في الاحتلال وتحيا حياة الذل .. وأخذت تستغيث شباب الأمة الإسلامية وتنتظر نجدتهم وتترقب الخلاص من قيود الاحتلال ..

ففي عام ١٩٦٧ ، وقعت القدس أسيرة في يد يهود ، وخيّم الحزن على مآذن الأقصى ، وعاث اليهود في حرمه الفساد .. وبدأت محاولات لهدمه ، تارة بالحفر تحته ، وتارة بمحاولة حرقه ، والاعتداء على المصلين في رحابه ..

ولذكر القدس والأقصى صدى في نفس المسلم .. ولذلك نرى الشعراء الإسلاميين يكثرون من الحديث عنهما ، والتعبير عن مأساتهما .. يرددون صرخة القدس وصوت الأقصى ، وينادون إلى الجهاد والاستشهاد ..

وهذه القصيدة نظمها الدكتور مأمون عندما وقعت النكبة الثانية عام ١٩٦٧ ، ووقعت مدينة القدس بأيدي يهود .. يستصرخ فيها أمته العربية والإسلامية لإنقاذ الأقصى من براثن الأعداء .. ويذكرهم بعزة المسلمين في ماضيهم ، ويدعوهم للعودة إلى منهج الإسلام والتمسك بتعاليمه ، وتربية الأبناء على العزة والجهاد ، لتعود لنا القدس وفلسطين ..

لقد كان موضوع "القدس" غرضاً رئيسياً في شعر الدكتور مأمون ، وقد أفرد لها ديواناً بعنوان "القدس تصرخ" .. وما زالت القدس تشكّل هاجساً له ، لا يستطيع مقاومته ، فهو يذكّر بقضيتها كلّما ألّت بها حادثة أو حلّت بها مصيبة .. ومن ذلك نراه يقول في قصيدة عام ١٩٨٣م :

صرخة في أرضنا ممتدّة ... جلجلت في القدس يوم الاحتلالِ
لم تزلْ في أفقنا دامية ... دعوةً للموتِ في ساحِ النضالِ
حرقوا المسجدَ أنشدنا له ... وفديناه بأشعارٍ غوالِ
ربّما يُهدمُ ، هذه صرخةٌ ... ربّما يُهدمُ في سودِ الليّالي
هذه القدس فمن ينقذها ... إنّ أرض القدس ميدانُ المعالي

أبيات القصيدة [1]

=====================

مالي أراكم ذاهلين سكارى ... مالي أراكم تائهين حيارى ؟
مالي أراكم قائمين على الخنا ... متقلّبين به دجى ونهارا ؟
مالي أراكم تركضون لهُوَّة ... خلف السراب .. ألا ترون منارا ؟

---

(١) ديوان " القدس تصرخ " ، ص٥ .

يا قوم أبكتني مصائب أمة — لاقت سفينةُ ركبها إعصارا
يا قومنا قد ذاب قلبي من أسىً — وتخافتت دقاته استنكارا
مما أصاب الشعب في مهد الهدى — لما غدا قومي هناك أسارى
عجباً أذل الناس تغصب أرضنا — وتعيث في حرماتنا استهتارا
في المسجد الأقصى تدار رؤوسهم — ويدنسون رحابه استحقارا
وهناك في حرم الخليل تحلقوا — رقصاً . وشقوا عنده الأستارا
قولوا بربي كيف يهدأ بالنا — والقدس خلّفْنا عليها العارا
والقدس تصرخ أنقذوني فالعدى — راموا بإسراء النبي دمارا
ها هم بنو صهيون داسوا حرمتي — جعلوا الغواية .. والفساد شعارا
يا قوم كم من نكبة مرت ولم — نوعظ بها إذ تحمل الإنذارا
لم نلق بالاً للنذير وإنما — سرنا نطاوع مجرماً جبّارا
سرنا على درب الغواية أمة — بلهاء .. ماتت نفسها استصغارا
هل نحن أحفاد النبيّ المصطفى — أحفاد من رفع اللواء وسارا
قبساً ينير لكل سارٍ حائر — ضل الطريق وخبَّط الأغبارا
أم نحن أحفاد لماركس نقتفي — آثاره ونردد الأفكارا
أم من أبي جهل مشينا دربه — متمردين على الهدى كفارا
يا قومنا كل المبادي كُشِّفت — تستقبل الروبلّ والدولارا
لم يبقَ إلا مبدأ نرجو به — أن نبلغ الآمال والأوطارا
لم يبقَ إلا ديننا .. إسلامنا — يمحو الفساد وينسف الأوكارا
إسلامنا بالأمس أنشأ أُمة — كانت تعيش مذلة وصغارا

فغـــدت بفـــضل الله أعظـــم أمـــة   كانـــت لكـــل الحـــائرين منـــارا
وإذا اتخـــذنا ديننـــا منهاجنـــا   فبـــه نربّـــي صـــفوة أبـــرارا
يـــشرون دنيـــاهم بـــأكرم ميتـــة   حتـــى ينـــالوا الخلـــد والأنهـــارا
وإذاً تعـــود الـــدار أكـــرم عـــودة   ونعـــود نرفـــع في الـــديار الغـــارا

قصائد مختارة من شعره

٢

رسالة إلى استشهادي

الشهيد هو من آمن بالله تعالى ، وقاتل لإعلاء كلمة الله ، وقُتل في سبيل الله

والاستشهادي هو من آمن بالله تعالى ، واستشعر حلاوة الإيمان في قلبه ، وقدّم نفسه لحياة أسمى من حياته التي يعيش .. فلا عجب أن يخترق تحصينات العدو ، ويقوم بعملية استشهادية موجعة تؤلم العدو وتهز كيانه .

والاستشهادي صاحب عقيدة ، خلص إيمانه من كل شائبة ، وتحررت نفسه من كل خوف ، ووطّن نفسه على البذل والتضحية ، وثبت على طريق الجهاد ، لا يهادن ولا يساوم .. انطلق يجاهد في سبيل الله شوقاً إلى لقياه وحنيناً إلى جنّته .

إنه فدائي صلب المراس ، يتصف بالرجولة ، يأنف الذلّ ، ولا يقيم على ضيم . يقدّم روحه فداء لعقيدته ، ودمه دفاعاً عن وطنه ، لا يهدأ له بال ، ولا يستقرّ على حال حتى يتحرر وطنه ، وترتفع فوقه راية الإسلام .

ولهذا فإن الشهادة مطلب عزيز ، وهدف نبيل ، وشرف رفيع في الدنيا ومفخرة عالية في الآخرة .. من أكرمه الله بها غنم ، ومن آثرها على غيرها فقد ذهب بعزّ الدنيا ونعيم الآخرة .. الحرص عليها خُلُق ربّاني وموقف بطولي ، يذكي حماسة المجاهدين ، ويستنهض همم المتثاقلين إلى الأرض اللاهثين وراء الشهوات .

ومنذ قامت دولة الإيمان في مدينة رسول الله حرص الإسلام على تربية أبنائه على الجهاد وحبّب إليهم طلب الشهادة دفاعاً عن العقيدة .. وغرس في نفوسهم أن سيّد الشهداء حمزة ورجلاً قام إلى إمام جائر فنهاه فقتله .. وعلّمهم أن الشهيد حيّ يرزق يعيش في كنف الله عزّ وجلّ .. فغدت الشهادة أمنية كل شاب مسلم عرف حقيقة الإسلام ..

وفي عصرنا الحديث أدركت الحركة الإسلامية هذه المعاني فغرستها في نفوس الشباب ، ونشّأتهم عليها منذ الطفولة ، وربّتهم على الإيمان ، فأصبح هتافهم المحبّب : "الله غايتنا ، والرسول قائدنا ، والقرآن دستورنا ، والجهاد سبيلنا ، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا" .. فكانت هذه المعاني الشّعلة التي أنارت القلوب ، والقبس الذي حرّك النفوس ، والإيمان الذي دفع الشباب إلى الجهاد والاستشهاد ..

إلى هؤلاء الشباب الذين أذلّوا الأعداء بعملياتهم الاستشهادية ، ووقفوا على بوابة التاريخ شامخين ، ليدخلوا الجنة من باب لا يُفتح لسواهم .. نظم شاعرنا الدكتور مأمون هذه القصيدة عام ٢٠٠٢م ..

وكما كان موضوع "القدس" غرضاً رئيسياً في شعر الدكتور مأمون فإن موضوع "الشهادة" هو أيضاً غرض رئيسي في شعره .. ففي هذا الموضوع ، نجد له قصائد عدة .. فمجموعته الشعرية الرابعة بعنوان "رسالةإلى الشهداء" وهو عنوان القصيدة الأولى في المجموعة ، تشتمل على قصائد أخرى عن الشهادة وعن فلسطين .. يقول في قصيدته الأولى من المجموعة :

لولا الشهداءُ لكان الكون بحار ظلامْ
ظلماتٌ تغشاها ظلماتٌ
من شهوات الحرص على الفاني
والغوص وراء التافه
والركض وراء سراب

فالحياة بكل صورها ونعيمها وألوانها وشهواتها أضغاث أحلام .. والشهيد وحده من عرف كيف يصحو ويبعث الحياة :

ليس جنوناً طلب الموت لنيل الجنة
ليس هباء جعل الجسد الفاني للأرض سمادا
يعد بموسم خير في أيام الجدْب ..
بعام فيه يُغاث الناس بنصر
يا زيت القنديل تهاوت للموت ذُبالتُه
فتعود إليه حياةْ
يا أعقلَ من كلّ العقلاء

وتتكرّر في قصائده بعض المعاني عن دور الشهيد في الحياة ، وعن أنه الحي والآخرون الموتى ، لأنه عرف الحقيقة فتقدّم للشهادة صانعاً الحياة ، وفائزاً بالجنة.

أبيات القصيدة [1]

(١)
واقفٌ أنت على بوابة التاريخ فادخلْ
بابَ عزّ لم يُفتّح لسواكْ
شامخٌ أنت عصيٌّ العزمِ
تمتدُّ رؤى الأمة في أفق مداكْ

(١) ديوان رسالة إلى الشهداء ، ص٧ .

(٢)

ظنّكَ الواهم فرّاراً
فكرّت قبضةُ المجدِ
تخطُّ الذلّ في وجهِ عِداكْ

(٣)

أيها السائر في العتمة بدراً
يقبسُ السارون من وهْج سناكْ

(٤)

أملُ الحاضر أنتَ اليومَ
والمستقبلُ الموعودُ
تأويلُ رؤاك

(٥)

أنتَ في بوابة الأمجادِ بدرٌ
فتقدّمْ
صُمَّ سمعاً عن نداء
جاء من خلفكَ رخواً
وتقدّمْ ...
لا تَلفَّتْ نحو صوتِ الحذرِ الموبوءِ بالعجزِ
ينادي من هناكْ
مِنْ وحول علقت فيها عبيدُ الوهْمِ
نادوا بالهلاكْ

(٦)
أنتَ حيٌّ ... وهمُ ألموتى
وإن أبحرتَ في الأفق شظايا
تتجلّى لعبيد الطين ...
من أعْلى علاكْ

(٧)
إنّها بوابة الخلدِ
فأقدمْ
اضغط الزّر
وكَبّرْ
افتح الشّريانَ شلاّلاً من المجدِ
ورُشَّ الأرض
كنْ بستانَ وردٍ
فيه فيضٌ من شَذاكْ

(٨)
كنْ سمادَ الأرض
ينبت من شقوق الصخر جيلٌ
يحمل الروح على الكفّ
وعيناهُ على الخلدِ
يحطُّ الخطوَ في إثر خُطاكْ

قصائد مختارة من شعره

٣

في مئوية الإمام المجدّد حسن البنّا

كانت لفتة رائعة من الحركة الإسلامية في الأردن عندما دعت إلى إقامة احتفال بمناسبة مئوية الإمام المجدد حسن البنا في قاعة الأرينا بجامعة عمان الأهلية ، في الفترة (١٦ – ١٨ / ١١ / ٢٠٠٦) .. وقد حضر الاحتفال نخبة من العلماء والأدباء من الدول العربية والإسلامية وبخاصة من مصر وسورية ولبنان والعراق والجزيرة العربية .. أما في الأردن فقد أمّت قاعة الاحتفال جماهير غفيرة على مدى ثلاثة أيام (مدة الاحتفال) ...

وهذا الاحتفال .. كان أقلّ الواجب نحو إمام كان نموذجاً ربّانياً من النماذج النادرة التي عرفها تاريخ الإسلام الطويل ... وكان أحد الدعاة الأبرار والمصلحين الأطهار ، الذين عرفتهم أمة الإسلام ، فصححوا مسيرتها ، وقادوها إلى الهدى ، وطبعوها بطابع الحق ، وأرسوا لها دعائم دعوة تميزت بمنهج الوسطية والاعتدال ..

عاش حسن البنا اثنين وأربعين عاماً ، وتألّق وهو لمّا يبلغ الثلاثين من عمره ، وحمل رسالته إلى العالمين بشجاعة المؤمن ، وبراعة القائد ، وحكمة المجاهد ، وصدق الدّاعية ، فلم يلبث أن استمع له الناس ، واجتمعت حوله القلوب .. فأقضّ مضاجع المستعمرين ، وتكالبت القوى الحاقدة كلها على الخلاص منه ، ذلك أن الصوت الذي كان يتحدّث به هو صوت الحق ، والكلمة التي كان يقولها هي الكلمة التي يخشاها الاستعمار ، وهي الخطر الذي كان حريصاً على أن يحجبه عن المسلمين، حتى يظلّوا في قبضة نفوذه ، وحتى لا يفهموا دينهم الفهم الصحيح ، فيحرّروا أرضهم ويستعيدوا عزتهم ..

وكان للدكتور مأمون مشاركة في هذا الاحتفال ، فقد نظم قصيدة بعنوان " في مئوية الإمام المجدّد حسن البنا " .. ولمّا استمعت إليها الجماهير المشاركة ، لاقت استحساناً كبيراً ..

أبيات القصيدة

الخالدون مع السماء سماءُ ... في أفقهم تتلألأ الأضواء
يمضي الزمان وهم شهودٌ في الورى ... مثل الرّواسي ما لهنّ مضاء
هم للقلوب منائر وضّاءة ... والدرب من أنوارهم وضّاء
رسل مضوا فيه بهدي نبوّة ... والصالحون على خطاهم جاؤوا
في كل عصر كوكب متلألئ ... يُجلى الظلام بنوره ويُضاء
يا باعث الإيمان في زمن طغت ... فيه العقول وعمّت الأهواء
جدّدت أمر الدين في هذا الزمان ... فصحَّ وصفك أنك البنّاء
حسن وبالإحسان عمرك عامر ... فالدرب طيب والمدى أنداء
نوراً أتيت وللظلام معاقل ... والمسلمون على الدروب غثاء
لا همة تعلو بهم نحو العلا ... فهم عبيد مطامع وإماء
أسرى هوان ، والهوى ميزانهم ... وديارهم من فرقة أشلاء
فحملت همّ الدين ترجو بعثه ... في أمة هي للخلاص رجاء
وجعلت عنوان الأخوة واحة ... يأوي إلى أفيائها الصُّلحاء
لله درك في حياتك عبرة ... عمر قصير ، والحصاد نماء
أعْجَزْتَ من جاراك في سبل الهدى ... وامتد في خطواته الإعياء

مئة مضت وطوى الزمان زمانها ... مذْ لاح نجم قد علاه بهاء
ومضى الزمان وما طواك مضيّه ... فالذكر بعد الموت فيه بقاء
هذي (الرسائل) للمسيرة منهج ... ومن (الوصايا) في الدروب ضياء
وإذا الخطا تاهت وتاه دليلها ... فضياء فكرك للمتاه جلاء
درب الشهادة قد دعاك فجزته ... وتتابعت من بعدك الشهداء
قتلوك، واعتقلوا الدموع، وسلسلوا ... الأحزان ، واحتمل الشهيد نساء
قرعوا الكؤوس وأترعوها نشوة ... لما استطارت بالرّدى الأنباء
نفضوا أياديهم وقرّت أنفس ... منهم فهذي الطعنة النجلاء
قتلوك ، ما قتلوك ، لكن أوقدت ... من وهج جرحك شعلة شهباء
قتلوك وانفلق الصباح على المدى ... وترددت في العالم الأصداء
في كل ركن للأخوة شعبة ... وبكل أرض للدعاة لواء
ما ينقمون من الدعاة ؟ أحبُّهم ... لهداهم أم أنهم شرفاء
هم أنبتوا فيهم بذور تطرف ... لما استحلّوا عرضهم وأساؤوا
واستكبروا وتجبروا وتفرعنوا ... وتنمردوا وتوهموا ما شاؤوا
كم في السجون شواهد مكتومة ... أخفى بشاعة وجهها الرقباء
يا قائد الشهداء ما زال المدى ... وطناً تغشي وجهه الظلماء
لا وحدة بنيت ولا وطن علا ... وتحكمت بمصيرنا الأعداء
شِيَعاً غدا صف الدعاة فأين من ... عين الدعاة محجة بيضاء ؟
يا حاملي الإسلام كونوا أهله ... فالدين درب هداية وعلاءُ
وشفاء أمراض الورى لكنما ... بعض الدُّعاة – وسامحوني – داء

ضـاقت عقـولهم فـضاق سـبيلهم والـــدين ممـــا يهرفـــون بـــراء
مُـدّوا الجـسور فلـستُم حزبـاً فـلا تأســـركُم الحزبيـــة العميـــاء
في صـف بيـت الله سـوّوا صـفّكم بجماعـــة للمـــسلمين ســـواء
أنـــتم طليعـــة نهـــضة منـــشودة في بعثهـــا للعـــالمين شـــفاء
والوعــد وعــد رســولنا بخلافــة للعـــدل فيهـــا رايـــة عليـــاء
والفجـــر آتٍ لا يكـــذب نـــوره إلا الـــذي في ناظريـــه عمـــاء

المصادر والمراجع

١- ديوان : "رسالة إلى الشهداء" .
٢- ديوان : "القدس تصرخ" .
٣- ديوان : "قصائد للفجر الآتي" .
٤- ديوان : " مشاهد من عالم القهر" .
٥- فيض القدير ، شرح الجامع الصغير .
٦- شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ، ج٣ .
٧- كتاب الواقعية النقدية في الأدب والنقد .
٨- نحو آفاق شعر إسلامي معاصر .
٩- المشكاة المغربية – العدد ٢٩ .
١٠- جريدة اللواء الأردنية في ١/١٠/٢٠٠٣ .
١١- مقابلة مع الدكتور مأمون في ١٠ / ٣ / ٢٠٠٦ .

ناجي مصطفى صبحة

(١٣٥٦ هـ - ....) (١٩٣٧م - ....)

* تقديم
* حياته ودراسته
* حياته العملية
* مجالات نشاطه
* وفاته ورثاؤه
* آثاره العلمية والأدبية
* شعره
* شعره في المعتقل
*قصائد مختارة من شعره

تقديم

الأستاذ ناجي صبحة أديب شاعر ، وداعية مربٍّ ، ومجاهد التزم الإسلام عقيدة ومنهجاً وسلوكاً في الحياة .. كان داعية يعمل بصمت دون ضجيج أو إعلان .. وكان مجاهداً استعصم بدينه ولم يرض الذّلّ ، ولم يحْن قامته لغاصب .. كان عنوان صِدْق ونهج إخلاص وقمّة عطاء .. وكان مصلح نفوس ومغذي عقول ومربي أجيال .. كان أستاذاً نقياً تقيّاً مخلصاً ، ترك بصمات لا تمحى في تربية الجيل واستقامة الشّباب .

حياته ودراسته

ولد الأستاذ ناجي مصطفى صبحة عام ١٩٣٧ في بلدة عنبتا لواء طولكرم بفلسطين، ونشأ في أسرة ريفيّة متدّينة .. وتلقّى تعليمه الابتدائي في بلدته عنبتا ، وحصل على الشهادة الثانوية عام ١٩٥٥م من المدرسة الفاضلية في طولكرم . وحصل على شهادة الليسانس في التاريخ من جامعة دمشق عام ١٩٦٦م .. والتحق في نفس العام ١٩٦٦م ببرنامج الماجستير في التربية في الجامعة الأردنية واستمر فيه لمدة عام، وبسبب اشتعال حرب ١٩٦٧ لم يستطع إكمال دراسته هذه . لكن شاعرنا كان شاباً طموحاً ، محباً للعلم .. ورغم المسؤوليات التي كان يضطلع بها تجاه البيت والوظيفة والنشاط في الدعوة ، إلا أنه صمم على مواصلة تعليمه ، فالتحق ببرنامج الماجستير في جامعة النجاح الوطنية عام ١٩٩٧ وهو ابن السّتين عاماً ، وحصل على شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي عام ١٩٩٩ ، وكانت أطروحته بعنوان " الواقع التاريخي للقضاء في صدر الإسلام " .

حياته العملية

بعد حصول الأستاذ ناجي على شهادة الثانوية العامة عام ١٩٥٥م التحق بسلك التربية والتعليم وعمل مدرساً في عدد من المدارس .. فكان مدرساً في مدرسة تِلْ الثانوية عام ١٩٥٥ ، ومدرسة الاتحاد الثانوية في بلدة بيت إيبا عام ١٩٦٣ ، ثم في مدرسة طولكرم الثانوية . وفي عام ١٩٦٦ عمل في المدرسة الفاضلية الثانوية كبرى مدارس لواء طولكرم .

وبعد هزيمة حزيران واحتلال الضفة والقطاع ، اعتقلته السلطات الإسرائيلية عدة مرات كان أولها عام ١٩٦٨ ؛ وفصلته من وظيفته في المدارس الحكومية ، ودام اعتقاله (١٩ شهراً) . ولما خرج من المعتقل ، وُضع رهن الإقامة الجبرية في بلدته لمدة عام ، ولم يسمح له بمغادرة منزله من غروب الشمس حتى شروقها . وعلى الرغم من فصله من عمله التدريسي إلا أنه لم يستطع العيش بعيداً عن العلم والثقافة ، فأنشأ في بلدته عنبتا مكتبة دار الفكر لبيع الكتب الإسلامية والعلمية واللوازم المدرسية فكانت مركزاً لنشر الوعي الإسلامي بين الشباب .

ولما انتهت مدة الإقامة الجبرية عام ١٩٧١ عمل مديراً لمدرسة خاصة هي المدرسة الوطنية الثانوية لمدة ستة أعوام . وفي عام ١٩٧٣ — ١٩٧٤ م اعتُقل ومنع من السفر خارج الضفة الغربية حتى عام ١٩٨٥ ، وجُدّد المنع عام ١٩٨٧ . واعتُقل عام ١٩٩٦ وتم التحقيق معه .

عمل منذ عام ١٩٨٢ في مكتبة جامعة النجاح الوطنية مشرفاً على قاعة المراجع والمصادر العامة في العلوم كافة . وعمل محاضراً في التاريخ الإسلامي في نفس الجامعة حتى عام ٢٠٠٢م . وشارك خلال تلك الفترة في العديد من المؤتمرات ، وقدّم فيها أوراق عمل .. منها مؤتمر الديمقراطية الأول الذي عقد في جامعة بير زيت ، وأشرف على مؤسسة بانوراما عام ١٩٩٣ م وقدّم ورقة عمل حول الديمقراطية والحركة

الإسلامية . وشارك في ندوات علمية حول حقوق الإنسان في الإسلام ، والانتخابات في الأراضي الفلسطينية .

وشارك في عدد من المحاضرات والندوات في المناسبات المختلفة في معظم مدن وقرى ومخيمات فلسطين وجامعاتها سواء في الضفة الغربية أو في فلسطين ١٩٤٨ ، وكثيراً ما كان هو المنظم لهذه الندوات والمحاضرات .

كان رحمه الله صاحب ثقافة واسعة ، وعقل نيّر ، وفكر أصيل .. ولم يبخل بوقته أو بفكره في المشاركة في كثير من المناسبات .. وقد بقي على هذا إلى أن ابتلاه الله سبحانه بمرض عضال ، لم يمهله طويلاً ، واجهه بكل صبر وإيمان وثبات ورضى .. ورفضت سلطات الاحتلال خروجه للعلاج رغم حاجته لذلك . وفي يوم السبت ٢٠٠٤/٥/٢٩ توفاه الله سبحانه .. وبعد وداع جثمانه في جامعة النجاح ، ارتفعت الأصوات بالتهليل والتكبير وكلمات الوداع .. ونقل جثمانه إلى بلدته عنبتا .. فخرجت عنبتا ومن توافد عليها من أهالي نابلس وجنين وطولكرم وقلقيلية وقراها ممن تمكّنوا من تخطّي الحواجز ، لتشييع جثمان الفقيد إلى مقبرة عنبتا .

مجالات نشاطه

تميّز الأستاذ ناجي صبحة بأوجه متعدّدة من الأنشطة والفعاليات ، والتي جعلت منه رجل دعوة وجهاد ، ومن رجالات فلسطين العاملين المخلصين .

ففي مجال الدّعوة إلى الإسلام ارتبط شاعرنا بالحركة الإسلامية الراشدة منذ عام ١٩٥٣ وهو في السادسة عشرة من عمره ، وتربى على فكر مؤسس الحركة الإمام الشهيد حسن البنا وإخوانه .. وكان مثالاً للتفاني والإخلاص والمثابرة ، وسرعان ما تألّق نجمه وأصبح من أبرز قيادات الإخوان المسلمين في فلسطين .. وقد تدرّج في المراتب التنظيمية ووصل إلى عضوية مجلس الشورى للجماعة حتى وفاته .

وكان رحمه الله ثابتاً على فكره داعياً ومربياً عبر الدعوة العامة والخاصة ، من خلال الدروس والمحاضرات والندوات ، التي كان يجوب فيها أرض الوطن في الضفة الغربية والمنطقة المحتلة عام ١٩٤٨ ، وخاصة في الحفلات والمناسبات والأعراس الإسلامية .

وفي المجال السياسي والوطني والجهادي كان له تاريخ حافل بالتضحية والعطاء، .. فكان مفكراً وقائداً سياسياً صلباً ، له رأي ثاقب في الأمور السياسية . وكان مجاهداً قاوم الاحتلال الصهيوني عبر دروسه ومحاضراته ومؤلفاته ، وعبر العمل الجماعي الحركي . وكان من المجموعة الأولى التي أسّست حركة المقاومة الإسلامية ، وأحد قادة الانتفاضة الأولى والثانية ، وكان يشجع ويحرّض أبناءه وإخوانه وأبناء شعبه على مقاومة الاحتلال .. وقد عرّضه جهاده إلى أن يقوم العدو الصهيوني بسجنه عدة مرات ولعدة سنوات ، ويقوم بمنعه من السفر للعلاج خارج الوطن ، ويقوم باعتقال أبنائه وتعذيبهم وإصدار حكم بالسجن على ولده محمد خمسة عشر عاماً ، وما زال ولده أسيد رهن الاعتقال الإدراي لمدة زادت على عشر سنوات ..

وقد كان الاستاذ ناجي منفتحاً على التنظيمات الفلسطينية ، وكان شعاره معهم: نجتمع على ما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه .. وكان يردّد : نحن أبناء شعب ودين وهمٍّ ووطن واحد ، عوامل الوحدة بيننا أكبر وأكثر بكثير من عوامل الفرقة ، والله عز وجل يقول : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [الآية ١٠٣ من سورة آل عمران] .

وفي مجال العمل الاجتماعي .. كان أحد مؤسّسي لجنة زكاة عنبتا التي قدّمت العون لليتامى والأسر الفقيرة وطلبة العلم . وكان أحد المسؤولين عن مراكز تحفيظ القرآن الكريم في محافظة طولكرم . وكان عضواً في جمعية خيرية في عنبتا لمساعدة الطلبة الجامعيين ، وعضواً في لجنة بناء المسجد الجديد في عنبتا .

وكان ناجي – رحمه الله – أحد رجالات الإصلاح في فلسطين ، يصلح بين الأفراد والعشائر ، ويصلح بين التنظيمات الفلسطينية في الضفة والقطاع .. وقد بذل جهداً كبيراً لتجنب شعبنا الاقتتال الداخلي والذي كان الاحتلال الصهيوني يحرص على جرّ شعبنا إليه ، فكان أبو أسامة أحد صمامات الأمان في الوطن ، وكان يطفئ نار الفتن ويقول لإخوانه : " قتالنا ومقاومتنا للاحتلال البغيض يصبّ لصالحنا إن قتلناهم أو قتلونا .. وإنّ اقتتالنا مع أي تنظيم فلسطيني فيه خسارة لنا ولهم ولا يستفيد منه إلا قوات الاحتلال "[1] .

وفي المجال العلمي والأدبي ، كان الأستاذ ناجي أحد أدباء وكتّاب جبل نابلس البارزين .. وقد برز نشاطه هذا في المحاضرات والندوات التي كان يقيمها أو يشارك فيها ، وفي الآثار العلمية والأدبية التي أنجزها قبل وفاته .

وفي مجال الزراعة ، فقد كان يحبّ الأرض ، جبالها وسهولها ، ويقوم باستصلاحها ، وزراعتها بالحبوب والأشجار وخاصة شجر الزيتون ، شعاره قول رسول الله ﷺ : { ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة } .

وفي مجال الأسرة .. فقد أكرمه الله بزوجة تقيّة صالحة ، هي المربّية الفاضلة "أم أسامة " التي عملت في سلك التربية والتعليم فكانت مديرة لمدرسة بنات عنبتا الثانوية، وكانت مثال الزوجة الصالحة والأم الصابرة ، والتي تحملت معه أعباء الدعوة وقسوة الاحتلال ، فكان البيت بيت دعوة وعمل وصبر .. فقد تخرّج منه رجال أبطال ، منهم البطل محمد صبحة الذي يقبع في سجن نفحة ليقضي حكماً بالسجن خمسة عشر عاماً . والبطل أُسيد صبحة في الاعتقال الإداري في النقب بعد اعتقال دام ثمانية أعوام متواصلة .

---

(١) الشيخ حامد البيتاوي : حفل تأبين الداعية ناجي صبحة ، ص٧–٨ .

وأذكر أنني عندما قمت بزيارة للأهل في جنين في صيف ١٩٩٥م ، زرت مدينة نابلس ومررت بالشيخ سعيد بلال في مكتبه بوزارة الأوقاف ، واتصلت بالأخ ناجي في بلدته عنبتا بالهاتف ، بعد غياب طويل امتد من أواخر الخمسينيات إلى منتصف التسعينات .. وكان في تلك الأيام موسم قطف الزيتون ، وكان الأستاذ ناجي يقطف زيتونه بيده ، فتوقف عن القطاف ، ولم تمض دقائق حتى كان بيننا في نابلس ، وكانت جلسة أخويّة طويلة قبيل ظهر ذلك اليوم إلى ما بعد العصر ، أعدنا فيها ذكريات الماضي الطيبة حيث التقينا في نابلس عام ١٩٥٣م عندما كنت أدرس في المدرسة الصّلاحية ، وتكرر اللقاء مرات ومرات .. ولمّا سألته عن أبنائه قال : إنهم بخير ، والحمد لله على كل حال .. اثنين منهم رهن الاعتقال .. حاول الضابط المحقق مع أحدهما انتزاع اعترافات منه بالتعذيب فلم يتمكن ، فقال له : سأكسر ظهرك حتى ترتمي في وجه أبيك عندما تخرج من السجن .. وفعلاً كسر ظهره ! ! فأصبح بحاجة مُلحة للعلاج في الخارج ، لكنهم لم يسمحوا له بذلك .

هذا هو أديبنا ناجي صبحة .. داعية له عطاء مؤثّر فعّال في مجالات عدّة .. وأديب صادق الانتماء لقضية العقيدة والإيمان ، وقضية تحرير الأرض من العدوان والطغيان .. وشاعر صهر الإسلام روحه وعقله ومشاعره ، وأعطاه القدرة على التفكير الموزون والإحساس بالواقع المرّ الذي يعيشه أبناء وطنه ، فنظم شعراً يدفع المواطن المقهور إلى أن تكون له طاقة حركيّة وقدرة على تغيير الواقع .

وفاته ورثاؤه

كان الأستاذ ناجي رجلاً مؤمناً صابراً ، ابتلاه الله سبحانه في نهاية حياته بمرض عضال ، لم يمهله طويلاً ، وقد واجهه بكل صبر وإيمان وثبات ورضى .. ورفض الاحتلال خروجه للعلاج رغم حاجته إليه . وتوفاه الله سبحانه في العاشر من

شهر ربيع الآخر ١٤٢٥هـ ، الموافق ٢٠٠٤/٥/٢٩م .. وبعد وداع جثمانه في جامعة النجاح بنابلس ، تم تشييعه إلى مقبرة عنبتا .

أُقيم له حفل تأبين في حرم جامعة النجاح الوطنية بعد ظهر يوم ٢٠٠٤/٧/٢٧، وكانت اللجنة المشرفة على الحفل تتكون من (٢١) مؤسسة من نابلس ومنطقتها .

مقتطفات من شهادات قيلت في رثاؤه

كثيرون الذين كتبوا كلمات في الصحف عن الأستاذ ناجي .. وكثيرون أيضاً الذين شاركوا في حفل التأبين وألقوا كلمات ، شهدوا فيها للفقيد شهادات حق .. أرجو الله تعالى أن تكون في ميزان حسناته يوم القيامة .. ومن تلك الكلمات اخترت هذه المقتطفات [1] :

* يقول المهندس حسن سليمان القيق .. عضو مجلس أمناء جامعة النجاح :

" فقدت أمتنا بشكل عام وشعبنا تحت الاحتلال بشكل خاص رجلاً من رجالات الأمة ، من الذين نذروا أنفسهم في سبيل الله لنصرة الحق ، ولنصرة دين الله، ولنصرة الأمة ، لتعود عزيزة قوية ، ولنصرة الشعب الفلسطيني الذي يعاني الظلم والقهر منذ قرن من الزمان ، إنه الأخ الفاضل المرحوم ، ناجي صبحة ..

عرفت أبا أسامة منذ أكثر من أربعة عقود ، عرفته موظفاً ومحاضراً في جامعة النجاح ، وعرفته في ميدان التربية الإيمانية ، تربية القدوة بالعمل بسلوكه وبممارساته وبتعامله مع إخوانه ، فكان نعم الأخ ونعم الرجل المربي ، ونعم الصبور الحليم ، لا تهزه المصاعب ولا المصائب ، واجه في العقود الماضية مرارة السجن ، فلم تلن له قناة ، وكم صبر على مرارة المواجهة مع الجاهلية ، فكان الكاتب والمؤرخ ، وكان الشاعر والخطيب المفوه ، آمن وعمل للدعوة الإسلامية ، دعوة الله ودعوة الحق

---

(١) حفل تأبين الداعية ناجي صبحة ، ص ١٢ ، ١٤ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٦ .

والقوة والحرية ، كان يربي الناس على التقوى والأخوّة والفهم والأخلاص والعمل والتضحية والتكافل ، والكل يرى تلاميذه في المساجد وفي المدارس وفي الجامعات وفي ميادين العمل المختلفة .

كان رحمه الله من الذين واجهوا الظلم والتعسف الذي يتعرض له شعبنا الفلسطيني ، فكان فعّالاً لا قوّالاً ، ولقد ترك ذريّة صالحة وعلماً يُنتفع به " .

*ويقول : د. جمال جودة .. المدرس بكلية الآداب – جامعة النجاح :

" يُعرّف كثير من الفلاسفة التاريخ الإنساني بتاريخ العقل ، ويؤكد الخطاب القرآني على ذلك بالتنويه بأولي الألباب وبالذين يتفكرون في خلق الله وآياته ، ولا أخالني مبالغاً إذا قلت أن المرحوم ناجي صبحة كان من أولي الألباب وممن يتفكر في خلق الله ، ولهذا فقد عهدت فيه من خلال معرفتي به والتي تعود إلى عشرين سنة ماضية حين كان يعمل في مكتبة جامعة النجاح أنه كان على معرفة شبه تامة بما تحويه المكتبة من مصادر ومراجع ، ولم يكن هذا فقط بل كان بالمواضيع التي تناولتها غالبية المصادر الإسلامية ، وبذا كان الفقيد مرتبطاً بتراث أمته إلى درجة كبيرة .

وإذا كان التاريخ وقصصه هامة للوعظ والإرشاد ، فقد تجلّى ناجي صبحة في حياته بالمرونة الفكرية ، فهو من الطلبة الذين يحتاج إليهم أساتذتهم ، فقد كان مستمعاً للرأي ومدافعاً بالحجج عن رأيه ومحترماً الرأي الآخر مهما اختلف معه ، أي أنه لم يُلغ الأرقام الأخرى أمام تمسّكه برقمه الذي تمثل بانتمائه لتراثه الإسلامي العظيم .

ارتبط المرحوم أيضاً بتراب هذا الوطن وانبرى هو وأبناؤه يدافعون عنه ، فدفعوا ضريبة ذلك في غياهب سجون الاحتلال البغيض " .

* ونظم الشاعر محمد جابر كنعان فيه قصيدة قال فيها :

مَـنْ كـان مثلـك فلتقـرَّ عيونـه ... جـذلاً بمـا أعطـى مـن الخـيراتِ
قـد كُنـت في هـذي الحيـاة مُـصلّياً ... ومزكّيـاً ومبـارك الخطـواتِ
تـسعى لفعـل الخـير دون تريّـثٍ ... تمـشي إلى الأيتـام في الخلـوات
وزهـدتَ في هـذي الحيـاة ومُلكهـا ... ورغبـت عنـد الله بالحـسنات
مـا كُنـتَ يومـاً مُـسرفاً ومقتّـراً ... بـل بـين ذلـك بـاذل الـصّدقات
تُحيـي الليـالي خاشـعاً متـضرّعاً ... وتبيـتُ مـشتاقاً إلى الرّوضـات
وإذا مـررتَ بقـوم سـوء أسـرفوا ... مـا كُنـتَ تتركهـم بغـير عظـات
أحببت فيك جمال وجهـك والتُّقـى ... نـورٌ يزيّنـه مـع البـسمات
وجمـال صـوتك لا يـزال يحـيطني ... ببيانـه وبـصادق النّـبرات
مـا كنـت يومـاً ظالمـاً أو كاذبـاً ... بـل صـادقاً في عـزّة وثبـات
قـد كنـت سـبّاقاً لكـلّ فـضيلةٍ ... طبْـعٌ ترعـرع في كيـانِ الـذات
أبكـي عليـك لأنّ قلبـكَ واسـعٌ ... وسـعَ الهمـوم وسـائر النكبـاتِ

* ونظم الشاعر الأديب الأُستاذ خالد سعيد قصيدة وداع قال فيها :

العـين تـدمعُ والفـؤاد حـزينُ ... فـأبو أسـامة قـد طوتـه منـونُ
قـد كـان نـسراً في الـسّماء محلقـاً ... ترنـو إليـه نـواظرٌ وعيـونُ
نجمـاً دلـيلاً هاديـاً في سـيرنا ... والرّكـبُ زحـفٌ هـادرٌ ورصـينُ
مـلأتْ جـوانح أرضـنا نبـضاته ... هـل تحتويـه هـدأة وسـكونُ
أم نـام مثـلَ البَـدْر يحتـضنُ النّـوى ... تبـدو عليـه غفـوةٌ وسـكون
تـسري الحيـاة بجـذره وعروقـه ... تعلـو عليهـا أفـرعٌ وغـصون
فثمـار دعوتـه شـباب يـانعٌ ... نغـدوه جـذع راسـخ ومـتين

ومساجد الوطن العزيز شواهدٌ ومعاهدٌ ومدارس وسجون
فيها له من كلّ روض وردة وعبير دعوته ندىً وشجون
قد كان ليثاً في (النجاح) مزمجراً هذي (النجاح) مراحه وعرين
ما مات من ملأ القلوبَ بحبّه الحبُّ يحيى والحياةُ حنين
ما مات من أمضى الحياة مجاهداً دون الحمّى كل الحياة يهون
القدسُ تذكر للفقيد صموده ترعى المودّة غزةٌ وجنين
قد كان بالنصر المؤزّر واثقاً لا تعتريه وساوسٌ وظنون
قد كان قدوتنا ورائد دربنا وله بأعناق الدّعاة ديون
نرجو إله الكون طيب مقامه معه رفيق صادق وأمين
ويبارك الأنجال بعد رحيله فبنوه نبع زاخرٌ ومعين

* وأمّا نجله البطل " أُسيد صبحة " فيقول في رثائه :

ينبوعُ فضلك للعطاش المنهل ودماء قلبك للعقيدة تبذلُ
أنفاس صدرك بالمواعظ صغتها طيب النّسائم في الهواجر تحمل
وندى عيونك في الدُّجا من خشيةٍ لله تروي بذر خير يحفل
تهدي الأنام ثمارها لكأنّها في روض صدرك جنّة تتمثّل
كسنابل يحني التواضع ساقها لتخطّ للإخوان نهجاً ينقل
وغرست بالخلق الكريم فسائلاً أمطرتها الزفرات غيثاً يهطل
وغمرتها بالدّفء حتى أينعت كالشمس تحضنها بنور يسبل
ووهبتهم نبضاً يعمّ قلوبهم لتظلّ حيّاً في الضمائر تنبُلُ
جسداً رحلت ونور وجهك ساكنٌ من كلّ صدر بالفضائل يحفلُ

سنراك من عيني صغير جائع ... دمعاً ويذكرك الفقير العائل
ونراك في محراب مسجدنا الذي ... يبكي فراقاً للأحبّة يثقل
يبكي خطيباً مرشداً بفعاله ... سيفاً يمزّق باطلاً ويزلزل
ونراك في البيت الذي شيّدته ... بالعلم والإيمان ركناً يأصل
ونراك في شدو العصافير التي ... ترنو لصوتك ذاكراً وترتّل
ستظلُّ يا أبتي المعلّم فرقداً ... للحق يرشدُ في الدّروب ويوصلُ

آثاره العلميّة والأدبية

١- مفكرّة الأيام الإسلامية (أجندة إسلامية) : كان هذا الكتاب باكورة أعماله العلمية ، وقد حرص فيه على تقديم أهم أحداث تاريخ الأمة بأسلوب مختصر ومفيد، ونجح في ذلك أيّما نجاح .. ورتّبه حسب التوقيت القمري ، ووضع في كل يوم من أيام السنة القمرية حدثاً هاماً من أحداث التاريخ الإسلامي في ذلك اليوم .. وقد شرح ذلك الحدث بما يعادل صفحة من القطع العادي وذكر في نهاية كل موضوع مراجع ذلك الحدث . وقد قامت دائرة الأوقاف الإسلامية بالقدس باختصار الكتاب وطباعته عام ١٩٨٠م ، بعنوان " أجندة إسلامية " ، وأعيدت طباعته بشكله الكامل عام ١٩٩٠م .

٢- شهداء الصّحابة واعلامهم في فلسطين ، وقد أبرز فيه ارتباط الأمة قديماً وحديثاً بهذه الأرض المقدسة ، وأحصى الشهداء والأعلام من صحابة رسول الله ﷺ الذين توفّوا في هذه الأرض . صدر عام ٢٠٠٠ م .

٣- ديوان شعر بعنوان " جراحات " ، تضمّن العديد من القصائد ، التي تُعبّر عن المعاناة داخل سجون الاحتلال . وقد صدرت طبعته الأولى في مدينة نابلس عام ١٩٩٨م .

٤- مجموعة قصائد قيلت في مناسبات مختلفة ، منها المنثور وغير المنثور ، وكانت آخرها قصيدة ألقاها في مهرجان تأبين الشهيد الشيخ أحمد ياسين .

٥- القدس المدينة المباركة .

٦- صفحات من التاريخ الإسلامي .. (منهج للتاريخ الإسلامي) .

٧- الإخوان المسلمون في فلسطين والأردن .. وقد كان يعكف على إعداد هذا الكتاب ، ولكنه توفّي قبل إكماله وطباعته .

٨- القضاء في صدر الإسلام .. أطروحة نال بها درجة الماجستير .

شعره

كان ناجي صبحة منذ صغره من الذين أحبّوا الشعر ، واجتهدوا في نظمه وقوله بالتزام وهدف ، خدمة لقضية رئيسه هي قضية العقيدة ومن خلالها الوطن والإنسان.

وبدأ ناجي يقرض الشعر في الخمسينات من القرن الماضي ويلقيه في مناسبات دينية أو وطنية ، وفي الاحتفالات والمهرجانات .. ووضع لنفسه إطاراً بأن يكون الشعر الذي ينظمه ما حدّده الشرع الإسلامي الحنيف . وفي أواخر الخمسينيات وفي الستينيات نشر بعض قصائده في المجلات .

وكان يكتب قصائده على أوارق متناثرة ، ضاع الكثير منها ، إذ لم يفكر في تلك الأيام بطباعتها في ديوان . وفي التسعينيات فكّر بطباعة ما تبقّى عنده من قصائد، فوجد أن أغلبها لا تخرج عن كونها تعبيراً لجراحات كثيرة عاصرها وعايشها على مدى أكثر من أربعة عقود ، فاختار لها عنوان " جراحات " .. وأجّل نشر القصائد التي لا تمس الموضوع مسّاً مباشراً لنشرها في ديوان آخر .



للأستاذ ناجي شعر هادف ، فيه صدق في التعبير والانتماء ، وفيه قوّة وإبداع، وقدرة على التفكير الموزون .. نظمه في مجالات عدّة .. نظمه في الدعوة إلى الإسلام ، يوضّح أهدافها ، ويبيّن مزاياها .. ونظمه في المناسبات الإسلامية ، في ذكرى الإسراء والمعراج ، وذكرى الهجرة النبوية الشريفة وغيرها .. ونظمه في أحداث العالم الإسلامي ، وفي مآسي المسلمين المعاصرة . وقد شارك في نشاطات الحركة الإسلامية في فلسطين ، وكان له دور فاعل في مهرجاناتها ، فكان من شعرائها وخطبائها في كل مناسبة وفي كل حادثة .

وكان لفلسطين وطن الشاعر النصيب الأوفى من شعره ، وكان للنكبات التي حلّت بها ، وللجهاد الذي خاضه شبابها ، الكثير من شعره .. لقد رسم في شعره صورة صادقة لحياة أبناء فلسطين الذين وقفوا في وجه المحتل الغاصب ، وتحملوا الأذى واجتازوا الصّعاب ، دفاعاً عن أرض الرّباط ..

هؤلاء الشباب .. منهم من نال الشهادة ، ومنهم من قُيّد بالحديد وغُيّب في المعتقلات ، ومنهم المطارد في الكهوف والجبال .. ومن هؤلاء النسور أبناؤه السّتة .. ومنهم .. ومنهم .. استمع لشاعرنا ناجي ، وهو يشدُّ على أيديهم ، وينظم لهم شعره، ويقدّم لهم فاتحة ديوانه " جراحات " ، فيقول [1]:

أُقدِّم شعري لِسرب النُّسور ... وقد فرّقته اليدُ الغادرة
فَنَسْرٌ يعيش بقيد الحديد ... يُقاومُ حقد القوي الفاجرة
ونسرٌ يُطارده الظالمون ... وتقتصّ منه القُوى الماكرة
وآخر باقٍ بنفس المحيط ... يرى البغيَ والقهرَ والهاجرة
وباقي النسور وراء الحدود ... بعيدون عن مركز الدائرة

(١) ديوان " جراحات " ، ص٧ .

وأُمّ النــــسور تطـــوف علـــيهم		وتمـــــنح أنفاســـــها الطـــاهرة
أُقـــدمها مــــن صَــميم الفـــؤاد		ومـــن خفْقَـــةِ القلـــبِ والآصـــرة

ويستعرض شاعرنا عدداً من جراحات فلسطين التي فاقت كل تـصوُّر ، وزادت على كل حدّ .. جراحات من الغريب ومن القريب .. ويعتب علـى الإخـوة والأهـل في تعاون فريق منهم مع الغريب ، وسكوت فريق آخر على ما يجري في فلسطين من قتل وإبادة، وتدمير وتخريب ، .. ويُذكّر الفريقين بأن ثبات أبناء فلسطين في الـدفاع عـن أرض الإسراء والمعراج ، إنما هو دفاع عن الأمة العربية والإسلامية كلّها ، فيقول في قصيدة بعنوان " جرح الوطن النازف "[1] :

جـــريحٌ أنـــا ، أثْخنـــتْني الجـــراحُ		وعَمَّـــــرَ في قلـــــبي الخِنْجَـــــرُ
طُعِنْـــتُ بِنَـــصْلِ الـــصّديق الحمـــيم		متـــى كـــان كـــسْرٌ لـــه يُجْبَـــرُ
وعانيـــتُ مـــن طعنـــاتِ الغريـــب		وطعـــنُ القريـــب هـــون الأخطـــر
تـــضرّجتُ بـــالأرجوان وقلـــبي		يُـــروّي الجـــوارحَ لا يَفْتُـــرُ
جراحـــي مـــا حرّكـــت إخـــوتي		فلـم يرفعـوا الـصّوتَ لم يجـسروا
فَـــذاك يـــسير بركـــب الغريـــب		يُنَفِّــــذُ كـــــلَّ الـــــذي دبَّـــــروا
وآخـــر قـــد أســـكرته القـــصور		وأســـكره العـــزفُ والأصـــفر
صُـــلِبْتُ برَسْـــمِ الوفـــاءِ لعهـــدي		وكُرهـــي القـــويُّ لِمـــا دمَّـــروا
وكُنـــتُ لأهلـــي درعـــاً وترســـاً		وجهْـــدي وجـــسمي لهـــم يُنْـــذَرُ

ويتحدّث ناجي عن صنف آخر من أبناء أمتنا ، وهم الذين يتنكرون لماضيهم ، ويتلونون ويتقلبون ، ويتـسترون خلـف حجـج واهيـة ، بـأنهم إنمـا يريـدون خـداع

(١) ديوان " جراحات " ، ص٨ .

العدو، ولكن الحقيقة التي تظهرها أعمالهم وتصرفاتهم ، تكشف خداعهم لأمتهم ووطنهم .. فيقول شاعرنا لهذا الصنف من الناس معاتباً[1] :

أخبرتنا أنّ التّودّد للعدوّ وللدّخيلْ
هو من قبيل خداعه فليغمد السّيفُ الصقيلْ
وإذا الكثير مُنِعْتَه فلترض بالشيء القليلْ
وإذا الأصيلُ خَسِرته فلْترضَ بالشيء البديلْ

۞ ۞ ۞

فإذا سألتَ لم التّلوّن والتذبذب والنفاقْ ؟
قالوا : الظروفُ نعيشها ونريد فيها الاتساقْ
ويعيش فيها الكلّ في ظلّ التعاون والوفاق
ونريد أن نرضي الجميع ولا نريد الاختناق

۞ ۞ ۞

سمّوا التلاعب والتلوّن والأكاذيب سياسة
أنا لا أصدّق أنّ فيها من شطارتهم كياسة
لكنّني سأقولها هي في شريعتنا نجاسة
والعصر فيما أرتأيه فإنه عصر النخاسة

---

(١) ديوان " جراحات " ، ص٩٠ – ٩١ .

أما المؤمنون .. السائرون في درب الحق ، الثابتون على تعاليم النبي الأمين ﷺ، المقتدون بقادة الإسلام الميامين ، المكرّمون عند ربهم في جنات النعيم ، فيكرمهم ناجي بقصيدة بعنوان " رجل الإيمان " يقول فيها [1] :

رَجُلُ الإيمان بلا مَطْمَعْ يتحدّى البطشَ ولا يَخْضَعْ
يتحدّى الكفر وصولته رغم الطغيان ولا يجزعْ
ويردّدُ جهراً لا سِرّاً بفؤادٍ ممتلئ مُتْرَعْ
إنْ لطموا عيني أو أُذني وفقدتُ النّاظرَ والمَسْمَعْ
أو كسروا ظهري أو رجلي لن أحني الرأس ولن أركع
عاهدتُ الله فلا حنثٌ لو أُعْمِلَ في جسدي المِبضعْ
أن أبقى جندياً يقظاً لرسالة ربّي أن أصدع
الصورة في ذهني رسمت صوّرها الدين وقد أبدع
فخُبَيْبُ وياسرُ قد قضيا شُهداء وفي الله المصرع
لبناء الصّرح أنا حجرٌ وبأيّ مكان فليوضع
سنعيدُ الحقّ ولن ننسى حقاً مسلوباً لن نفزعْ

ولمّا كانت الأخوّة في الله رباط إيماني يقوم على منهج الله سبحانه .. ينبثق من التقوى ، ويرتكز على الاعتصام بحبل الله ، فقد قام هذا الأستاذ المربيّ بتربية جيل من الشباب ، غرس في قلوبهم الإيمان ، وربطهم بأواصر الأخوّة ، ونظم لهم نشيداً بعنوان " أخوّة " .. تغذّت به أرواحهم ، وهفت إليه أنفسهم ، وشدَت به ألسنتهم، وغدا نشيداً للشباب المعتصم بالله ... يقول ناجي في هذا النشيد [2] :

---

(١) ديوان " جراحات " ، ص ١٤ .

(٢) ديوان " جراحات " ، ص٣٧ .

سمعــــتُ هتافــاً جمــيلاً يقــول "أخــي في الرّسـالة صـبرٌ جميـلْ "
فـــإنّي وإيّـــاك نبغـــي الحيـــاة وصــدق الأبــاة صـحاب الرّســولْ
لنُرضــي الإلــه ونرضــي الــنبيّ ونـــنْعَمُ نحـــن بمجـــد أثيـــلْ
ونبقـــى نـــسيرُ بـــدرب التّقـــاة ولــن نرتــضي بــالطريق البــديل

✿ ✿ ✿

وكـــان النـــداء بهـــذا الجمـــال يعــيش بقلــبي فيحيــي الأمــلْ
ويحفزنـــــي للجهـــــاد الطويـــــل ويخلــــع عــــني رداء الكــــسلْ
ويـــــشعرني أنّ لــــــي إخـــــوةٌ ولــست وحيــداً بهــذا العمــلْ
فيـــسكن قلـــبي ويهـــدأ عقلـــي ويبعـــد عـــني جحـــيم الملـــلْ

✿ ✿ ✿

أخـــي سـنموت بـــأرض الجــدود كمـــا مـــات آباؤنـــا الأوّلـــونْ
فلــم لا نمـــوت بحـــدّ الحـــسام؟ ليـــنعم أولادنـــا المقبلـــونْ
فنـــسكب مجـــداً عظيمـــاً ســيبقى مـــدى الـــدهر يـــذكره الـــذاكرونْ
ونثبـــتُ للنـــاس أنّ العقيـــدة نـــارٌ ونـــورٌ وحـــقٌّ مـــصونْ

ويواصل ناجي طريقه مع الفئة المؤمنة ، التي ارتبطت بمنهج الله سبحانه ، وسارت على خطى نبيه الكريم ،تظلّلهم روح الأخوّة ، وتحرسهم عناية الرحمن .. وينظم قصيدة يبثُّ فيها هذه المعاني ، فيقول [1] :

بالــصّبر نقــوى وبالإيمــان نــزدان والكــلُّ تحــت لــواء الحــقّ إخــوانُ
في كــل وقــت أســودٌ لا تهــاب لظــىً وفي الحـــروب صـــناديدٌ وفرســـانُ
يبكون من خشية الرّحمان خــالقهم ففي الـوغى أُسُـدٌ في النّـسك رهبـان

(١) ديوان " جراحات " ، ص٢٤ .

يمضون في الدّرب لا يخشون من عنت	هم للعلى ثورةٌ للحق بركان
يقولها الصّيدُ لن نخشى مؤامرة	فشيمة الظلم إجرامٌ وطغيان
ولن نخاف خيانات يقوم بها	من الخليقة غدّارٌ وخوّان
رجالنا الصّيد لا يبغون جعجعة	أو شُهرة أو ليالي كلّها حانُ
وجدتُهم يسهرون الليل كي يجدوا	سبيل خير لإنقاذ الأُلى عانوا
يحاربون صنوف الشّر في جلدٍ	ولا يبالون هم للخير أعوان
ما أكبر القلب ينسى كلّ شانئة	من أهله ويقوّي القلبَ قرآنُ

ولما قامت الانتفاضة ، واكبها شعر إسلامي مجاهد ، كان ثمرة طبيعية للظروف والأحوال التي عاشتها القضية الفلسطينية .. وكانت الإنتفاضة بشير فجر جديد ، وانبثاق جيل فريد ، من أشبال فلسطين ، الذين عانقوا الأخطار ، وهدموا حاجز الخوف ، ورفعوا الرّاية رغم القهر ، وفجّروا الأرض ناراً على الباغين ، وتحدّوا أسلحة العدوان ، بالإيمان الثابت والحجر المبارك الذي لا يملكون غيره ..

ونظم شاعرنا لهؤلاء الأشبال قصيدة بعنوان " أشبال رمي الجمار " ، قال فيها[1] :

لِشِبْلِنا ، مُنَضَّر الإهابْ	رجولةٌ تُذلّلُ الصّعابْ
عزيمةٌ تفتّتُ الحديد	وجبهةٌ تُناطح السّحابْ
وساعدٌ يكدُّ في البناء	ليْرفَعَ الأقواسَ والقباب
فمرّةً يطاردُ الغريب	ومرّةً يُقبّلُ التُّراب
وتارةً يُصوّبُ الجِمارَ	وتارةً يعانِقُ الكتاب

---

(١) ديوان " جراحات " ، ص٨٦ .

فيرقـــبُ الـــذئابَ مـــن بعيـــد ويرصـــدُ الـــذهاب والإيـــاب
ويُطلـــق التكـــبير في مُحيطِـــهِ ويُطلِـــقُ المقـــلاع والـــشّهاب
يواجـــه الخطـــوبَ في بـــسالةٍ وقـــوّةٍ ويـــرجُمُ الـــذئابْ

وللأستاذ ناجي شعر قاله في أحداث العالم الإسلامي ، وفي مآسي المسلمين المعاصرة ، ومن ذلك قصيدته التي ألقاها في مهرجان الفن الإسلامي الخامس يوم ١٩٩٩/٧/٤م في جامعة النجاح الوطنية بنابلس ، والتي قال فيها :

من فلسطين إلى كوسوفا

البغـــيُ والـــبطش والآلام والأَرَقُ والـرّيح والرَّعـدُ والأمـواج والغَـرَقُ
والقتـلُ والغـصْبُ والتّـشْريد يَتْبَعُـهُ عَمّتْ بلادي وسادَ البـؤسُ والرَّهـقُ
كشميرُ والقُدْسُ والـسودانُ في عَنَـتٍ بغدادُ أنّـتْ وديـست مـا بهـا رَمَـقُ
هذي كسوفا ببحر الـدّم قـد غَرِقَـتْ والأرضُ والعِرْضُ قد ديسا ولا حَنَقُ
من قلْب قُدسي إلى برشتينة انتشَرتْ سـودُ الليـالي وعـمّ الغمُ والغَـسَقُ
هنـــاك يُـصلبُ إخـــواني وجُلُّهُـــمُ من صفوة الناس مِمّـنْ كلُّهـمْ سبقوا
أبنـاء إبلـيسَ قـد عـاثوا بـديرتنا قـتلاً وسـلباً وتـشريداً وقـدْ حَـذِقوا
والغاصـبون تمـادَوْا في جـرائمهم مـصّوا الـدماء وهـم في فعلـهم عَلَـقُ
والظُّلْـمُ مـنهج أمريكـا ودَيْـدَنُها والطيْشُ والبطشُ والإجرام والنّـزَقُ
وأمْعــن الغـــربُ إذلالاً لأمتنــا فاستعمرونا ونفط العُرب قد سرقوا
كانــت وُعــودهُمُ حــبراً علــى ورق فما استجابوا لنا يومـاً ومـا صدقوا

۞ ۞ ۞

رأيتُ في العُرْب حُكّامـاً ذوي رُتَـبٍ رغْمَ المآسي بحبّ الغرب قد عَلِقـوا
ضــاقوا بــدَعوتنا عــافوا تَجَلُّــدَنا زادوا تــآمُرَهَم بالغــدر قــد نطقــوا

تغْلـوا العقيـدةُ في أعمـاق إخوتنـا ... ويـرخُصُ التّـبرُ واليـاقوتُ والـوَرِقُ
ظلّـوا عمالقـة مهمـا تناوَشَـهُم ... ظُلْمُ الطُّغـاة ومهمـا غيرهـم فسقوا
إنّـا نمـدُّ أياديـنا لأُمتنـا ... كـي نلتقـي بطريـق الخـير نـستبقُ
إصْعَدْ سفينتنا إركـب بهـا معنـا ... فيها النّجاةُ وفيهـا الطُّهـرُ والخُلُـق
نـورٌ عقيـدتنا عـدلٌ شـريعتنا ... صِـدْقٌ عزيمتُنـا للأجـر فـانطلقوا
نحنُ الحُماة إذا مـا الأمّـةُ انتُهِكَـتْ ... نحـنُ الـدواءُ لمـن في قلبـه فَـرَقُ
شـريعةُ الله آمَنّـا بـدعوتها ... غَيْـرَ العقيـدة لا نرضـى ولا نَثِـقُ
سـيظهرُ الحـقُّ والإيمـان في غـدنا ... إنّـي أشُـمُّ شـذاهُ هـا هـو العَبَـقُ
هـذي حقيقتُنـا يـا دعـوةً صَـمَدَتْ ... فليبـزُغ الفجْـرُ والأنـوارُ والفَلَـقُ

وله شعر اجتماعي جميل ومؤثّر ، فيه ظواهر اجتماعية ، ولمسات إنسانية ، وتوجيه تربوي .. ومن ذلك قصيدته التي نظمها عندما انتقل والده إلى رحمته تعالى في ١٤ / ٨ / ١٩٨٣م ، والتي يقول فيها [(١)] :

يُعـاتبني صَحْبي لـشيء مـن البُكـا ... وقد هَتَنَتْ عيني وقد زاد من زفري
وإنّـي لـصبّارٌ علـى وطـأة الأذى ... ولكـن لفقـد الأب جـانبني صـبري
إذا لم تكـن أُمّـي ولم يـكُ والـدي ... هما الرأسُ في الدُّنيا فيا خَيْبَـةَ العُمـر
إذا لم تـسِل عـيني لِفَقْـدِكَ والـدي ... فلِمْ لا يجفُّ الدّمعُ عندي مَدى الدّ هر؟
سأبكي على الإيمان أبكي على النَّقـا ... وأبكي على الإيثار أبكي على الطُّهـر
عزيزٌ على نفسي بـأن تخْـسرَ الـدُّعا ... وأن تفقِـدَ الأنـوارَ في غمْـرة الـسَّير
لقد كنـت أحظـى بالـدُّعاء وبالرِّضـا ... فأشْعُرُ أنّي أملـكُ الكـونَ في صـدري

(١) ديوان " جراحات " ، ص٨١ .

يسيرُ إلى الطاعات في عتمـة الـدُّجى		ويسعى إلى القُربى حريصٌ على الـسَّتر
وفِيٌّ لِذي القُربى حريصٌ على الرِّضا		حريصٌ على التّقوى حريصٌ على البِـرِّ
يصومُ بِحرِّ الصيفِ والصّيف لاهـبٌ		يُـصلّي سـواد اللّيـل في شِـدَّةِ القَـرِّ
يطوفُ على الأرحـام يبغـي مثوبـةً		ويـسخو بمـال الله في سـاعة العُـسرِ
ويـؤثرُ جُـلَّ النـاس في كـلّ نعمـةٍ		ويرضى من الدُّنيا بشيء مـن النَّـزْرِ
عَرَفْتُـكَ معطـاءً ، عرفتُـكَ مُـؤثِراً		كأنّ وجودَ الذات شـيءٌ مـن الإصْـرِ
عرفتُـكَ وقّافـاً علـى الحـقِّ دائمـاً		صبوراً كأن القلبَ قد قُـدَّ مـن صـخر
وقلبُـكَ موصـولٌ لـسانُك ذاكـرٌ		كأنــك مــصهورٌ ببوتقــةِ الــذِّكرِ
سقى الله ذاكَ اللّيـلَ تقـضيهِ مخبتـاً		وتتلــو آي الله يُــسراً وفي العُــسْرِ
فلم تنْسَ يومـاً مـا يـؤولُ لـه الفتـى		وما يقتـضيه الأمـرُ في ظُلمـةِ القَبْـرِ
حَـسبتَ لهـذا اليـوم كُـلَّ حـسابِهِ		فنَمْ في رحـابِ اللهِ في روضـة الزّهـرِ

شعره في المعتقل

ما كان لداعية مثل ناجي يقوم بهذا الحجم من النـشاط المتميـز ، إلا أن يُبتلـى ويتعرض للاعتقال .. فبعـد هزيمـة حزيـران ، واحـتلال الـضفة والقطـاع ، اعتقلتـه السلطات الإسرائيلية عدة مرات ، كان أولهـا عـام ١٩٦٨م ، وفـصلته مـن وظيفتـه في المدارس الحكومية ، ودام اعتقاله (١٩ شهراً) .

وفي السجن لاقى ناجي ألواناً من التعذيب ، فقابلها بالصبر والإيمان ، والدّعاء والقرآن .. وقد نظم قصيدة في سـجن طـولكرم في حزيـران ١٩٦٩م ، بعنـوان " نـور في قلب العتمة " ، وصف فيها حاله وحال إخوانه في السجن ، فقال[١] :

---

(١) ديوان " جراحات " ، ص١٨ .

الطّعـــــمُ المُــــــرُّ أَلِفْنـــــاهُ والطعـــمُ الحلُـــوُ نـــسيناه
والـــشّوكُ القاســـي أدْمانـــا والـــصّخرُ الـــصّلب مـــضغناهُ
والقَفَـــصُ الـــضّيّقُ مأوانـــا والوقـــتُ الـــصّعبُ قـــضيناه
والظُّلْمـــةُ صـــارت دائمـــةً والنّـــورُ نـــسينا أســـناه
لـــولا القـــرآن نرتّلـــهُ آنـــاً أو نـــسمعُ معنـــاه
أو نقـــرأ وِرْداً في غـــسق لفقـــدنا الـــدّرب وتهنـــاهُ

ونُقِل ناجي في تموز من نفس العام إلى معتقل صرفند ، ومرّت به أيام قاسية ، ووصف التعذيب فيها فقال[١] :

القَيـــدُ أدمـــى معـــصمي والـــضّربُ آلم أضـــلعي
والكُفـــرُ والـــشّتمُ البـــذيء تـــردّدا في مـــسمعي
والـــشَّبَحُ في جـــوف الظـــلام طغـــى فـــأقلق مـــضجعي
والنّـــوم غـــاب عـــن العيـــون وقـــد رنـــوتُ لِمَهْجَعـــي
وتورّمَـــتْ قـــدماي مـــن قيـــدٍ وضـــربٍ موجـــعِ
وحُرِمْـــتُ شـــرب المـــاء في حَـــرٍّ شـــديدٍ مفجـــعِ

وجاءته رسالة في سجنه من الأهل في أوائل رمضان فيها ذوبُ قلب وألم فراق .. في كل حرف من حروفها نبضة ، فصاغ قصيدة بعنوان " شوق " تصوّر ما جاء في رسالة الأهل وانعكاسها على نفسه ، فقال[٢] :

(١) ديوان " جراحات " ، ص١٦ .

(٢) ديوان " جراحات " ، ص٢٩ .

بعيداً عن الأحباب في ظلمة السّجنِ	أعـيشُ بـلا لُـبّ وأحيـا بـلا ذهـنِ
فعقلـي وقلـبي يـسرحان تجـاههم	فأحيا على الذكرى وحـبّهم المـضني
حنانُـك يـا أمّـي يُهَـيّجُ مقلـتي	فيَدْمى لـه قلـبي وتـدمى لـه عـيني
أعانـكِ ربّـي في صـراعكِ للأسـى	وأنت ترين الدّهر يقسو على الإبـن
أبـي يحمـل الآلام في نفـسه الـتي	تعيش مدى الأيام وهناً علـى وهـن
وقلـبي مـع الأولاد في حـضن أمهـم	يعيشون والأيـام حزنـاً علـى حـزن
أعانـكِ ربّـي يـا شـريكة عيـشتي	وألهمـك الـسلوان في مـؤلم الـبين
سيذكرني الأحباب في شهر صومهم	إذا وضـعوا المـأكول لونـاً إلى لـون
أحبّـايَ في الإسـلام لا تـذهبوا أسـى	تَضُرُّ بي الآهات ، تقتات من جفني
تتـوق لكـم نفـسي لأحيـا بقـربكم	وأنهلَ من إيمانكم بعضَ مـا يُغـني

ورغم المعاناة الشديدة التي عاناها ناجي في سجنه ، إلا أنـه بقـي ثابتـاً علـى إيمانه وكفاحه .. استمع إليه وهو يدعو إخوانه إلى الثبات ، فيقول[1] :

أذكُـرِ الله في الـدُّجى والـضّياء	وارفـع الـرأس شـامخاً في إبـاءِ
إرفـع الـرأس ولا تبتغـي مـن عـدوّ	أي عـدل ولا بـصيص رجـاء
واصْـرف العمـر في الحيـاة جهـاداً	دافقـاً فـائراً بـرغم العـداء
واحمـل الحـقّ في الـيمين وسـيفاً	للجهـاد الطويـل رغـم العنـاء
يـا أخـي في الكفـاح أنـت رفيقـي	فـاقهر اليـأس في الـضُّحى والمـساء

(١) ديوان جراحات ، ص٢٢ .

ولما توجّه طفلُهُ عام ١٩٧٠م إلى المدرسة لأول مرّة في غياب والده ، نظم قصيدة بعنوان " إلى المدرسة " ، قال فيها [1] :

مشيْتَ بخطْوِكَ نحو الأمام وسِرْتَ وحيداً إلى معهدكْ
يحوطك حُبّي ويرعاك قلبي وعَيْني تهفو إلى رؤيتكْ
مشيت وجسمي عنك بعيدٌ وقلبي تعلّق في صورتك
وقد كنتُ أرقبُ هذا النهار فأمشي سعيداً إلى جانبك

ولما خرج ناجي من المعتقل وُضِعَ رهن الإقامة الجبرية في بلدته لمدة عام ، ولم يسمح له بمغادرة منزله من غروب الشمس حتى شروقها .. فنظم قصيدة بعنوان "إقامة جبرية " ، قال فيها :

قالوا عليكم بأن تبقوا بديرتكم قسراً ولا تخرجوا منها لبلدان
فلن تكون جسور النهر منطلقاً لكم لزورة سوريا ولبنان
ولا زيارة مصر والحجاز ولا إكمال عِلْم بأُرْدُنٍ وسودان
ولن يتاح مرورٌ من معابرها إلا لمن نرتضي من غير تبيان

(١) ديوان جراحات ، ص٣٢ .

قصائد مختارة من شعره

١

حنينٌ للقدس

القدس مدينة الأقصى ، وأرض الإسراء والمعراج ، وقبلة المسلمين الأولى .. مدينة سجد على ثراها الطاهر أنبياء الهدى ، وملائكة الرحمن .. مدينة فتحها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ورابط فيها صحابة رسول الله ﷺ وحرّرها القائد البطل صلاح الدين من الصليبيين ..

هذه المدينة المقدّسة التي كانت مهوى القلوب المؤمنة ، ومعقل الأجداد الفاتحين ، وقلعة الرّباط الأولى .. تغيّرت عليها الأحوال ، وألّمت بها النائبات ، وأصبحت ترزح في الاحتلال وتحيا حياة الذُّل .. ففي عام ١٩٦٧م ، وقعت القدس أسيرة في يد يهود ، وخيّم الحزن على مآذن الأقصى ، وعاث اليهود في حرمه الفساد، وبدأوا في التخطيط لهدمه ، ومنعوا أبناء الضفة والقطاع من الصلاة فيه .

ولذكر القدس صدى في نفس كل مسلم ، ولذلك فقد احتلت القدس في شعر شعراء الاتجاه الإسلامي ، مكانه خاصة ، فأكثروا من الحديث عنها ، والتعبير عن مأساتها ، وذكّروا الأمة بقضيتها ، ونادوا بالجهاد لتحريرها ..

وهذا شاعرنا " ناجي " يُكثر من الحنين للقدس .. لمسجدها المبارك ، ولأرضها الطاهرة ، وأسوارها العالية ، ومآذنها الشامخة ، ولأبوابها وأروقتها ودروبها وأحيائها المليئة بالعبر ، فينظم لها قصيدة بعنوان : " حنينٌ للقدس " .

أبيات القصيدة (١)

يُتاح للناس من غربٍ ومن عجمِ أن ينزلوا القدس في صبحٍ وفي ظُلَمِ
يدنّسون ثراها في تهتّكهم بلا رقيب على الأخلاق والشّيم
ويعبثون بمبناها وصورتها ويفسدون جمال الشكل بالورم
أما المحبون للأقصى وحرمته والعاشقون لأرض القدس والحَرَم
والقارئون كتاب الله من سورٍ كآل عمران والإسراء والقلم
والمؤمنون بمن شد الرحال له من أرض مكة في ليل من الحُرُم
والباذلون سخياً من دمائهم والحافظون لعهد الله والقيم
فدون رغبتهم خرط القتاد أذىً ودون بغيتهم عمرٌ من الألم
هذا المكبرُ قد تاق اللقاء بمن قد حرّر الأرض أو من برّ بالقسم
ومأمنُ الله قد ضاعت معالمها ودقّ في صدرها عال من الأُطُم
وذاك أوسٌ وشدادٌ وغيْرُهما من الصّحابة قرب السور في بَرَم
أين الشروط التي قد صاغها عمرٌ بعد الدخول إليها من على الأَكَم؟
أُحبُّ أبوابها حُبّاً يُؤرقُني أُحبُّ أحياءها مرفوعة الشَّمَم
أُحبُّ أسوارها تعلو بلا صَخبٍ أُحبُّ أقواسها تزدان بالرُّقُم
أحبُّ فيها دروباً كلُّها عبرٌ وهل سوى القدس فيها بالغ الحِكَم؟
أحب فيها مقاماتٍ وأروقةً أعيش فيها خلال الصحو والحُلُم
أحب صخرتها ترنو إلى أفق رحبٍ فسيح على الدّنيا بلا سأم

---

(١) ديوان " جراحات " ، ص١٠ – ١٣ .

أهفو لموطئ أقدام الرسول وقد هاج الحنين بقلبي فانبرى قلمي
هذي الملايين من أبناء أمتنا أهم سرابٌ ؟ أهم شيءٌ من العدم؟
أم هم هباءٌ بلا وزنٍ ولا ثِقَلٍ أم هم قطيع من الأقنان والخدم
يا مسجد الله أنت الروح في وطنٍ قاسى من الظلم والتزوير والتُّهَم
يا صخرة القدس أنتِ القلبُ في جسدٍ عانى من القهر والإجحاف والسَّقَم
عانى من الصّحب والأعداء في زمن عزَّ الصديق وَعزَّت صادقُ الهمم
هل الثكالى كمن يبكين نافلةً وهل يكون سداد النُّطْقِ كالتَّرَمِ
نحن المحبون يا أمُّ نتيه بها العهد باقٍ وعينُ الحبّ لم تَنَمِ

قصائد مختارة من شعره

٢

إلى الشّهيد

الشهادة حداء المؤمن في الحياة ، وأمنية المجاهد في ساحات القتال ، والقنطرة التي يعبر عنها المجاهدون إلى جنات النعيم .. الشهادة منهاج المؤمنين ، وطريق الخالدين ، والثمرة التي يتشوّق إلى قطفها صفوة المجاهدين ..

وفي تاريخنا الإسلامي .. ما عرفنا النصر إلا عندما طلبنا الشهادة ، وما نلنا العزة إلا عندما قدّمنا الشهيد تلو الشهيد ..

وشهداء فلسطين الذين باعوا أنفسهم لله ، وزهدوا بما عند الناس ، وطمعوا بما عند الله ، وتجرّدوا للجهاد في أرض الإسراء والمعراج .. قد أثاروا في نفوس أعداء الله الحقد ، وأشعلوا في قلوبهم الغيظ .. وظنّ أولئك الأعداء أن شفاء حقدهم في قتل المجاهدين ، وما دروا أنّ العاقبة للشهداء ، وأنّ الدماء التي سالت من شهدائنا الأبرار في فلسطين هي التي سقت نبت الجهاد ، وسوف تواصل طريقها حتى ترفع راية التحرير فوق الأقصى ، وعلى كل ذرة تراب من أرضنا المباركة .

إلى هؤلاء الأبرار الذين عرف فيهم ناجي خصال الخير كلها .. وإلى هؤلاء الميامين ، الذين وهبوا الوطن أسمى ما ملكوا فحقّ لهم أن يرتفعوا إلى الأعلى ..نظم هذه القصيدة عام ٢٠٠١م .

أبيات القصيدة (١)

مـــــا غــــاب مِنْــــك علــــى النَّـــوى إلاّ خَيالُـــكْ
قـــد كُنـــتَ تُعطــي بــاليمين ولا تُلاحِظُـــهُ شِـــمالُكْ
وبقيـــت تـــسطَعُ في الفَـــضاءِ الرَّحـــبِ تُثريـــهِ خِـــصالُكْ
يَتَكَـــشَّفُ الفِعْـــل الجميـــل ونِعْـــمَ أفعـــالٍ فِعالُـــكْ

دَمُـــك الـــذي سَـــفَحوه عنـــد الفَجْـــرِ إجْرامـــاً وظُلْمـــا
أعمـــى بَـــصائرَ شـــانئيك وزادَهُـــم هَمّـــاً وغَمّـــا
بـــاءوا بإثمـــكَ يـــا شـــهيد وبـــئس مـــا بـــاؤوهُ إثمـــا
وأنـــرْتَ دربَ الحـــائرين وزِدْتَهُـــم للخَـــيرِ عَزْمـــا

إنـــي رأيتـــكَ عاشـــقاً للقُـــدس تحـــضُنُها بقَلْبِـــكْ
وتُقَبِّـــلُ الأرضَ الـــتي قَـــد بوركَـــتْ بكتـــابِ رَبِّـــكْ
قـــد عِـــشْتَ تحمِـــلُ هَمَّهـــا وتَخُـــصُّها بـــأخصِّ حُبِّـــكْ
وَوَهَبْتَهـــا مـــا تَـــسْتطيعُ فتَـــسْتَقِرّ بعمـــقِ لُبِّـــك

لم نَفقِـــد الـــصّبْرَ الجميـــلَ ، لفقـــدِ جِـــسْمِكَ مـــا بَكَيْنـــا
إنّـــا علـــى ثِقَـــةٍ بأنَّـــكَ مُـــشْفِقٌ مِنّـــا عَلَينـــا
وتَحُثُّنـــا نَحْـــو التَوَحُّـــدِ ضِـــدَّ سَـــطْوَتِهم علينـــا
سِـــرْنا علـــى الـــدّربِ الـــشريفِ بِـــنَفْس مـــشْيتِكُم مَـــشَيْنا

---

(١) ديوان مخطوط .

ظَنّـــوا بأنـــكَ قَـــدْ فنيـــتَ   وأنّهــــم بـــــاقونَ بعـــــدَك
لَــــمْ يَعْلَمـــوا أنّ الإلـــــه قـــد اصــــطَفاكَ حَبـــاكَ مجـــدَكْ
قَــــــصَدوا أذاكَ بفِعْلِهـــــــم   لكــــنَّهم كَــــسروهُ قَيْـــدَكْ
نِعْـــمَ النهايــــةَ بـــالنعيمِ   وقـــد وفيـــتَ صَـــدَقْتَ وَعْـــدَك

ســـتكون في التـــاريخ للأجيـــال   تــــــذكاراً نبـــــيلا
ويكـــونُ ذكـــركَ عـــاطراً   ببلادِنـــا جــيلاً فجـــيلا
وتُـــشعُّ مـــن عَلْيـــاءِ مَجـــدِكَ   للـــدُّنا نـــوراً جَمـــيلا
ونُزيـــلُ مـــن ســـاحتِنا   يزُنودنـــا شَـــرَّاً دَخـــيلا

ســـتعودُ روحُـــك للنِّـــداءِ   مـــع الرُّعـــودِ مـــع العواصِـــفْ
هُيـــوا جميعـــاً كـــي نُحطِّـــمَ   كــــل خَـــدّاعٍ وزائـــفْ
لَـــن تُـــسْتعادَ حقوقنـــا   إلا ببتّــــار وقاصِــــفْ
لـــن يرفـــع الـــضَّيْمَ اللئـــيمَ   دُعـــاءُ خَـــوّارٍ وخـــائف

ســـتُلاحِقُ الطـــاعونَ في الأوطـــان   تَـــــدْحَرُهُ يطُهْـــــرِكْ
دَمُـــكَ الـــسّخيُّ يـــشلُّهُم   وســـيغرقونَ بقَعْـــرِ بَحْـــرِكْ
وسَيَنْــــصُرُ الله الــــدُّعاةَ   سَـــينعَمون بأخـــذِ ثـــأثرِكْ
نِبراسُـــهم شَـــرْعُ الإلـــهِ   وطيـــبهُمُ مِـــنْ فَـــوْحِ عِطْـــرِكْ

قصائد مختارة من شعره

٣

الأرض أرضي

فلسطين .. أرض الإسلام .. أرض الإسراء والمعراج .. أرض الوطن والعقيدة .. أرض العِزّة والمَنَعَة .. أرض الطُّهر والقداسة ..

فلسطين .. أرض القادة الميامين ، والأجداد الفاتحين .. والشهداء الذين جبلوا ترابها بدمائهم ..

هذه الأرض تعرضت لكثير من مؤامرات الحاقدين وهجمات الطامعين ، في فترات الضعف والغفلة التي مرّت بالأمة الإسلامية .. هاجمها الصليبيون في تسع حملات صليبية طيلة قرنين من الزمان ، وأراقوا دماء المسلمين الغافلين . وهاجمها المغول والتتار وأقاموا جبلاً من جماجم المسلمين في سورية ، وهاجمها الفرنسيون .. وطُردوا جميعاً منها بعد معارك طاحنة قادها أبطال الإسلام .

وفي أواخر القرن التاسع عشر تآمر عليها الصليبيون الجدد واليهود والماسون ، ليقيموا دولة لليهود في فلسطين ، وتولّت بريطانيا رعاية اليهود ، ومكنتهم من إقامة دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ .. وفي عام ١٩٦٧م قام اليهود باحتلال ما تبقّى من أرض فلسطين ..

وكان الاحتلال الإسرائيلي للأرض العربية مادة خصبة حرّكت ما كان كامناً في نفوس الشعراء ، فجاءوا بشعر ثائر ، أثار النخوة في القلوب والحمية في النفوس ، وحارب أنواع الفساد والانحراف ، ودعا إلى التكاتف والأخوّة والمحبة ..

وعاش شعراء هذا الاتجاه قضيتهم ، وعاشوا مع أرضهم ووطنهم ، وتوجّعوا وتألموا لكنهم لم ييأسوا ، ولم يعيشوا في دائرة الحزن تأكلهم الآلام ، بل جعلوا من شعرهم أرجوزة لحن الأمل المرجو عبر التأسّي بماض لم يمت ، ومستقبل زاهر لأمة

عظيمة لا ترضخ ولا تستكين . وأظهروا من خلال الكلمة الشعرية مفهوم الارتباط بالأرض ، وقدسية تحرير أرض الإسراء .. وبيّنوا أن جوهر الصراع مع يهود ليس أرضاً فحسب ، وإنما هو صراع عقيدة .. ودعوا إلى أن يكون الإسلام هو الموجّه والقائد للمجتمع في كل المجالات والميادين ..

ومن هذا الشعر المجاهد جاءت هذه القصيدة التي نظمها شاعرنا ناجي بعنوان " الأرض أرضي " .. وألقاها في المهرجان الذي نظمه منتدى الخريجين في نابلس بتاريخ ١٩٩٩/٩/٢٣م .. وكان المهرجان قد أُقيم بعنوان " الأرض لنا ولن نرحل " .

أبيات القصيدة (١)

الأرض أرضي والفضاء فضائي ... والماء في قلب الثرى هو مائي
وجذورنا في عمقها مغروسةٌ ... أغصاننا ترقى إلى العلياء
أجدادنا رَوّوا بطيبَ دمائهم ... جنباتها في كامل الأرجاء
وترابُها من طاهرات جسومهم ... حصباؤها من أعظُم الآباء
وهواؤها أنفاس شعب كاملٍ ... ضحى لأجل بقائها بسخاء
وشقائق النعمان تصبغُ من دمٍ ... لتكون في التاريخ رمز وفاء
فالخير في جنباتها من مجدنا ... والمسك في أرضي شذى لدمائي
هي نحن قد صهر الزمان وجودنا ... ووجودها في ليلة الإسراء
هي نحن كلُّ واحدٌ لن يقدروا ... تفريقنا بالنار بالظّلماء
قد يملك الأعداء سجن أحبةٍ ... أو قطع أرزاقٍ وهدم بناء

---

(١) ديوان مخطوط .

قـد يملكـون القيـد يوضـع في يـدٍ ... قـد يكـسبون الفـوز في البأسـاء
قـد يـستطيع الغـدر قطـع جـوارح ... قـد يـستطيع الظلـم منـع دواء
قـد يـستطيع القهـر صـلب أعِـزّةٍ ... أو يـسلبوا منـا عزيـز لقـاء
لكـنهم لـن يملكـوا أن يقهـروا ... صـدق العقيـدة تُوجـت بإبـاء
لـن يملـك الأعـداء قهـر إرادةٍ ... تـسمو علـى الاغـراء والأهـواء
إنـا بهـذي الأرض طـود شـامخٌ ... وجـذورنا استعـصت علـى الغربـاء
كم قد بذلنا في الحفـاظ علـى اسمهـا ... كـم قـدّم الأبـرار مـن شـهداء
والقـدس مركزهـا ومحـور مجـدها ... مـا ورّث الأجـداد للأبنـاء
والقـدس رمـز قـضية وعقيـدة ... أعلـى مقامـاً مـن ذرى الجـوزاء
نـشدو علـى لحـن يـثير شـجوننا ... لحـن الوفـا للـصخرة الـشماء
لحـن الوفـا لترابهـا ومياههـا ... وهوائهـا وسـفوحها الخـضراء
لا يـستطيع الفـرد أن يحيـا بـلا ... مـاءٍ وزادٍ أو نقـيّ هـواء
لكننـا نـأبى الحيـاة بـدونها ... فهـي الحيـاة وضـيئة الـلألاء
مـا عـاش منـا مـن يفـارق أرضـه ... لـيس الغريـب بهـا مـن الأحيـاء
هـل يـستطيع الفـرد أن يحيـا بـلا ... مـاء الحيـاة وزادهـا وهـواء

المصادر والمراجع

١- ديوان " جراحات " ، نابلس ، دار الفاروق للثقافة والنشر ، ١٩٩٨م .
٢- ديوان مخطوط للأديب ناجي صبحة .
٣- رسالة شخصية من الأديب إلى المؤلف .
٤- حفل تأبين الداعية ناجي صبحة ، جامعة النجاح الوطنية ، في ٢٧ / ٧ / ٢٠٠٤م.

كتب للمؤلف

١- شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ١٠ أجزاء (بالاشتراك).
٢- أناشيد الدعوة الإسلامية – أربع مجموعات (بالاشتراك).
٣- الأخوة والحب في الله.
٤- الدعوة إلى الإسلام .. مفاهيم ومنهاج وواجبات.
٥- القدوة الصالحة .. أخلاق قرآنية ونماذج ربانية.
٦- ديوان شعر الدكتور يوسف القرضاوي "نفحات ولفحات" – جمع وتقديم وتحقيق-.
٧- الحاج أمين الحسيني .. رائد جهاد وبطل قضية.
٨- الشيخ عز الدين القسام .. قائد حركة وشهيد قضية.
٩- الشيخ فرحان السعدي – الشيخ فريز جرار - الشيخ عبد القادر المظفر.
١٠- الشهيد عبد الله عزام .. رجل دعوة ومدرسة جهاد.
١١- قصائد إلى الأم والأسرة.
١٢- قصائد إلى المرأة.
١٣- قصائد وأناشيد إلى الفتاة.
١٤- قصائد وأناشيد للانتفاضة.
١٥- أسرار حملة نابليون على مصر والشام.
١٦- جبل النار تاريخ وجهاد من ١٧٠٠-١٩٠٠م.
١٧- شعب فلسطين أمام التآمر البريطاني والكيد الصهيوني من ١٩١٥-١٩٣٩م.
١٨- نكبة فلسطين عام ١٩٤٨/٤٧م.
١٩- الجهاد الإسلامي المعاصر .. فقهه – حركاته – أعلامه.
٢٠- تجربة قطر في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.
٢١- الدكتور مصطفى السباعي .. قائد جيل ورائد أمة.

٢٢- محمَّد المبارك .. العالم والمفكر و الداعية.

٢٣- من أجل فلسطين .. مواقف عبر التاريخ الإسلامي.

٢٤- شاعرات معاصرات.

٢٥- مداد قلم "فكر وثقافة وتاريخ".

٢٦- "جنين والمخيم .. الملحمة والأسطورة" (بالاشتراك).

٢٧- شهيد الفجر وصقر فلسطين.

٢٨- مجموعة خطب مفتي جنين الشيخ توفيق محمود جرار "جمع وإعداد وتقديم" (بالاشتراك).

٢٩- السيرة النبوية – العهد المكي (بالاشتراك).

٣٠- السيرة النبوية – العهد المدني (بالاشتراك).

٣١- من سير الصحابة (بالاشتراك).

٣٢- من سير التابعين (بالاشتراك).

٣٣- دليل المعلم إلى كتاب السيرة النبوية – العهد المكي (بالاشتراك).

٣٤- دليل المعلم إلى كتاب السيرة النبوية – العهد المدني (بالاشتراك).

٣٥- دليل المعلم إلى كتاب من سير الصحابة -(بالاشتراك).

٣٦- دليل المعلم إلى كتاب من سير التابعين (بالاشتراك).

٣٧- صحابة مجاهدون في الأردن وفلسطين.

٣٨- ذكريات الوطن والغربة.

٣٩- روّاد الإصلاح والتغيير في العصر الحديث (الكتاب الأول) .

٤٠- روّاد الإصلاح والتغيير في العصر الحديث (الكتاب الثاني) .

٤١- أدباء من جبل النار

٤٢- شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث .. شعراء الشام " المجلد الأول ".



فهرس


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com





هذا الكتاب

تحدَّث فيه المؤلف عن مجموعة من فرسان الكلمة المجاهدة في جبل النار " نابلس - جنين - طولكرم " .. فتناول أحد عشر أديباً .. وسجّل شيئاً من سيرة كلّ واحد منهم ، ونشاطه وأدبه ..

هؤلاء الفرسان هم :

- إبراهيم طوقان
- برهان الدين العبوشي
- خالد السعيد
- سعيد بلال
- صالح الجيتاوي
- صالح جرّار
- عبد الرحيم محمود
- عبد الكريم الكرمي
- د. كمال رشيد
- د. مأمون جرار
- ناجي صبحة

الناشر

المطابع المركزية
عمان - الأردن


ISBN 978-9957-462-33-8
9 781571 690067



دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس : ٠٩٦٢ ٦ ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب : ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
بريد إلكتروني : daralmamoun@maktoob.com

